منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين

من غير أهل الكتاب

الدكتور
عبد العزيز بن محمد بن سعود الكبير

دار الرسالة العالمية

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م


ISBN 978-603-03-5296-8

9 786030 352968

© عبدالعزيز بن محمد بن سعود الكبير آل سعود ، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سعود ، عبدالعزيز بن محمد بن سعودالكبير
منهج الصحابة في دعوة المشركين من غير اهل الكتاب. /
عبدالعزيز بن محمد بن سعودالكبير آل سعود .- الرياض ، ١٤٤٢هـ

٤٨٤ ص ؛ ١٧/ ٢٤ سم

ردمك: ٨-٥٢٩٦-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الدعوة الاسلامية ٢- الصحابة و التابعون أ.العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٤٢/٤٥٥

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٤٥٥
ردمك: ٨-٥٢٩٦-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 961 1 815112 - 961 1 319039
961 1 818615 - 961 5 806455
961 70 004325
P.O.BOX: 117460



دار الرسالة العالمية

مَنهجُ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم

في دعـوة المشركين من غير أهل الكتـاب

الدكتور

عبدالعزيز بن محمد بن سعود الكبير

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

وصلى الله وسلم على نبي الأمة وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله، الذي أُرسل رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، وهو الذي أورث مسؤولية الدعوة إلى أمته بالتأسي به، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.

ﵟاللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًاﵞ(1).

وجعل الله سبحانه الدعوة من أحسن الأقوال، وربط بها خيرية الأمة، قال تعالى: ﵟوَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَﵞ(2)، وقال تعالى: ﵟكُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِﵞ(3). وكما ورد في حديث درة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ فقال ﷺ: «**خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم**»(4).

وقد اختار الله ﷻ قوماً هم أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ليكونوا صحابته، وشرّفهم بالصحبة، وأثنى عليهم في مواقع كثيرة، قال تعالى: ﵟوَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُﵞ(5).

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(2) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(3) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(4) المسند، الإمام أحمد، مسند النساء، رقم ٢٧٩٨٠، ٨٦٣/٨. حديث ضعيف (الألباني، ضعيف الجامع الصغير، رقم ٢٨٩٧، ص ٤٢٦). وقد ذكر هذا الحديث مع ضعفه للاستئناس به في هذا المجال.

(5) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

ومن هذا المنطلق قام صحابة رسول الله ﷺ باتباع سنته، والحرص على الدعوة في حياته، وبعد مماته ﷺ؛ ومما ورد عن الرسول ﷺ في فضل صحابته، وأنهم خير الناس، حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم...**» الحديث[1]، وقد أوصى ﷺ باتباع أصحابه ﷺ، واتباع سنتهم، كما ورد في حديث العرباض بن سارية قول رسول الله ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**»[2]. ولِما لهؤلاء القوم من فضل وتفضيل على من بعدهم، وأمره ﷺ باتباعهم، فإنه دليل على أن منهجهم هو المنهج الصحيح بعد رسول الله ﷺ، فيؤخذ منهم، ويستفاد من طريقتهم، وخصوصاً في مجال الدعوة؛ لأنهم أول من قام بالدعوة بعد الرسول ﷺ ونشرها بين الناس؛ وذلك ما دعا إلى البحث في منهجهم، وطريقة دعوتهم، وتعاملهم مع من يدعون، فمن هذا يمكن الاستفادة من منهجهم الصحيح، وخبراتهم وتجاربهم الناجحة، خصوصاً في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن والبدع والانحرافات، والتي شملت كل مجال، ومنها مجال الدعوة إلى الله.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم ٦٤٧٣، ص١١١٠.

(٢) سنن أبي داود، أول كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم ٤٦٠٧، ص٦٥١. حديث صحيح (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد السادس، القسم الأول، رقم ٢٧٣٥، ص٥٢٦).

ومنهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب يُعد مرجعاً يستفاد منه لتأصيل المنهج الدعوي الصحيح، وذلك بمعرفة الطرق والأساليب والوسائل التي عملوا بها في دعوتهم، وتوضيح ذلك، والاستفادة منه على أرض الواقع، وخصوصاً إذا علمنا أنه يوجد نسبة عالية من سكان العالم ممن هم على أديان مختلفة من غير أهل الكتاب، وهذا مما يؤكد أهمية دراسة هذا الموضوع وتبيان الأحكام المستفادة منه، والبحث في المصادر والمراجع المتعددة؛ لإيضاح منهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب، والإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه. ومما يدعونا أيضاً للبحث في هذا الموضوع إيماننا أن الإسلام جاء للبشرية أجمع، وبعث الله به أنبياءه من قبل، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[3].

وختم الله الأنبياء بإرسال نبينا محمد ﷺ بالإسلام ودين الحق ليظهره على الدين كله، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٣٢-١٣٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١١.

كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[1]، فسعى ﷺ في نشر هذا الدين، وقيض الله له صحابته؛ ليكونوا الدعاة والمبلغين لرسالته ﷺ، فهم الذين ساروا على نهجه حتى بلغت الدعوة ما بلغت على أيديهم ﷺ، في حياته ﷺ وبعد مماته، ولم تكن هذه الدعوة تخص فرداً دون آخر، أو ديناً دون دين، أو عرقاً دون عرق، فقد كانت دعوة شاملةً عالميةً، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

فكان الصحابة ﷺ يدعون أقوامهم من المشركين الوثنيين، فغالبية الصحابة كانوا قبل إسلامهم مشركين من أهل الأوثان، إلا من كان كتابياً أو وُلد في الإسلام، ومن هذا كان لدعوتهم هذه الفئة دور كبير، وتأثير عميق؛ مما جعل الأفواج تدخل في الإسلام بسبب الدعوة إلى الله بالطريقة الصحيحة، ولم يقفوا بالدعوة عند التعريف بالإسلام فقط، بل تعدوا ذلك إلى التأثير على المدعوين بالأخلاق، وحسن المعاملة، ولين الجانب، ومن ذلك ما ورد في قصة إسلام أسيد بن الحضير، وسعد بن معاذ، ودعوة أبي ذر لحويطب بن عبدالعزى، ودعوة أم سليم لأبي طلحة، إضافةً إلى ما قاموا به ﷺ بعد وفاة الرسول ﷺ من جهود في الدعوة، وحتى آخر من توفي من الصحابة، وهو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي ﷺ الذي توفي سنة مائة للهجرة.

إن الوقوف على منهج الصحابة ﷺ في دعوتهم للمشركين خلال تلك المدة هو من احتياجات الدعوة الملحة لوضع القواعد الصحيحة للدعوة، وخصوصاً

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

في هذا العصر، الذي كثر فيه الاختلاف والابتداع، كما أن كثرة الشعوب المشركة التي ليست على دين أهل الكتاب توجب البحث في هذا المجال، وعمل دراسة علمية وافية.

وكان هذا البحث جزءاً من رسالة دكتوراه بعنوان: **منهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب إلى الإسلام**[1]. وقد رأيت أن أعيد صياغته بطريقة كتاب ليسهل على كل قارئ الاستفادة منه، فقد حذفت منه التعريفات المطولة، وبعض الفقرات التي لا تلزم القارئ وتشتت أفكاره.

(١) رسالة دكتوراه مقدمة للمعهد العالي للدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام: ١٤٣٤-١٤٣٥هـ.

الفصل التمهيدي

وفيه مبحثان:

- ## المبحث الأول

الصحابة رضي الله عنهم ومكانتهم

- ## المبحث الثاني

مفهوم المشركين وأصنافهم وسماتهم

تمهيد

إن من الأهمية بمكان معرفة معنى الصحبة، ومن يندرج تحت هذه التسمية، خصوصاً أنه اختُلف في ذلك، وكذلك ما يترتب على الصحبة من فضل تبنى عليه مكانتهم لدى المسلمين، وبها تكون محبتهم التي هي من محبة رسول الله ﷺ.

وفي المقابل نجد من الأهمية أيضاً معرفة مفهوم المشركين وسماتهم وأقسامهم، والأصناف التي تندرج تحت هذا المصطلح.

ومن أجل ذلك وضع هذا الفصل ليبين من هم الصحابة ومكانتهم وفضلهم، والمشركون ومفهومهم وسماتهم وأصنافهم.

وهو ينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: الصحابة ﷺ ومكانتهم.

المبحث الثاني: مفهوم المشركين وأصنافهم وسماتهم.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

الصحابة رضي الله عنهم ومكانتهم

أولاً: معنى الصحابة في اللغة:

«"صحب": الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربته»(١). «وصحب: صَحِبَهُ يَصْحَبُه صُحْبة بالضم، وصحابة بالفتح، وصاحبه: عاشره، والصاحب: المعاشر، وكل ما لازم شيئاً فقد استصحبه»(٢)، وعند ابن قتيبة: «صحبت الرجل من الصحبة، وأصحبت له، أي: انقدت له وتابعت»(٣)، وقال الجوهري: «الصحابة بالفتح: الأصحاب، وهي في الأصل مصدر، وجمع الأصحاب أصاحيب، وأصحبته الشيء: جعلته له صاحباً، وكل شيء لاءَمَ شيئاً فقد استصحبه، واصطحب القوم: صحب بعضهم بعضاً»(٤)، «والصُّحبَة والصَّحْبُ اسمان للجمع، وهو خلاف لمذهب سيبويه حسب قول الأخفش، وصاحِب القوم: أحدهم»(٥)، «وأصحب فلان:

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، كتاب الصاد، باب الصاد والحاء وما يثلثهما، ٣/٣٣٥.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: صحب، ١/٥١٩.
(٣) أدب الكاتب، ابن قتيبة، باب الأفعال، ص٣٦٠.
(٤) الصحاح، الجوهري، حرف الصاد، ص ٦٣٣.
(٥) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٣/١٦٦.

إذا بلغ ابنه، ومعناه: كان فرداً فصار ذا صاحب، وأصحبتُه فهو مُصحَبٌ، أي: فعلت به ما جعلته صاحباً لي غير نافر عني»[1]، «والصاحب: الملازم إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل والأكثر، أو بالعناية والهمة، ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته، والمصاحبة والاصطحاب أبلغ من الاجتماع لأجل أن المصاحبة تقتضي طول لبثه، فكل اصطحاب اجتماع وليس كل اجتماع اصطحاباً»[2]، ويرى الكفوي أن «كلمة الصاحب تعم القليل والكثير، وهي لمن كثرت ملازمته وطالت صحبته»[3].

ويقول الفراهيدي: «إن الصاحب يكون في حالٍ نعتاً لكنه عمَّ في الكلام فجرى مجرى الاسم كقولك صاحب مال، أي: ذو مال، وصاحب زيد، أي: أخو زيد»[4].

ومن جميع هذه التعريفات نجد أن كلمة "صحابة" في اللغة لا تتعدى أن تكون اسم جمع لمن طالت عشرتهم وملازمتهم وهم متفقون متلائمون.

وجذر "صحب" في اللغة له معانٍ عدة تختلف عن المعنى المقصود هنا والذي ذكرناه سابقاً، وسوف نذكرها هنا للاستفادة والتفريق بين المعاني، فمنها «قولك صاحب مال، أي: ذو مال -ذكرناه سابقاً-، وهو يدل على الملكية لشيء، كما تعني كلمة

---

(١) أساس البلاغة، الزمخشري، حرف السين، ص٤٦٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الصاد، ص٢٧٥.

(٣) الكليات، الكفوي، فصل الصاد، ١١٢/٣.

(٤) العين، الفراهيدي، حرف الحاء، باب الثلاثي الصحيح، باب الحاء والصاد والباء، ١٢٤/٣.

صاحب من يملك التصرف والتدبير في أمر معين كصاحب الشرطة وصاحب الخراج والجيش وصاحب السوق للمحتسب»[1]، بالإضافة إلى أصحاب الفيل وأصحاب الأخدود الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، والصاحبة هي الزوجة كما ورد في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾[3]، ويقول الشيخ السعدي: «إن الصاحبة في الآيات هي الزوجة»[4].

«ويصحب: تأتي بمعنى يجير ويمنع، فيقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾[5]، أي: يجارون، وتقول العرب: أنا لك جار وصاحب من فلان، أي: مجير منه»[6]. «وجلد أصحب، أي: عليه شعر أو وبر، وأصحب الماء: علاه الطحلب، ويتصحب منا، أي: يستحي منا»[7].

ثانياً: مفهوم الصحابة رضي الله عنهم في الاصطلاح:

إن مفهوم الصحابة وتحديد من هو الصحابي من غيره من المسلمين وما الصفات التي يجب أن تتوافر فيه ليطلق عليه اسم صحابي من الاصطلاحات المختلف عليها عند أهل الاختصاص، فمنهم من توسع في إطلاق لفظ الصحابي وجعله مصطلحاً

(١) الكليات، الكفوي، فصل الصاد، ٣/١١٢، (بتصرف).
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.
(٣) سورة المعارج، الآيتان ١١- ١٢.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٠٤٦.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٤٣.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثاني، المجلد السادس، تفسير سورة الأنبياء، ص١٤٧.
(٧) لسان العرب، ابن منظور، مادة: صحب، ١/٥٢٠.

واسعاً بدون قيد أو شرط، أو كانت شروطه مرنة جداً كالمحدثين من أهل العلم، ومنهم من قيد لفظ الصحابي بشروط محددة وفي نطاق ضيق وتشدد في ذلك، وهم الأصوليون من أهل الفقه. وفي هذا المبحث سوف نتكلم عن آراء الفريقين ومن تبنى كل رأي من علماء الإسلام وأئمته.

لعل أكثر المحدثين يتبنون رأي الإمام البخاري في الصحيح «أن من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»[1]. وهذا القول أخذه الإمام البخاري حسب قول الحافظ ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" من كلام شيخه علي بن المديني حيث كتب ابن حجر قائلاً: «قرأت في "المستخرج" لأبي القاسم بن منده بسنده إلى أحمد بن سيار الحافظ المروزي قال: سمعت أحمد بن عتيك يقول: قال علي بن المديني: من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي ﷺ»[2].

ومن هذين التعريفين يتبين توسع الإمام البخاري وشيخه ابن المديني في إطلاق لفظ الصحابي، بحيث لم يجعلا للصحبة مدة محددة، إنما يكفي فيها الصحبة أو الرؤية، فيدخل في هذا كل من أسلم في عهد النبي ﷺ ورآه. إلا أن هذا التعريف أوجد إشكالاً لدى الأصوليين، وذلك فيمن ارتد عن الإسلام سواء رجع أو لم يرجع عن ردته، ومن رأى الرسول ﷺ وهو طفل لم يبلغ ولم يميز، ومن رأى الرسول ﷺ بعد وفاته وقبل دفنه، وفي تعريف الإمام البخاري

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، ص٦١٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، كتاب فضائل أصحاب النبي، ٤٢٢٩/٧.

يقول ابن حجر: «يعني أن اسم صحبة النبي ﷺ مستحق لمن صحبه أقل ما يطلق عليه اسم صحبة لغة، وإن كان العرف يخص ذلك ببعض الملازمة، ويطلق أيضاً على من رآه رؤية ولو على بعد»[1]. والرؤية هنا أوسع من الصحبة في اللغة، فمن رأى الرسول ﷺ في الحج أو العمرة أو في الغزو أو من رآه في مكة أو المدينة أو في الحل والسفر وهو مسلم فقد شمله اسم "صحابي".

ويرى الإمام أحمد «أن كل من صحب الرسول ﷺ سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه، فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه»[2]. وأضاف شيخ الإسلام ابن تيمية كلمة "مؤمناً" بعد كلمة "رآه"[3]. وهنا جعل المدة والسمع والنظر إلى الرسول ﷺ هي من يحدد قدر الصحبة، منهم مكثر ومنهم مقل وجميعهم صحابة. وقد استند كلام الإمام أحمد والبخاري وشيخ الإسلام في تعريفهم هذا على حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمان، يغزو فئام**[4] **من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم، فيفتح**

(١) فتح الباري، ابن حجر، كتاب فضائل أصحاب النبي، ٧/٤٢٢٨.

(٢) الكفاية، الخطيب البغدادي، ص٥٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، فصل الاعتقاد، ٤/٤٦٤.

(٤) الفئام: الجماعة من الناس، (انظر: العين، الفراهيدي، باب الثلاثي المعتل من الفاء، ٨/٤٠٥).

لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من رأى أصحاب أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نحن، فيفتح لهم»[١]، يقول شيخ الإسلام: «وحديث سعيد هذا يدل على شيئين: على أن صاحب النبي ﷺ هو من رآه مؤمناً به وإن قلت صحبته...»[٢].

أما الحافظ ابن حزم الأندلسي فقد أورد تعريفاً للصحابة مفصلاً أكثر من التعاريف السابقة، يقول: «أما الصحابة رضي الله عنهم فهم كل من جالس النبي ﷺ ولو ساعة، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه عليه الصلاة والسلام أمراً يعيه، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك، ولا مثل من نفاه عليه الصلاة والسلام باستحقاقه كهيت المخنث ومن جرى مجراه، فمن كان كما وصفنا أولاً فهو صاحب»[٣]. ففصَّل رحمه الله في تعريف الصحابي وكأنه يضع ضوابط لمعرفة الصحابي، فأول ضابط هو المجالسة ولو ساعة، وهذا الضابط ذكره الإمام أحمد في تعريفه، وهو توسيع لدائرة الصحبة، كما أنه جعل من ذلك السماع من الرسول ﷺ ولو كلمة فما فوقها، فبهذا يكون رد السلام من الرسول ﷺ يُدْخِلُ في دائرة الصحبة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم ٦٤٦٧، ص١١١٠.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٠/٢٩٨.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، ٥/٨٩.

كما أن المشاهدة لأمر يعيه المشاهد حتى لو كانت عن بعد تدخل في الصحبة بشرط أن يعيه، أي يكون مميزاً وليس طفلاً صغيراً لم يصل لمرحلة التمييز، أو فاقداً للعقل عند رؤية الرسول ﷺ سواء بمؤثر كالخمر وبدون مؤثر كالجنون، والضابط الأهم هو ألا يكون منافقاً مشتهر النفاق حتى مات، فهذا يخرجه من دائرة الإسلام؛ لأن المنافقين إخوان الكفار، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[3].

وقد أورد الخطيب البغدادي قول ابن عمر أن أهل العلم يقولون: «كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم وأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار، ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم في الإسلام»[4].

وفي هذا القول تأييد للأقوال السابقة من حيث الرؤية والتمييز، إلا أنه جعل الحلم شرطاً في الصحبة، وهذا مختلف فيه بين أهل العلم، يقول العراقي في "التقييد والإيضاح": «والصحيح أن البلوغ ليس شرطاً في حدِّ الصحابي، وإلا لخرج بذلك من أجمع العلماء على عدِّهم في الصحابة، كعبدالله بن الزبير، والحسن والحسين رضي الله عنهم»[5].

(١) سورة الحشر، الآية: ١١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٨.

(٤) الكفاية، الخطيب البغدادي، ص٤٩.

(٥) التقييد والإيضاح، زين الدين العراقي، ص ٢٩٥.

ولعل تعريف الإمام ابن حجر العسقلاني هو أوفى التعاريف وأشملها، وأقرب لوصف الصحابي، وتعريفه هذا الذي أورده في كتابه "الإصابة" حيث يقول: «إن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى»(١).

ثم شرح ابن حجر هذا التعريف، ومن يدخل في الصحبة ومن يخرج منها، وسوف نذكر بعض النقاط المهمة التي ذكرها في شرحه، فمنها الإيمان بالرسول ﷺ، وهو يعني خروج من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك ولم يلق الرسول ﷺ، كما أن كلمة "مؤمناً به" تعني كل مكلف سواء من الإنس أو الجن الذين آمنوا به، أما قوله: "مات على الإسلام" فيخرج من الصحبة من ارتد ومات على الكفر كعبيد الله بن جحش(٢).

ونلحظ هنا أن ابن حجر لم يبين هل يُشترط في اعتبار الصحبة أن من رأى الرسول ﷺ لا بد أن يكون بالغاً أو مميزاً؟ أو يدخل في ذلك حتى الأطفال الرضع، وبهذا قد يشمل تعريفه أكثر أطفال المسلمين؛ لأنه في زمن الرسول ﷺ كان من ولد له ولد أَتى به إلى الرسول ﷺ ليحنكه، وهذا من مواضع الخلاف لدى المعرفين لمعنى الصحبة.

---

(١) الإصابة، ابن حجر، ١/٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١/٧.

ومما سبق يتضح لنا أن هناك صفات متفقاً عليها وصفات أخرى مختلفاً فيها فيمن يطلق عليه اسم الصحبة، ومن الصفات المتفق عليها ما يأتي:

١. الإيمان بالرسول ﷺ، ويخرج من آمن بغيره من الأنبياء دونه ﷺ كأهل الكتاب.

٢. رؤيته حقيقة أو ملاقاته، ويشمل ذلك من كان أعمى كابن أم مكتوم، ويخرج منه من رآه في المنام.

٣. عدم الردة، يخرج بهذا من ارتدَّ كعبيد الله بن جحش وربيعة بن أمية بن خلف وغيرهم.

٤. الموت على الإسلام.

أما الصفات التي اختلف عليها الفقهاء والمحدثون فهي ما يأتي:

١. التمييز والبلوغ.

٢. الإسلام بعد الردة، وذلك بعد وفاة الرسول ﷺ كالأشعث بن قيس.

٣. الغزو مع الرسول ﷺ.

٤. الرواية عن الرسول ﷺ.

٥. السماع من الرسول ﷺ.

٦. رؤية الرسول ﷺ بعد مماته كأبي ذؤيب الهذلي.

٧. مجالسة الرسول ﷺ.

ثالثاً: مكانة الصحابة ﷺ وفضلهم:

إن تقرير هذه المسألة في غاية الأهمية، لاسيما في هذا الوقت الذي انحرف فيه منهج الدعوة عن مساره لدى بعض الطوائف والأفراد والجماعات، وضعفت مكانة الصحابة ومنزلتهم في نفوس بعض الدعاة حتى انتقصهم أو كاد، ومما لا يشك فيه أي مؤمن عاقل محب لله ولرسوله وصافي العقيدة أن للصحابة فضلاً على من سواهم من البشر، وفضلهم هذا مستمد من صحبتهم لرسول الله ﷺ ومحبته لهم ومحبتهم له، وسوف يتبين فضل هذه الفئة من الناس في هذا المطلب، وذلك اعتماداً على ما ورد في القرآن الكريم وما ثبت في السنة النبوية وأقوال السلف الصالح، وقد رتب الحاكم النيسابوري الصحابة إلى اثنتي عشرة مرتبة جعلها كالآتي[1]:

١. **الطبقة الأولى:** قوم أسلموا بمكة قبل الجهر بالدعوة عند دار الندوة، ومنهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم وغيرهم.

٢. **الطبقة الثانية:** أصحاب دار الندوة، وذلك بعد إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمل الرسول ﷺ إلى دار الندوة فبايعه جماعة من أهل مكة.

٣. **الطبقة الثالثة:** الصحابة المهاجرة للحبشة.

٤. **الطبقة الرابعة:** أصحاب بيعة العقبة الأولى.

٥. **الطبقة الخامسة:** أصحاب بيعة العقبة الثانية وأكثرهم من الأنصار.

---

(١) انظر: معرفة علوم الحديث، النيسابوري، ص٢٩-٣١.

٦. **الطبقة السادسة:** أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء قبل أن يدخل المدينة ويبني المسجد.

٧. **الطبقة السابعة:** أهل بدر الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «**لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(١).

٨. **الطبقة الثامنة:** المهاجرة الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

٩. **الطبقة التاسعة:** أهل بيعة الرضوان الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾(٢)، وكانت بالحديبية.

١٠. **الطبقة العاشرة:** المهاجرة بين الحديبية والفتح، ومنهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبو هريرة رضي الله عنه.

١١. **الطبقة الحادية عشرة:** هم الذين أسلموا يوم الفتح (فتح مكة).

١٢. **الطبقة الثانية عشرة:** صبيان وأطفال رأوا الرسول ﷺ يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها وعدادهم في الصحابة.

وقد قال أبو منصور البغدادي: «أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على ترتيبهم في الخلافة، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم بيعة الرضوان. وأجمع أهل السنة على أن أفضلهم على الإطلاق أبو بكر، ثم عمر، وقدم جمهورهم عثمان على علي رضي الله عنه، قال الخطابي: وقدم أهل السنة

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، رقم ٣٩٨٣، ص٦٧٢.
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٨.

من أهل الكوفة علياً على عثمان، وبه قال ابن خزيمة، والصحيح قول الجمهور تقديم عثمان؛ لهذا اختارته الصحابة للخلافة، وقدموه، وهم أعلم وأعرف بالمراتب»[1]. وفي قول البغدادي هذا اختلاف عن الترتيب الأول؛ فقد رتب الحاكم النيسابوري الصحابة حسب الأسبقية في الإسلام، ورتب البغدادي الصحابة حسب الفضل بينهم فيما يراه.

وقد ورد فضل الصحابة في القرآن الكريم والسنة النبوية في عدة مواضع ومناسبات سنذكر بعضاً منها:

أ) ما ورد في فضل الصحابة ﷺ من القرآن الكريم:

ليس هناك أدل ولا أوضح من بيان فضل الصحابة في القرآن الكريم، فقد وردت آيات عدة تبين فضلهم ومكانتهم، وسوف نذكر هنا بعضاً منها مع إيضاح ما ذكره المفسرون حول كل آية.

١. **الآية الأولى:** قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[2].

يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: «إنه تعالى ذكرهم هنا لبيان تعظيم شأنهم وعلو درجتهم، وأن الإعادة إعادة ذكرهم في الآية السابقة تدل على مزيد من الاهتمام بحالهم، وذلك يدل على الشرف والتعظيم»[3].

(١) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ١/١٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

(٣) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، المجلد الثامن، الجزء الخامس عشر، ص١٦٩.

وقال الشيخ السعدي: «إن هذه الآيات في بيان مدحهم وثوابهم رضي الله عنهم»[1]، وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ يقول الإمام الشوكاني: «أي الكاملون في الإيمان»[2]، ويذكر الشيخ أبو بكر الجزائري: «أن هذين صنفا المهاجرين والأنصار، وهما أكمل المؤمنين وأعلاهم درجة»[3].

٢. **الآية الثانية:** قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[4].

يقول ابن عاشور في هذه الآية: «إن (الذين هاجروا) هم المؤمنون من أهل مكة وما حولها الذين هاجروا منها إلى المدينة لما آذنهم النبي ﷺ بالهجرة إليها بعد أن أسلموا وذلك قبل فتح مكة»[5]. وهذا بيان لفضل الصحابة بما أعد الله لهم من مكافآت وردت في الآية، ومنها قوله: ﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ «إشارة إلى رفعة قدرهم، رضا من الله، وتفضيلاً بالتشريف، كما أن قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ معطوفة على ﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةً﴾ مبالغة في عظم

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣٧٣.
(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٢/٢١١.
(٣) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٢/٣٣٣.
(٤) سورة التوبة، الآيات: ٢٠-٢٢.
(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد الخامس، الجزء العاشر، ص١٤٨.

فوزهم، حتى إن فوز غيرهم بالنسبة إلى فوزهم يعد كالمعدوم»[1]. وعند القرطبي «أن ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ أي: لهم المزية والمرتبة العلية»[2].

٣. **الآية الثالثة:** قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: «هم الذين سبقوا غيرهم إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد، والذين اتبعوهم في ذلك وأحسنوا أعمالهم موافقة لما شرع الله وبيَّنه رسوله محمد ﷺ»[4].

ولا خلاف بين أهل العلم في أن الآية تتحدث عن الصحابة، إلا أن الخلاف في من هم هؤلاء الصحابة، فقد قال ابن عباس: «إنهم هم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدراً، وعن الشعبي: هم الذين بايعوا بيعة الرضوان»[5]، وقال أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة: «هم الذين صلوا إلى القبلتين مع الرسول ﷺ»[6].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد الخامس، الجزء العاشر، ص١٤٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثاني، المجلد الرابع، ص٣٢١.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(٤) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ص٤٢٠.
(٥) التفسير الكبير، الرازي، المجلد الثامن، الجزء السادس عشر، ص١٣٤.
(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/٢٧٠.

وذكر الله تعالى رضاه عنهم في قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ «ولما وصفهم بهذا الوصف أثبت لهم ما يوجب التعظيم»[1]، «ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم»[2]. وقال ابن خويز منداد: «تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة في علم أو دين أو شجاعة أو غير ذلك»[3]، فرضا الله ﷻ عن هؤلاء فيه بيان لفضلهم وتميزهم عن غيرهم.

٤. **الآية الرابعة:** قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾[4].

قال ابن عباس وسفيان: «هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيه ﷺ»[5]، «فلما أمر الله تعالى في هذه الآية رسوله أن يقول: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ فقد عين له هذه الجملة ليقولها يسأل من الله أن يكرم عباده الذين اصطفى بالثناء عليهم في الملأ الأعلى وحسن الذكر؛ إذ قصارى ما يستطيعه الحاضر من جزاء الغائب على حسن صنيعه أن يبتهل إلى الله أن ينفعه بالكرامة»[6]. «وحقيقة الاصطفاء: افتعال من التصفية، فيكون قد صفاهم من الأكدار، ولا ينقض هذا بما إذا اختلفوا؛ لأن الحق لم يعدهم بألا يختلفوا، وهذا لا يخرجهم من

---

(١) التفسير الكبير، الرازي، المجلد الثامن، الجزء السادس عشر، ص١٣٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٢٧٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثاني، المجلد الرابع، ص٤١٣.
(٤) سورة النمل، الآية: ٥٩.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثالث، المجلد السابع، ص١٤٧.
(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد الثامن، الجزء العشرون، ص٨.

حقيقة الاصطفاء»[١]. ويقول شيخ الإسلام: «إنه لا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة»[٢]، وهذا أمر لا غرابة فيه بأن يصطفي الله ﷻ أفضل الأصحاب لأفضل الأنبياء وخاتمهم، يقول ابن جرير الطبري في الذين اصطفاهم: «هم الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ فجعلهم أصحابه ووزراءه»[٣].

٥. **الآية الخامسة:** قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[٤].

تعددت الروايات في سبب نزول هذه الآية وفيمن نزلت، إلا أنها اتفقت على أن المقصود بها هو أحد الصحابة أو جميعهم، فلم تخرج من دائرة الصحابة وفضلهم، ففي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر»[٥]، وفي رواية: «وفي أشباهه»[٦]. وعند مسلم: «وفي أصحابه»[٧]. وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الآية: منهم طلحة بن عبيد الله، ثبت مع رسول الله ﷺ حتى أصيبت يده، فقال النبي ﷺ:

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم، ٥/٥٦٨.

(٢) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ١/٣٦٦.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٨/٧٠٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾، رقم ٤٧٨٣، ص٨٤٠.

(٦) المرجع السابق، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾، رقم ٢٨٠٥، ص٤٦٤.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم ٤٩١٨، ص٨٥١.

«**أوجب طلحة الجنة**»[1]. وفي الترمذي عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما طلحة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاهل: سله عمن قضى نحبه من هو؟ وكانوا لا يجترئون هم على مسألته يوقرونه ويهابونه، فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر فلمّا رآني رسول الله ﷺ قال: «**أين السائل عمن قضى نحبه؟**» قال الأعرابي: أنا يا رسول الله، قال: «**هذا ممن قضى نحبه**»[2]. ويقول القرطبي: «إن منهم حمزة وسعد بن معاذ وأنس بن النضر رضي الله عنه وغيرهم»[3].

وفي "المستدرك" للحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أُحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه رسول الله ﷺ ودعا له ثم قرأ هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه**»[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/٣٤٤.

(٢) جامع الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب تعيينه ﷺ طلحة ممن قضى نحبه، رقم ٣٧٤٢، ص٨٥٠. حديث صحيح (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الأول، القسم الأول، رقم ١٢٥، ص٢٤٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/٣٤٤.

(٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، كتاب قراءات النبي ﷺ، رقم ٣٠٢٧، ٢/٣٦٥. حديث ضعيف، (الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، المجلد الحادي عشر، القسم الأول، رقم ٥٢٢١، ص٣٦٥).

وفيما سبق دليل على أن هذه الآية تعني بالذين ﴿صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡـهِ﴾ «أنهم الصحابة؛ منهم من بذل جهده على الوفاء بعهده حتى قتل، ومنهم من ينتظر الشهادة، وما بدلوا عهدهم ونذرهم»[1]. وفي هذه الآية إشارة إلى وفائهم بعهدهم الذي عاهدوا الله أنهم لا يفارقون نبيه إلا بالموت، وفي الآية التي تليها قال تعالى: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾[2]، «أي بصدق ما وعدهم في الدنيا والآخرة كما صدقوا مواعيدهم»[3]. ويقول الإمام الشوكاني: «إن معنى الآية: أن من المؤمنين رجالاً أدركوا أمنيتهم وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم، فقاتلوا حتى قتلوا، وذلك يوم أحد، كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر، ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ قضاء نحبه حتى يحضر أجله، كعثمان بن عفان وطلحة والزبير وأمثالهم، فإنهم مستمرون على ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله ﷺ والقتال لعدوه، ومنتظرون لقضاء حاجتهم وحصول أمنيتهم بالقتل وإدراك فضل الشهادة، وجملة ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلًا﴾ معطوفة على صدقوا، أي: ما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه»[4]. وفي هذه الآية ثناء على الصحابة وأنهم صدقوا العهد وثبتوا على ذلك حتى لقي الله منهم من لقي وبقي من بقي بعد ذلك إلى أن لقي الله فيما بعد حتى جازاهم الله بصدقهم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/٣٤٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٤.

(٣) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، المجلد الثالث عشر، الجزء الخامس والعشرون، ص١٧٦.

(٤) فتح القدير، الشوكاني، ٣/٤٢١-٤٢٢.

٦. **الآية السادسة:** قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(١).

في هذه الآيات يبين الله ﷻ ثلاث مسائل تميز بها الصحابة من أهل بيعة الرضوان.

أولى هذه المسائل هو رضا الله ﷻ عنهم الذي أخبر عنه بقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، «فيخبر تعالى بفضله ورحمته برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول ﷺ تلك المبايعة التي بيضت وجوههم»(٢). ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ «يعني بيعة أصحاب رسول الله ﷺ بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب وعلى ألا يفروا ولا يولوهم الدبر»(٣).

المسألة الثانية: تزكية الله ﷻ لهم، وذلك بقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، «ففي ذلك تزكية من الله للمؤمنين بعلمه سبحانه لما في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة والصبر والوقار»(٤).

ومن التزكية أيضاً تسميتهم المؤمنين في قوله: ﴿عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذا دليل على أن جميع من كانوا يوم بيعة الرضوان هم مؤمنون صادقون أوفياء صابرون. ولن يطلق عليهم المولى ﷻ هذه الصفة إلا أنهم بعلمه كذلك.

---

(١) سورة الفتح، الآيتان: ١٨- ١٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٩٣٦.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٢٣٣/١٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٠٥/١٣.

المسألة الثالثة: هي مكافأتهم ومجازاتهم في الدنيا والآخرة، يقول الإمام الرازي: «إن فيه معنى لطيفاً هو أن الله تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾[1]، فجعل طاعة الله والرسول ﷺ علامة لإدخال الله الجنة بتلك الآية، وفي هذه الآية بيَّن أن طاعة الله والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان، أما طاعة الله فالإشارة إليها بقول: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأما طاعة الرسول فبقوله: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾. بقي الموعودية وهو إدخال الجنة، أشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأن الرضا يكون معه إدخال الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾[2]»[3].

أما ثوابهم في الدنيا فقوله: ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، فعن قتادة أنه عوضهم في العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم أهلها وفتحاً قريباً، وذلك فيما قيل: «فتح خيبر معه مغانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود خيبر»[4]، وقد ورد ذلك في حديث مجمع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه قال: «**قسمت خيبر على أهل الحديبية**»[5]، فجمع الله لهم الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٧.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) التفسير الكبير، الرازي، المجلد الرابع عشر، الجزء الثامن والعشرون، ص٨٢، (بتصرف).

(٤) جامع البيان، الطبري، ٢٣٧/١٠.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في أرض خيبر، رقم ٣٠١٥، ص٤٤١. حديث ضعيف (الألباني، ضعيف سنن أبي داود، كتاب الجهاد، رقم ٤٧٥، ٣٥٧/٢).

٧. **الآية السابعة:** قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[١].

وصف الله ﷻ في هذا الآية الرسول ﷺ وأصحابه وهم الذين معه بأوصاف عدة وهي الشدة على الكفار والرحمة بينهم وإقامة الصلاة للحصول على رحمته تعالى، كما أن لهم علامات في وجوههم من أثر السجود، وقد اختلف أهل التأويل في هذه العلامات؛ فمنهم من قال: إنها علامات يجعلها الله يوم القيامة في وجوه المؤمنين، وقال آخرون: إنها سيما الإسلام وسمته وخشوعه، وقال فريق ثالث: إنها آثار السجود في الجبهة وآثار السهر والتعب، وفريق رابع يرى: أنها آثار الأرض من الندى والتراب على الوجه من السجود[٢].

«أما فضلهم فقد تبين في هذه الآية في وعد الله ﷻ لهم ثواباً لا ينقطع وهو الجنة، وليس قوله: ﴿مِنۡهُم﴾ مبعضة لقوم من الصحابة دون قوم ولكنها

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٠/٢٦٢-٢٦٥.

عامة مجنسة[1]، وقد يخصص الصحابة بوعد المغفرة تفضيلاً لهم»[2]. ويقول الشيخ السعدي: «إن الله ﷻ يخبر في هذه الآية بأن أصحاب الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار أنهم بأكمل الصفات وأجل الأحوال؛ فالصحابة ﷺ الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح قد جمع الله لهم بين المغفرة التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة والأجر العظيم في الدنيا والآخرة»[3].

ب) ما رود في فضل الصحابة ﷺ من السنة النبوية:

لا تخلو سنة الرسول ﷺ من ذكر لأحد الصحابة أو جميعهم سواء كانوا رواة لهذه السنة أو حضوراً أو وردت في شأنهم أحاديثها، ومن هنا فإن علاقة الصحابة ﷺ أجمعين بالسنة والحديث الشريف علاقة تلازم، فيكفيهم فضلاً أنهم هم من روى هذا الحديث ونقله إلى من بعدهم حتى وصل إلينا كما هو، وفي هذا المبحث سوف نذكر بعض الأحاديث التي تطرقت لفضل الصحابة

(١) الجنس أعم من النوع، وهو كل ضرب من الشيء، ومن الناس، ومن الطير، و"منهم" في هذه الآية: يقصد بها الجنس، كقوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ (الحج: ٣٠)، لا يقصد التبعيض، لكنه يذهب إلى الجنس، أي فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان؛ إذ كان الرجس يقع من أجناس شتى، منها الزنى والربا وشرب الخمر والكذب، فأدخل "من" يفيد بها الجنس، وكذا "منهم" أي من هذا الجنس، يعني جنس الصحابة، ومن هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ﴾(الإسراء: ٨٢)، معناه: وننزل القرآن شفاء؛ لأن كل حرف منه يشفي، وليس الشفاء مختصاً ببعضه دون بعض. (انظر: تاج العروس، الزبيدي، ١٥/٥١٥، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثالث، المجلد الثامن، ص٤٣٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثالث، المجلد الثامن، ص٤٣٥-٤٣٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٩٣٨- ٩٣٩.

بشكل عام دون الأحاديث التي اختص بها أحد من الصحابة دون غيره، وذلك تجنباً للإطالة والابتعاد عن مضمون هذا البحث، وللتدليل على أهمية هذه الفئة من المسلمين في نقل هذه الرسالة والاعتماد عليهم في اتباع سيرتهم والاقتداء بهم، ومن هذه الأحاديث ما يأتي:

١. **الحديث الأول:** عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[١].

٢. **الحديث الثاني**: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[٢].

٣. **الحديث الثالث:** عن أبي موسى رضي الله عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «**مازلتم ها هنا؟**» قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، فقال: «**أحسنتم أو أصبتم**»، قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: «**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعدون، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي**

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم ٣٦٥٠، ص٦١٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذاً خليلاً"، رقم ٣٦٧٣، ص٦١٦.

أتى أمتي ما يوعدون»[1].

٤. **الحديث الرابع:** عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**»[2].

٥. **الحديث الخامس:** عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم**». وقد تقدم ذكره في هذا الفصل في تعريف معنى الصحبة.

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة، رقم ٦٤٦٦، ص١١٠٩.

(٢) جامع الترمذي، أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة، رقم ٣٨٦٠، ص٨٧٢. حديث صحيح (الألباني، صحيح الجامع، رقم ٧٦٨٠، ٢/١٢٧١).

المَبْحَثُ الثَّاني

مفهوم المشركين وأصنافهم وسماتهم

الشرك بالله هو أعظم الأمور وأخطرها على ابن آدم، وقد حذر ﷻ من الشرك وتهدد وتوعد من يشرك به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[1]. والمشركون عدة أنواع وأصناف، بالإضافة إلى أن كلمة الشرك لها عدة معانٍ، وذلك ما يجعلنا نفرد هذا المبحث لإيضاح جميع معاني كلمة الشرك، وكذلك إيضاح أصناف المشركين وأنواعهم، وذلك في مطلبين اثنين يحددان مفهوم الشرك والمشركين، بالإضافة إلى أصناف المشركين وسماتهم.

المطلب الأول: مفهوم الشرك والمشركين

أولاً: الشِّرْك في اللغة:

يقول ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة": «إن الشِّرْكة هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء: إذا صرت شريكه، وأشرَكتُ فلاناً: إذا جعلته شريكاً لك. قال الله جل ثناؤه في قصة

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٦.

موسى ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾(١). ويقال في الدعاء: اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين، أي: اجعلنا لهم شركاء في ذلك، وشَرِكتُ الرجل في الأمر أشْرَكه»(٢). «والشريك يجمع على: شركاء وأشراك، مثل: شريف وشرفاء وأشراف. والمرأة شريكة، والنساء شرائك، والاسم الشِرْكُ، قال الجعدي:

وشاركنا قريشاً في تقاها وفي أحسابها شِرك العِنان

والشرك أيضاً الكفر. وقد أشرك فلان بالله فهو مُشْرِكٌ»(٣). ويقول ابن سيده: «فريضة مشتركة: يستوي فيها المقتسمون، وطريق مشترك: يشترك فيها الناس، واسم مشترك: يشترك فيه معان كثيرة، كالعين ونحوها، وأشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه، ورغبنا في صهركم وشرككم، أي: مشاركتكم في النسب»(٤).

وفي "المفردات في غريب القرآن": «الشِّرْكة والمشاركة: خلط المِلكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً عيناً كان ذلك الشيء أو معنى»(٥)، «وماء ليس فيه أشْراك، أي: ليس فيه شُركاء، واحدها شِرْك، قال: ورأيت فلاناً مُشْتركاً: إذا كان يحدث نفسه أن رأيه مُشْتَرَك ليس بواحد، والشرك: أي الاشتراك في الأرض، وفي حديث معاذ ﷺ "أنه أجاز بين أهل اليمن الشِّرْكَ"، وهو أن يدفعها صاحبها إلى آخر بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك، وفي حديث

(١) سورة طه، الآية: ٣٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، باب الشين والراء وما يثلثهما، ٣/٢٦٥.

(٣) الصحاح، الجوهري، حرف الشين، ٤/١٥٩٣.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، باب الثلاثي الصحيح، الكاف والشين والراء، ٦/٤٢٦.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الشين، ص٢٥٩.

عمر بن عبد العزيز: أن الشِّرك جائز، هو من ذلك، والأشْراكُ أيضاً جمع الشِّرْك، وهو النصيب كما يقال: قسم وأقسام»[1].

ثانياً: معنى الشرك في الاصطلاح الشرعي:

أورد علماء السلف تعريفات عدة للشرك، فمنهم من أورد التعريف ضمن سياق الكلام عن موضوع معين، ومنهم من أورده بتعريف خاص في موضوع عن الشرك نفسه، وهنا سوف نقوم بسرد بعض التعريفات التي تبين معنى الشرك والمقصود به:

أ) يعرف الراغب الأصفهاني الشرك «أنه إثبات شريك لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[2]»[3].

ب) الشرك «هو عبادة غير الله وإن اعترف المشرك بأنه مخلوق»[4].

ج) الشرك عند الإمام ابن القيم هو: «أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: شرك، ١٠/٤٤٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦.
(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الشين، ص٢٥٩-٢٦٠.
(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١١/٦٨٢.
(٥) سورة الشعراء، الآيتان ٩٧- ٩٨.

وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت»[1].

د) يقول أبو حيان: «إن الشرك هو أن يتخذ مع الله معبوداً»[2].

هـ) الشرك: «أن تجعل لله نداً وتعبد غيره من حجر أو بشر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو جني أو نجم أو ملك أو غير ذلك»[3].

و) قال المناوي: «الشرك إما أكبر وهو إثبات الشريك لله تعالى، أو أصغر وهو مراعاة غير الله في بعض الأمور»[4].

ز) «المشرك هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها»[5].

ح) «الشرك هو تشبيه للمخلوق بالخالق -تعالى وتقدس- في خصائص الإلهية من مُلك الضر والنفع، والعطاء والمنع، الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده»[6].

ط) قال الشوكاني: «هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به، واعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، ١/٣٦٨.

(٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٥/٣١.

(٣) الكبائر، الذهبي، ص٣٨.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص٢٠٣.

(٥) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، الرسالة السابعة: الأصل الجامع لعبادة الله وحده، ١/٣٨١.

(٦) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله آل الشيخ، ص٨٨.

يتقرب به إلا إليه»[1].

ي) يقول الشيخ السعدي: «هو أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة»[2]، وقال أيضاً: «هو أن يعبد المخلوق كما يعبد الله أو يعظم كما يعظم الله أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية»[3].

ك) يقول ابن عاشور: «المشرك في لسان الشرع من يدين بتعدد آلهة مع الله سبحانه»[4].

ل) «الشرك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كالدعاء والذبح والنذر والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله»[5].

م) يعرف الدكتور حمود الرحيلي المشرك بأنه: «من صرف شيئاً من أنواع العبادة كالدعاء والذبح والنذر والصلاة والاستغاثة والخوف والرجاء والتوكل ونحوها لغير الله تعالى فقد أشرك بالله ﷻ»[6].

---

(١) الدر النضيد، الشوكاني، ص٧٠.
(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، السعدي، ص٣١.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣١٣.
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص٣٦٠.
(٥) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح بن فوزان الفوزان، ص٢٩.
(٦) منهج القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود بن أحمد الرحيلي، ١/١٠٧.

ثالثاً: أهل الكتاب والمشركون:

مما سبق يتضح أن الشرك هو إشراك الله ﷻ في أي شيء اختص به نفسه، فلو آمن الإنسان بالله أنه هو الخالق الرازق المعبود، وأشرك معه في أي شيء مما يختص به سبحانه من العبادة، فإن ذلك يدخله في دائرة الشرك، وذلك بحسب نوع الشرك الذي أشرك به.

ولأن هذا المبحث يتكلم عن المشركين؛ فإنه لابد من إيضاح من هم المشركون المعنيون هنا، فمن عنوان المبحث، ومما يتضح لنا من المقدمة، نجد أن المشركين المقصود بهم هم من كانوا غير أهل الكتاب من الوثنيين والملاحدة والمجوس والصابئة ومن هم على شاكلتهم.

ولأن أهل الكتاب اختلف فيهم هل هم من المشركين أم لا؛ فإن للعلماء في ذلك وبناءً على ما ورد في القرآن الكريم ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المشركين هم نوع من الكفار الذين يشملون أهل الكتاب؛ فالكفر جنس ينقسم إلى نوعين: أهل الكتاب والمشركين[1]، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص٢٠٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

﴿ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾[1]، «فكلمة "المشركين" معطوفة بالخفض على "أهل الكتاب"»[2]، وبذلك يكون الكفار اسماً عاماً يشمل أهل الكتاب والمشركين، فيخرج بذلك أهل الكتاب من المشركين، «وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: "أهل الكتاب" اليهود الذين كانوا بيثرب، وهم قريظة وبنو قينقاع، و"المشركون": هم الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة وحولها، وهم مشركو قريش»[3].

القول الثاني: أن الكفار هم أهل الكتاب، أما المشركون فهم عبدة الأوثان؛ «وذلك أنه يجوز أن تكون كلمة ﴿وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ معطوفة على ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وبذلك يكون ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جنساً مستقلاً عن المشركين»[4].

القول الثالث: أن أهل الكتاب من المشركين، فقوله سبحانه: ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وصف لأهل الكتاب؛ لأن النصارى مثلثة واليهود مشبهة، وهذا كله شرك[5]، وذلك أن من النصارى من قال أيضاً إن المسيح هو الله، ومنهم من قال هو ابنه، ومنهم من قال إنه ثالث ثلاثة، واليهود منهم من يقول إن عزيراً ابن الله.

(١) سورة البينة، الآية: ١.
(٢) جامع البيان، الطبري، ١/٦٩٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثالث، المجلد العاشر، ص٢٨٢.
(٤) المرجع السابق، الجزء الأول، المجلد الأول، ص٣٧٦.
(٥) انظر: التفسير الكبير، الرازي، المجلد السادس عشر، الجزء الثاني والثلاثون، ص٣٩.

وقد جاءت آيات تدل على أن مسمى الشرك يشمل أهل الكتاب مثل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[1]، فجعل مقالة كل اليهود والنصارى إشراكاً[2].

ومما لا شك فيه أن أهل الكتاب هم كفار، إلا أن الاختلاف هو في دخولهم في مصطلح "الشرك" من عدمه، ويتضح لنا أن احتمال دخولهم في "المشركين" كاصطلاح وارد بنسبة عالية، فلو قمنا بتطبيق التعريفات السابقة الخاصة بمصطلح "الشرك" لوجدنا أنها تنطبق عليهم، وذلك من العبادة والتقرب والمحبة والرجاء والخوف والعطاء والمنح والتوكل والاستغاثة والدعاء وغيرها.

وقد خرج أهل الكتاب من مجال هذا المبحث باستثنائهم من المشركين المبحوثين واقتصار المبحث على المشركين من غير أهل الكتاب بكافة أشكالهم ممن كان لهم تعامل مع الصحابة وتمت دعوتهم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٢) انظر: تتمة أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، أتمه عطية محمد سالم، ١٦٨/٩.

المطلب الثاني: أصناف المشركين وسماتهم

أولاً: الوثنيون من العرب:

«الوثنيون نسبة إلى كلمة وثن، وهم من يتدين بعبادة الأوثان، والوثن: الصنم ما كان، وقيل: الصنم الصغير»(١)، ويقول الأصفهاني: «إن الوثن هو حجارة تعبد»(٢)، وفي "تهذيب اللغة" للأزهري: «قال شمر: أصل الأوثان عند العرب: كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس ونحوها، وكانت العرب تنصبها وتعبدها»(٣)، ويقول ابن الأثير: «إن الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي، تعمل وتنصب فتعبد، والصنم الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما، وأطلقها على المعنيين، وقد يطلق الوثن على غير الصورة»(٤)، وقال ابن فارس: «إن الصنم هو ما يتخذ من خشب أو فضة أو نحاس فيعبد»(٥). «واسم الوثن يتناول كل معبود من دون الله سواء كان ذلك المعبود قبراً أو مشهداً أو صورة أو غير ذلك»(٦).

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: وثن، ١٣/٤٤٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الواو، ص٥١٢.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري، الجزء الثامن، المجلد الخامس عشر، أبواب الثلاثي المعتل من الثاء، باب الثاء والنون، ص١٠٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الواو، باب الواو مع الثاء، ٥/٩٤٦.

(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس، كتاب الصاد، باب الصاد والنون وما يثلثهما، ٣/٣١٤.

(٦) فتح المجيد، عبدالرحمن بن حسن، ص٣٠٠.

وكان عمرو بن لحي هو أول من أدخل الأوثان إلى جزيرة العرب، قال ابن الجوزي في "المنتظم": «هو أول من غير دين الحنيفية دين إبراهيم، وأول من نصب الأوثان حول الكعبة، وجعل البحيرة والسائبة والوصيلة والحام[1]، واستخرج إساف ونائلة[2] فنصبها»[3]، وقد انتشرت الوثنية بين العرب وأصبح لكل قبيلة وثن تعبده وتقدم القرابين له، وقبل ذلك كانت الوثنية موجودة بين الشعوب الأخرى، فمثلاً في الهند يذكر الشهرستاني أن فيها أصنافاً كثيرة من الأديان يرجعون آخر الأمر إلى عبادة الأصنام[4]، وكذلك الشام التي أحضر منها عمرو بن لحي الأصنام، وكان أول صنم قدم به هو "هبل"[5].

وبما أن الوثنيين هم من يتدين بعبادة الأوثان والتقرب إليها وجعلها آلهة من دون الله؛ حتى وإن لم يعترفوا بذلك كما ذكر الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[6]؛ فقولهم إن عبادتهم إنما

---

(١) هي أنعام تحرم ظهورها وأوبارها ولحومها وألبانها ولا ينتفع بها، وذلك عند العرب المشركين قرباناً للآلهة، (انظر: جامع البيان، الطبري، ٤/٧٣٦- ٧٣٧).

(٢) إساف ونائلة وثنان كانا على الصفا والمروة، وضعهما عمرو بن لحي، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة، وزعموا أنهما كانا من جرهم: إساف بن عمرو ونائلة بنت سهل تعاشقا ففجرا في الكعبة فمسخا حجرين، وقيل: لا بل كانا صنمين جاء بهما عمرو بن لحي فوضعهما على الصفا، (انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٢/٢١٧).

(٣) المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ٢/٣١.

(٤) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٢/٢٤٣.

(٥) انظر: المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ٢/٣١.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٣.

هي تقرب إلى الله ﷻ إنما ذلك من باب الأعذار الواهية، فكل من دعا نبياً أو ولياً أو ملكاً أو جنياً أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذه إلهاً من دون الله[1]، ومن ذلك ما قام به قوم نوح عليه السلام من قبل، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد. أما ود: فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع: فكانت لهذيل، وأما يغوث: فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق: فكانت لهمدان، وأما نسر: فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عُبدت»[2]. وكما ذكر الله سبحانه وتعالى من أن مشركي العرب كانوا يعوذون بالجن، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[3]. وفي ذلك يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «ما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شرك في العبادة؛ فمن صرف شيئاً من هذه العبادات لغير الله جعله شريكاً لله في عبادته»[4].

والوثنيون يؤمنون بتوحيد الربوبية إلا أنهم ينكرون توحيد الألوهية، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[5].

(١) انظر: فتح المجيد، عبدالرحمن بن حسن، ص٢٤٢.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة نوح، رقم ٤٩٢٠، ص٨٧٥.
(٣) سورة الجن، الآية: ٦.
(٤) فتح المجيد، عبدالرحمن بن حسن، ص١٦٢.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

وينكرون البعث بعد الموت، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[2]. وكذلك ينكرون إرسال الرسل وبعث الرسول ﷺ، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[3].

وبهذا يكون الوثنيون قد أشركوا مع الله أصنامهم وأولياءهم والشياطين وصرفوا عبادتهم أو جزءاً منها إلى هذه الآلهة، وإن كانوا يؤمنون بوجود الله ﷻ الخالق المدبر الرازق، إلا أنهم يجعلون معه آلهة يحبونهم كحب الله ويساوونهم بالله، ولا يؤمنون بالرسل من الناس.

ثانياً: الصابئة:

«الصابئ معناها الخارج من دين إلى دين، وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ﷺ قد صبأ، عنوا أنه خرج من دين إلى دين، وكانت العرب تسمي الرسول ﷺ الصابئ»[4]. ويذكر الفراهيدي: «أن الصابئين قوم دينهم شبيه بدين النصارى؛ إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار، ويزعمون

---

(١) سورة يس، الآية: ٧٨.

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ١٦- ١٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩٤.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة: صبأ، ١/١٠٨.

أنهم على دين نوح وهم كاذبون»[1]، ويقول الفيروزآبادي: «إن قبلتهم من مهب الشمال»[2]، وقيل: «إنهم على دين صابئ بن شيث بن آدم، ونسبتهم إليه»[3]، إلا أن الطبري يذكر «أنهم نسبوا إلى صابئ بن متوشلخ بن أخنوخ وذلك قبل نوح عليه السلام، وهم من أرسل إليهم؛ وأخنوخ هو إدريس عليه السلام»[4].

وبناءً على ذلك تكون الصابئة من أقدم الديانات الموجودة الآن والتي لها أتباع وإن قلوا، وقد ذكرهم القرآن الكريم في ثلاثة مواضع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[5]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾[6]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾[7].

والصابئة تفترق إلى أربع فرق: أصحاب الروحانيات، وأصحاب الهياكل، وأصحاب الأشخاص، والحرنانية[8]، وكل منهم له مذهبه الخاص، وطريقة عبادته واعتقاده، والذي يختلف به عن الطريقة الأخرى، وسوف نذكرهم باختصار:

---

(١) العين، الفراهيدي، حرف الصاد، باب الثلاثي المعتل، باب الصاد والباء، ١٧١/٧.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، باب الهمزة، فصل الصاد، ص٤٥.

(٣) المصباح المنير، الفيومي، كتاب الصاد، ص١٧٤.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ١٠٨/١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٩.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٦٢.

(٧) سورة الحج، الآية: ١٧.

(٨) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، القسم الثاني، الجزء الأول، ص٩، ٤٨، ٤٩، ٥٣.

١. أصحاب الروحانيات[١]:

مذهب هؤلاء أن للعالم صانعاً مقدساً عن سمات الحدثان، ويتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون: (جوهر وفعل وحالة).

أ) **الجوهر**: هم المقدسون عن المواد الجسمانية المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية وجبلوا على الطهارة، فيتقربون إليهم ويتوكلون عليهم، وهم أربابهم وآلهتهم وشفعاؤهم عند الله، ويقدمون لهم كل ما يقدم لله من عبادة، والأنبياء لا طاعة لهم لأنهم بشر مثلهم.

ب) **الفعل**: هم الأسباب المتوسطون في الاختراع وتصريف الأمور من حال إلى حال.

ج) **الحالة**: أحوال الروحانيات من الروح والريحان والنعمة واللذة والراحة والسرور وكأنهم يقصدون بذلك الملائكة.

٢. أصحاب الهياكل[٢].

لأن الروحانيات لا يمكن أن يروها، وهي وسائل، ولا يمكن أن يخاطبوها بالألسن، فأوجدوا الهياكل، وهي أبدان الروحانيات، ويتقربون إليها تقربهم إلى الباري تعالى، ومن الهياكل الكواكب السيارة السبع، وجعلوا حياتهم عليها وعلى مطالعها ومغاربها وأشكالها، وأيامهم مقسمة عليها، واستخدموا الطلاسم والسحر والتنجيم والكهانة، وبذلك يكونون عبدة الكواكب.

---

(١) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، القسم الثاني، الجزء الأول، ص٩-٤٥.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص٤٧- ٤٨.

٣. أصحاب الأشخاص[١].

إذا كانت الروحانيات لا ترى بالأبصار والهياكل تغيب ولا تتواجد كل وقت، قامت هذه الفرقة باتخاذ أصنام تمثل الهياكل التي تقربهم للروحانيات التي بدورها تقربهم إلى الله ﷻ، وبذلك يكونون عبدة الأوثان والأصنام.

٤. الحرنانية[٢].

يقولون إن الصانع المعبود واحد وكثير، فأما واحد ففي الذات والأول والأزل والأصل، وكثير لأنه يتكثر بالأشخاص في رأي العين، ويقولون إنه لا بعث ولا قيامة، إنما يؤمنون بتناسخ الأرواح والحلول، وهم أصل هذه الفكرة، ويقولون بأن القاذورات والشرور ليست من الله وهو أجل من أن يخلقها، أما الخير والسعد فهو من البارئ تعالى.

وقد اندثرت جميع فرق الصابئة وأفكارهم ولم يتبق منهم اليوم إلا الصابئة المندائية، وهي التي تعد يحي عليه السلام نبياً لها يقدس أصحابها النجوم والكواكب ويعظمونها، ولهم طقوس دينية كثيرة ويوجدون الآن في جنوب العراق وإيران[٣].

واختُلِفَ في الصابئة هل هم أهل كتاب وهل تؤخذ منهم الجزية أم لا، وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ

(١) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، القسم الثاني، الجزء الأول، ص٤٨-٥١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٥٣-٥٥.

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٢/٧١٤ - ٧٢٢.

﴿وَالصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]، قال: «اختلف في الصابئين؛ فقال السدي وإسحاق بن راهويه: إنهم فرقة من أهل الكتاب، وقال ابن المنذر وإسحاق: لا بأس بذبائحهم ومناكحة نسائهم»[2]، «وكذلك قال أبو حذيفة، أما مجاهد ومتابعوه ووهب بن منبه يقولون: إنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، إنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرراً لهم يتبعونه ويقتفونه»[3]، ويقول الإمام الشوكاني: «إنهم فرقة معروفة لا ترجع إلى ملة من الملل المنتسبة إلى الأنبياء»[4].

ثالثاً: المجوس:

المجوسية هي الديانة الزرادشتية، وكان تأسيسها في بلاد فارس في القرن السادس قبل الميلاد على يد زرادشت بن يورشب الذي ظهر في عهد الملك كشتاسب بن بهراسب[5]، وتسمى المجوسية؛ لأن قبيلة المجوس الفارسية هي أول

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الأول، المجلد الأول، ص٣١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/٤٣٤.

(٤) فتح القدير، الشوكاني، ٣/١١٨.

(٥) كشتاسب وقيل بشتاسب، وهو ابن لبهراسب الذي ملك الفرس، وكان محموداً عند أهل مملكته، شديد القمع لأعدائه المجاورين له، شديد التفقد لأصحابه، بعيد الهمة، عظيم البنيان، وشق عدة أنهار، وعمر البلاد، وحمل إليه ملوك الهند والروم والمغرب الخراج، وكاتبوه بالتمليك هيبة له، وحذراً منه، وكان ملكه مائة وعشرين سنة، وملك بعده ابنه بستاسب الذي ظهر في أيامه زرادشت، واتبعه وقهر الناس على اتباعه، (انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١/١٢٣).

من تبع الزرادشتية[١]. وقيل إن زرادشت ظهر في القرن السابع قبل الميلاد[٢].

وزرادشت هذا اختلفت فيه الأقوال، فمنهم من قال: هو من أهل فلسطين، خادم لبعض تلاميذ أرميا النبي عليه السلام [٣] خاص به، أثير عنده، فخانه فكذب عليه، فدعا الله عليه فبرص فلحق ببلاد أذربيجان، فشرع بها دين المجوسية[٤]، ويقول الجاحظ: «إنه جاء من بلخ»[٥]، وقيل: إنه من العجم[٦] دون تحديد مكانه، ويذكر الشهرستاني أن أباه من أذربيجان وأمه من الري[٧]. وزرادشت هذا هو نبي المجوس بزعمهم، وقد بعث إلى قومه وعمره ثلاثون عاماً، ودعا الملك كشتاسب إلى دينه فأجابه الملك واعتنق دينه[٨]، فأجبر الناس على دخول هذا الدين وقتل من أجل ذلك من رعيته مقتلة عظيمة حتى دانوا بهذا الدين[٩]، وقد أتى بكتاب زعم أنه وحي من الله تعالى، وكتب في جلد اثني عشر ألف بقرة

---

(١) انظر: موسوعة الأديان الميسرة، عدد من المؤلفين، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٢) انظر: وجاء دور المجوس، عبدالله الغريب، ص٢٢.

(٣) هو أُرميا بألف مضمومة، كان غلاماً من أبناء الملوك، بعثه الله نبياً إلى بني إسرائيل حين عظمت الأحداث وعملوا المعاصي وقتلوا الأنبياء ليهديهم فكذبوه وقيدوه وسجنوه، فسلط الله عليهم نصراً البابلي (نبوخذ نصر)، فهدم بيت المقدس وخربها، وحرق التوراة، وقتل المقاتلة، وسبى الذرية. (انظر: المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ١/٢٧٥-٢٨٠).

(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ١/٣١٦.

(٥) المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ١/٢٨٦.

(٦) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١/١٢٣.

(٧) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، القسم الأول، الجزء الثاني، ص٢٠٠.

(٨) انظر: المرجع السابق، ص٢٠١.

(٩) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ١/٣١٦.

حفراً ونقشاً بالذهب فجعله كشتاسب في موضع بأصطخر ومنع من تعليمه العامة(١).

والزرادشتية هي المجوسية، والزرادشة هم المجوس الذين ذكروا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾(٢).

ويعتقد الزرادشة أن الله ﷻ جعل روح زرادشت في شجرة أنشأها في أعلى عليين وأحف بها سبعين من الملائكة المكرمين وغرسها في قمة جبل يعرف بـ "اسمويذخر"، ثم مازج "شبح زرادشت" بلبن بقرة فشربه أبو زرادشت فصار نطفة ثم مضغة في رحم أمه، وبذلك ولد "زرادشت" نبي المجوس، ويشير الشهرستاني إلى أن المجوس لهم نبي سابق لزرادشت وهو "كيومرث"، وهو المبدأ الأول، وزرادشت هو النبي الثاني، وقد ورد في تواريخ الهند والعجم أن "كيومرث" هو آدم عليه السلام، ونشأت عنه فرقة الكيومرثية الذين أثبتوا أصلين لله وهما "يزدان" وهو النور، و"أهرمين" وهو الظلمة، و"يزدان" أزلي قديم و"أهرمين" محدث مخلوق من فكرة رديئة في نفس "يزدان" غير مناسبة لطبيعة النور مما أدى إلى حدوث الظلام من هذه الفكرة، وسمي "أهرمين"، وكان مطبوعاً على الشر والفتنة والفساد والفسق(٣).

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١/١٢٤.

(٢) سورة الحج، الآية: ١٧.

(٣) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، القسم الأول، الجزء الثاني، ص١٩٤-٢٠١.

ويعتقد الزرادشيون بوجود إله للخير يسمونه "أهورامزدا"، ويقولون إنه إله النور والسماء، وأن غيره من الآلهة ليست إلا مظاهر له وصفات من صفاته، وهناك إله الشر ويسمونه "أهرمان"، ومعناه الخبيث أو القوى الخبيثة، وهو إله الظلمة، ولا يليق أن ينسب الشر إلى "أهورامزدا" لأن مصدره هو "أهرمان"[1]، «ومعنى اسم "أهورامزدا" بالفارسية أي "أنا وحدي خالق الوجود"»[2]. ومن عقائد الزرادشتية[3]:

أ) الصراع بين الروحين الخير والشر.

ب) النور والظلمة أصلان متضادان وهما مبدأ وجود العالم.

ج) الباري هو خالق النور والظلمة ولكن لا يجوز أن تنسب إليه الظلمة.

د) الصراع بين النور والظلمة مستمر حتى يغلب النور الظلمة.

«وقد رمزت الديانة الزرادشتية إلى الذات العليا برمزين ماديين مرئيين تقوى عقول الجماهير على إدراكهما، ويشتمل كلاهما على بعض مظاهر "أهورامزدا" على وجه التقريب والتمثيل، وهذان الرمزان أحدهما سماوي وهو الشمس والآخر أرضي وهو النار، وكلاهما عنصر مضيء طاهر لا يتطرق إليه الخبث والفساد، ومن هنا حرصت الديانة الزرداشتية على أن يوقد في كل هيكل من هياكلها

---

(١) انظر: موسوعة الأديان الميسرة، مجموعة من المؤلفين، ص٢٨٠.

(٢) الإسلام والأديان، مصطفى حلمي، ص٩٩.

(٣) انظر: وجاء دور المجوس، عبدالله الغريب، ص٢٢.

شعلة من النار وتظل مضيئة ويتعهدها "الموابذة"[١] و"الهرابذة"[٢] ويقدمون لها الوقود خمس مرات في اليوم»[٣].

«والزرادشتية ديانة حية ينتشر أتباعها الذين يبلغون قرابة ثلاثمائة ألف أو أكثر في أكثر من بقعة من العالم»[٤].

رابعاً: الدهريون:

الدهريون أو الدهرية هم ملة قديمة من مشركي العرب، وهم من قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٥]. وهم ينكرون وجود إله يتحكم بالكون والحياة والممات، ويقول الطبري في تفسير هذه الآية: «إنهم ينكرون أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم»[٦]، ويقول الشهرستاني: «إن الدهريين هم صنف من معطلة العرب الذين أنكروا الخالق والبعث والإعادة.. وقالوا بالطبع المحيي، والدهر

---

(١) الموبذ: القاضي، والموبذان للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين. (انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: موبذ، ٥١١/٣).

(٢) الهربذ بالكسر: واحد الهرابذة المجوس، وهم قومة بيت النار، وقيل: عظماء الهند أو علماؤهم. (انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: هربذ، ٥١٧/٣).

(٣) أطلس الأديان، سامي المغلوث، ص٦٠٠.

(٤) موسوعة الأديان الميسرة، مجموعة من المؤلفين، ص٢٨٠.

(٥) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٦) جامع البيان، الطبري، ١٣٧/١٠.

المفني»[1]، فنسبوا الحياة إلى الطبع المحسوس وأنه هو الذي يوفر الحياة للبشر، وأن الدهر هو من يفني، ويقول الرازي: «إنهم يقولون إن تولُّد الأشخاص إنما كان بسبب حركات الأفلاك الموجبة لامتزاج الطباع، وإذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة، وإذا وقعت على وجه آخر حصل الموت، فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك»[2]. وهؤلاء الدهريون هم من يسميهم شيخ الإسلام بالفلاسفة الدهرية الذين يزعمون أن السموات أزلية قديمة لم تزل، وأن الله لا يفعل شيئاً بمشيئته، ولا يجيب دعاء الداعي، بل ولا يعلم الجزئيات ولا يعرف هذا الداعي من هذا الداعي، ولا يعرف إبراهيم من موسى من محمد وغيرهم بأعيانهم من رسله، بل منهم من ينكر علمه مطلقاً، ومنهم من يقول إنه يعلم الكليات كابن سينا وأمثاله[3].

ويبين هنا شيخ الإسلام أن الدهرية هم من العرب، وقد وافقوا أقوال الفلاسفة اليونان وغيرهم من الأمم الأخرى، وقد أثر ذلك فيمن دخل علم الفلسفة من المسلمين مثل ابن سينا، مما جعله يقول قولهم ويحيد عن جادة الصواب. وعن تلاعب الشيطان بهؤلاء الدهرية، يقول ابن القيم: «هؤلاء قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، وهؤلاء فرقتان: فرقة قالت:

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، القسم الثاني، الجزء الثالث، ص٢١٥.
(٢) التفسير الكبير، الرازي، المجلد الرابع عشر، الجزء السابع والعشرون، ص٢٣١.
(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ١/٣٥٣.

إن الخالق سبحانه لما خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته ولم يقدر على ضبطها وإمساك حركتها، والفرقة الأخرى قالت: إن الأشياء ليس لها أول البتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل، فإذا خرج ما كان بالقوة إلى الفعل تكونت الأشياء مركباتها وبسائطها من ذاتها لا من شيء آخر»[1]. وأفكار الدهريين هذه وعقيدتهم قديمة وإن كانت في العصور المتأخرة تحت اسم الإلحاد، وفي ذلك يقول الدكتور عبدالرحيم المغذوي: «ليس الإلحاد وليد العصر الحاضر، وإنما هو من مخلفات أهل القرون الماضية»[2]. والدهريون هم الملاحدة في هذا العصر وإن اختلفت التسمية، فلو نظرنا إلى تعريف الدهرية وقارناه بتعريف الملاحدة لوجدناها بنفس المعنى، فالدهرية في موسوعة الأديان هي من فرق أهل الغلو نفوا الربوبية وجحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بصانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، وكذلك كان وكذلك يكون، والدهريون ينكرون البعث والحساب ويردون كل شيء إلى فعل الأفلاك ولا يعرفون الخير ولا الشر وإنما المنفعة واللذة[3].

أما تعريف مصطلح الإلحاد «فهو إنكار وجود الإله، وهو مصطلح متعلق بمفهوم اللاأدرية الذي يعتقد استحالة معرفة شيء عن طبيعة الخالق أو ما ليس مادياً»[4].

---

(١) إغاثة اللهفان، ابن القيم، ص٤٩٨-٤٩٩.

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ٢/٦٤٠.

(٣) انظر: موسوعة الأديان الميسرة، مجموعة من المؤلفين، ص٢٤٨.

(٤) معجم الأفكار والأعلام، هتشنسون، ترجمة: خليل راشد الجيوسي، ص٤١.

ومن هذه التعاريف نجد التوافق في إنكار الخالق ﷻ وإنكار البعث، والاتفاق على أن الكون هو من يسيِّر نفسه ويخلق نفسه دون تدخل من الله ﷻ؛ فالدهريون في السابق هم الملاحدة في العصور الحديثة الذين ذكرهم الله ﷻ في سورة الحج.

وفي نهاية هذا الفصل، وبعد أن تطرقنا إلى مفهوم الصحابة ﷺ، وذكر مكانتهم وفضلهم من الكتاب والسنة، بالإضافة إلى معنى الشرك، والمشركين، والأصناف التي تنسب إلى الشرك من الأديان الوضعية، كالوثنيين والصابئة والمجوس والدهريين، وذكر موجز عن كل نوع على حدة، فإن ذلك يُعد تمهيداً لما سيأتي من فصول نتكلم بها عن تفاصيل منهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب وما يتعلق بها.

الفَصْلُ الأوَّلُ

أسس وضوابط منهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب

وفيه مبحثان:

- **المَبْحَثُ الأَوَّلُ**

  أسس منهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في دعوة المشركين
  من غير أهل الكتاب

- **المَبْحَثُ الثَّاني**

  ضوابط منهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في دعوة المشركين
  من غير أهل الكتاب

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

أسس منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب

الأسس هي مبتدأ كل شيء[1]، وبها تبين الحدود، وهي أيضاً الأصل لكل شيء، وتعتمد عليها قوة ما فوقها، وبهذا يكون أساس منهج الصحابة هو الأصل والمبتدأ الذي منه بدؤوا إسلامهم وعقيدتهم، ومنه يستمدون قوة دعوتهم.

ومما لا شك فيه أن أسس منهج الصحابة في الدعوة هي كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وهما الأساسان الرئيسان لجميع أمور هذا الدين.

الأساس الأول: القرآن الكريم

يقول ابن قدامة رحمه الله: «ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة محفوظ في الصدور مسموع بالأذان مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي، ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، باب الثنائي المضاعف من المعتل، ٨/٥٣٧.

مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]، يقول تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2]»[3]، وفي هذا القول شرح موجز وبليغ لوصف القرآن الكريم، وقد جعل الصحابة رضي الله عنهم القرآن هو الركيزة الأساس لانطلاق دعوتهم، وهذه بعض الشواهد التي تبين ارتباط دعوة الصحابة بالقرآن الكريم وأنهم يسيرون وفق منهجه وعلى مشكاته.

أ) الشاهد الأول: الدعوة بقراءة القرآن:

قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[4]، إن القرآن له تأثير على المدعو وذلك من خلال كثير من الشواهد؛ ففي تلاوة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[5] تأثير على النجاشي وأساقفته، حتى إن النجاشي بكى حتى أخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم[6]. ومن قراءة القرآن على المشركين ما كان من مصعب بن عمير رضي الله عنه عندما قرأ القرآن على سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير رضي الله عنهما، وكان له تأثير عليهما حتى أسلما، وقصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن قرأ سورة "طه" وأثرها

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٣) لمعة الاعتقاد، ابن قدامة المقدسي، ص١٨.

(٤) سورة ق، الآية: ٤٥.

(٥) سورة مريم، الآية: ١.

(٦) النجاشي وأساقفته من أهل الكتاب، وقد ذكروا هنا للتدليل على قراءة القرآن في الدعوة بشكل عام.

فيه مما جعله يقول: «ما أحسن هذا الكلام وأكرمه»(١).

وهذه الطريقة التي انتهجها صحابة رسول الله ﷺ في الدعوة أصلها في كتاب الله ومؤيدة به، سواء كان سابقاً لها أم سابقة له، إلا أنها تعدُّ قاعدة وتأصيلاً لعمل أصحاب رسول الله ﷺ، وبالإضافة للآية السابقة فإن هناك آيات أخرى تؤيد هذا الأساس منها قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾(٢).

وفي هاتين الآيتين يتضح لنا عدة فوائد اعتمد عليها الصحابة رضي الله عنهم في دعوتهم، **فالفائدة الأولى**: هي إيمان الصحابة أن هذا القرآن حق من عند الله وما فيه حق، وأنه أنزل على محمد ﷺ، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾، يقول الإمام الطبري: «أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة والأمور المستحسنة الحميدة، ونزل من عند الله على نبيه محمد ﷺ»(٣)، وعند القرطبي: «أوجبنا إنزاله بالحق ونزل فيه الحق»(٤)، «وقد وصف القرآن بصفتين عظيمتين كل واحدة منهما تحتوي على ثناء عظيم وتنبيه للتدبر فيهما، فالحق في الأولى الثابت الذي لا ريب فيه ولا كذب، فهو كقوله تعالى:

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٣٢١.
(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠٥- ١٠٦.
(٣) جامع البيان، الطبري، ٧/٥٠٧.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثاني، المجلد الخامس، ص٤٧١.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾[1]، وهـو رد لتكذيـب المشركين أن يكـون القـرآن وحياً من عنـد الله، ومعنى الحق الثـاني مقابـل البـاطل»[2]، وفي قولـه تعـالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[3] تأكيـد على ذلـك، والآيـات في هـذا المعنى كثيرة.

أمـا الفائـدة الثانيـة: فهـي إيمـان الصحابة أن الدعـوة هـي مـن مهـام الرسـل وأتباعهـم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾، وقـد أتـت بعـد الحديـث عـن القـرآن ممـا يؤكـد أن الدعـوة بالقـرآن لهـا تأثير، يقـول الله ﷻ للرسـول ﷺ: «إنـما أرسـلناك للدعـوة والتبليـغ "مبشـراً" مـن أطاعنـا بالجنـة و "منـذراً" مـن عصانـا مخوفـاً مـن النـار»[4]. فارتبـاط الفائـدة الأولى ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾ بالفائـدة الثانيـة دليـل على مـدى تأثير القرآن على المدعـو وأنـه أنـزل للدعـوة ﴿مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾.

الفائـدة الثالثـة: هـي تفصيـل هـذا القـرآن ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ﴾، وتسـهيله للقـارئ والمستمع، وذلـك بأن أنزلـه الله على مـدى ثلاثـة وعشرين عامـاً مبينـاً مفسـراً ومفصـلاً واضحـاً ولم ينـزل دفعـة واحـدة[5]. وهـذا مـا يسـهله للداعـي والمدعو، وهـو مـا فعلـه صحابـة رسـول الله ﷺ. ومـن الآيات أيضـاً قولـه تعـالى:

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد السادس، الجزء الخامس عشر، ص٢٢٩.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦.

(٤) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٣/٢٣٢.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري، ٧/٥٠٧.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(١)، ففي هذه الآية أمر من الله ﷻ إلى النبي ﷺ بأن يذكر بالقرآن ويجعل قراءته دعوة بذاتها، فقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ «أي: بلغ أنت رسالة ربك فإنما يتذكر من يخاف الله وعيده ويرجو وعده»(٢).

فالدعوة بالقرآن أصل من أصول الدعوة التي اعتمد عليها الصحابة ﷺ من خلال ما غرسه الرسول ﷺ في أصحابه.

ومن الشواهد أيضاً في هذا المجال إسلام ثابت بن قيس ﷺ، حيث ما كاد أن يستمع إلى ترتيل مصعب بن عمير ﷺ حتى أسر القرآن قلبه وشرح صدره للإسلام(٣).

ب) الشاهد الثاني: تكسير الأصنام وإهانتها:

قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾(٤)، إن بيان خطأ المعتقد بإيقاظ العقل وحثه على التفكير أمر ورد في كتاب الله في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، وطبقه الصحابة ﷺ. وذلك كما في قصة إسلام عمرو بن الجموح ﷺ بسبب ما فعله ابنه معاذ ومعاذ بن جبل وفتيان من الأنصار. حيث كان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم وكان له صنم في داره يقال له "مناة" يتخذه إلهاً ويطهره،

(١) سورة ق، الآية: ٤٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٠٦/١٣.
(٣) انظر: موارد الظمآن لدروس الزمان، عبدالعزيز محمد السلمان، ١٩١/٦.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.

وكان ابنه معاذ ومعاذ بن جبل وفتيان من بني سلمة قد أسلموا فيدلجون بالليل على صنم عمرو فيحملونه فيطرحونه منكس الرأس في بعض حفر بني سلمة فيها عذر الناس، وإذا أصبح قال: ويلكم! من عدا على إلهنا هذه الليلة؟ ثم يذهب يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه وأعاده مكانه، فإذا نام فعلوا به مثلها، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه وغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال: إني والله لا أعلم من يفعل بك هذا، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك، فلما أمسى ونام عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه وقرنوه مع كلب ميت وألقوه في بئر من أبيار بني سلمة فيها عذرة من عذر الناس، فلما أصبح عمرو غدا إلى إلهه فلم يجده مكانه فبحث عنه فوجده في تلك البئر منكساً على رأسه مقروناً بكلب ميت فلما رآه وأبصر شأنه عرف أنه على ضلال، وكلمه من كلمه من قومه فأسلم وحسن إسلامه ﷺ وقال في هذا الصنم:

والله لو كنت إلهاً لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قرن

أُف لملقاك إلهاً مستدنْ ... الآن فتشناك عن سوء الغُبن[1]

إن ما قام به معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل ومن معهم ﷺ في دعوة عمرو بن الجموح ﷺ له أصل وأساس في كتاب الله من قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه عند تحطيم الأصنام، قال تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[2]،

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/ ٤١١.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٥٧-٥٨.

وقال تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾[1]، ففي تحطيم الأصنام رجوع للعقل والتمييز، وهذا ما قام به معاذ وأصحابه من إلقاء إله عمرو بن الجموح في حفرة القذارة ليبينوا له أن إلهه لا يستطيع أن ينقذ نفسه أو ينفعها مما جعله يعلق سيفه عليه ليرى هل يدافع هذا الإله عن نفسه أم لا، كذلك ما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2]، «فذكروا حين قال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ في أنفسهم ورجعوا إلى عقولهم ونظر بعضهم إلى بعض فقالوا: إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه وقولكم له: من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرتكم فاسألوها»[3]. ويقول الإمام الرازي: «إنه عندما لم يستطع إقناعهم بالدلالة العقلية لجأ إلى الدلالة الفعلية وهي قوله: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ وأراهم عليه السلام عدم الفائدة من عبادتها، وفي قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ أن إبراهيم عليه السلام لما نبههم بما أورده عليهم وعلى قبح طريقتهم تنبهوا فعلموا أن عبادة الأصنام

(١) سورة الصافات، الآية: ٩٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٦٢-٦٤.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٨/٥٣.

باطلة وأنهم على غرور وجهل في ذلك»[1]. يقول الإمام القرطبي: «إن إبراهيم بيَّن أن من لا يتكلم ولا يعلم لا يستحق أن يعبد، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ ليقولوا: إنهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون فيقول لهم: لم تعبدونهم؟ فتقوم عليهم الحجة»[2]، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾[3].

وفي قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ قال السيوطي: «كايدهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون»[4]، «كما كايد معاذاً عمرو بن الجموح لعله يرجع ويبصر، وأراد إبراهيم عليه السلام أن يبين لقومه أن من لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة ولا يصح في العقل أن يطلق عليه أنه إله»[5]، فكذلك أراد معاذ ومن معه.

وفي قصة إسلام أبي الدرداء على يد عبد الله بن رواحة رضي الله عنهما مثال آخر لما سبق، وذلك عندما كان أبو الدرداء متعلقاً بصنم له، وقد وضع عليه منديلاً، وكان عبدالله بن رواحة يدعوه إلى الإسلام فيأبى، وكان له أخاً في الجاهلية قبل الإسلام، فلما رآه قد خرج من بيته خالفه فدخل بيته، وأعجل امرأته، وأنها

(١) التفسير الكبير، الرازي، المجلد الحادي عشر، الجزء الثاني والعشرون، ص١٥٧- ١٥٩ (بتصرف).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثاني، المجلد السادس، ص١٥٢.
(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٥-٦٦.
(٤) الدر المنثور، السيوطي، ٤/٥٧٨.
(٥) فتح القدير، الشوكاني، ٣/٩١.

لتمشط رأسها فقال: أين أبو الدرداء؟ فقالت: خرج أخوك آنفاً فدخل بيته الذي فيه الصنم ومعه القدوم فأنزله، وجعل يقدده فلذاً فلذاً[1]، وهو يرتجز سراً من أسماء الشياطين كلها ويقول: "ألا كل ما يدعى مع الله باطل"، ثم خرج وسمعت المرأة صوت القدوم وهو يضرب ذلك الصنم فقالت: أهلكتني يا ابن رواحة، فخرج على ذلك فلم يكن شيء حتى أقبل أبو الدرداء إلى منزله فوجد المرأة قاعدة تبكي شفقاً منه، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك عبد الله بن رواحة دخل عليَّ فصنع ما ترى، فغضب غضباً شديداً ثم فكر في نفسه فقال: لو كان عند هذا خير لدفع عن نفسه، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ ومعه ابن رواحة فأسلم[2]. وفي تكسير صنم أبي الدرداء مشابهة لما قام به إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾، إلا أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان أكثر عقلاً وبصيرة من قوم إبراهيم عليه السلام الذين عرفوا الحق وأنكروه، ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾، يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: «أي قلبهم الله رأساً على عقب فبعد أن عرفوا الحق ولاموا على أنفسهم عادوا إلى الجدال الباطل»[3].

---

(١) الفِلْذَة بالذال المعجمة: القطعة من الشيء، والجمع فِلَذ، مثل: سِدْرَة وسِدَر, وفَلَذْت له من الشيء فَلْذاً من باب ضرب: قَطَعْتُ. (انظر: المصباح المنير، الفيومي، كتاب الفاء، ص٢٤٩).

(٢) انظر: المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٥٣٢، ٥٢/٤.

(٣) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٤٢٤/٣.

وفي هذا توافق بين دعوة الصحابة وما ورد في القرآن الكريم من قصص وتعاليم اقتفوها وعملوا على ضوئها.

ج) الشاهد الثالث: حكمة الصحابة ﭫ في دعوتهم:

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1]، إن الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن أصل من أصول الدعوة التي أمر الله بها في الآية السابقة، وقد طبق هذا في دعوة المشركين كثير من الصحابة؛ ففي دعوة مصعب بن عمير لسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير رضي الله عنهما مثال لما أمر الله به في الآية، ذكر ابن هشام في "السيرة": أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير في المدينة يدعو الناس إلى الإسلام فجلسا إلى حائط لبني ظفر واجتمع إليهم رجال ممن أسلم، وسمع بهم سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير وهما سيدا قومهما بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه، فأرسل سعد بن معاذ أسيداً إليهم، فلما رأوه قادماً إليهم قال أسعد لمصعب: إن هذا سيد قومه فاصدق الله فيه، فوقف أسيد متشتماً فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن فقالا: والله لقد عرفنا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم في إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله، ثم اغتسل وأسلم وصلى ركعتين ثم قال: إن ورائي رجلاً

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما، فأتاهما سعد بن معاذ ففعل مثل صاحبه، فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً رغبت فيه وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن فأسلم واغتسل وصلى ركعتين(١).

فحكمة مصعب بن عمير رضي الله عنه والموعظة الحسنة التي وعظ بها أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما كان لها تأثير عظيم وسريع، فكان من حكمته أن كلمهم بأسلوب العقل وذلك أنه قال لهم: «إن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كُف عنك ما تكره» فلم يجعل لهما مجالاً للرفض.

والحكمة لها معانٍ كثيرة ومتعددة، ومن هذه المعاني: «أنها الإصابة في القول والفعل، وقبله سرعة الجواب مع الإصابة»(٢). وهذا الذي فعله مصعب رضي الله عنه جعل له قبولاً لدى المدعوين، كما أن قراءة القرآن عليهم هي من الحكمة، فعند الطبري رحمه الله: «أن الحكمة في الآية هي وحي الله الذي يوحيه إلى الرسول ﷺ وكتاب الله الذي أنزله عليه»(٣)، ويقول الإمام القرطبي: «إن الله أمر الرسول ﷺ في هذه الآية أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف»(٤). وجميع هذه المعاني تنطبق على دعوة مصعب بن عمير رضي الله عنه من لطف ولين وإصابة في القول والفعل وقراءة القرآن.

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٣٩٦/١.
(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي القحطاني، ص٢٦.
(٣) جامع البيان، الطبري، ٢٨٥/٧.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثاني، المجلد الخامس، ص٣٨٠.

ومن ذلك قصة أبي بكر الصديق في دعوة عثمان بن عفان رضي الله عنهما فيما ذكره ابن عساكر عندما تكهنت له خالته سعدى بنت كريز فبشرته بزواجه من ابنة محمد بن عبدالله النبي الذي يأتيه التنزيل من ربه، يقول عثمان: فوقع كلامها في قلبي وكان لي مجلس عند أبي بكر فأتيته فرآني مفكراً فسألني فأخبرته بما سمعت من خالتي، فقال: ويحك يا عثمان، إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل، هذه الأوثان التي يعبدها قومنا أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع، قلت: بلى والله إنها كذلك، فقال: والله صدقتك خالتك، هذا رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله قد بعثه الله تعالى برسالته إلى خلقه، قال: فوالله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت[1].

فطريقة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في عرض الإسلام على عثمان بن عفان رضي الله عنه وما فيها من الإصابة في القول كانت داعياً لقبوله، وذلك بما ذكره من وصف عبادة قومه، وما فيها من ضلال، وبعد أن استشف قبول عثمان لرأيه عرض عليه دعوة الرسول ﷺ، فعدم عرض الدعوة في البداية عليه فيها من الحكمة ما جعله يعرف مدى قبوله لها من عدمه، كما أن في طريقة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الموعظة الحسنة واستمالة المدعو ما جعله يستحضر جميع أفكاره في تلك اللحظة التي أعلن فيها إسلامه.

---

(١) انظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٥/٣٩٠.

د) الشاهد الرابع: الاهتمام بدعوة ذوي القربى:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]. لقد احتلت دعوة ذوي القربى عند الصحابة أولوية، فهذا سعد بن معاذ رضي الله عنه عندما أسلم عاد إلى قومه مباشرة فلما وقف عليهم قال: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ﷺ، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة[2]؛ فبدأ بالأقربين قبل غيرهم ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾. وأيضاً دعوة الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه عندما أسلم استأذن الرسول ﷺ بالذهاب إلى قومه لدعوتهم وطلب منه أن يجعل له آية تكون عوناً عليهم، ويحدث رضي الله عنه عن نفسه فيقول: حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح، فقلت: اللهم في غير وجهي إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم، قال: فتحول فوقع في رأس سوطي، قال: فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الثنية، قال: حتى جئتهم فأصبحت فيهم، قال: فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً، قال فقلت: إليك عني يا أبت فلست مني ولست منك، قال: ولم يا بني؟ قال قلت: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ، قال: أي بني فديني دينك، قال فقلت: فاذهب واغتسل فذهب

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٢١٣- ٢١٤.

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٣٩٨/١.

فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم، ثم أتتني صاحبتي فقلت: إليك عني فلست مني ولست منك، قالت: لِمَ بأبي أنت وأمي؟، قال: قد فرق بيني وبينك الإسلام وتابعت دين محمد ﷺ، قالت: فديني دينك، قال فقلت: فاذهبي إلى حمى ذي الشرى[1] فتطهري، فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت[2]. فكان أول من أنذر الطفيل رضي الله عنه عشيرته الأقربين وهما والده وزوجته وهما الأقرب فالأقرب، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، «أي الأقرب فالأقرب»[3]، وقال الإمام الطبري: «الأقربين إليك قرابة»[4]، ويقول الحافظ ابن كثير: «هم الأدنين إليه»[5]. ويوضح الإمام الشوكاني سبب تخصيص الأقربين «لأن الاهتمام بشأنهم أولى وهدايتهم إلى الحق أقوم»[6].

ومن هذا أيضاً دعوة طليب بن عمير رضي الله عنه لأمه أروى بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ التي ذكرها ابن سعد في "الطبقات" قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه قال: أسلم طليب بن عمير في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ثم خرج فدخل على أمه

---

(١) ذو الشرى صنم لدوس وكان له حمى حموه له وبه وشل من ماء يهبط من الجبل. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣/ ٣٣٠).

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص١٣٣- ١٣٤.

(٣) التفسير الكبير، الرازي، المجلد الثاني عشر، الجزء الرابع والعشرون، ص١٤٨.

(٤) جامع البيان، الطبري، ٨/ ٦٣٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٠/ ٣٧٤.

(٦) فتح القدير، الشوكاني، ٣/ ٢٨٠.

أروى بنت عبد المطلب فقال: تبعت محمداً وأسلمت لله، فقالت له أمه: إن أحق من آزرت وعضدت خالك، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه وذببنا عنه، فقال طليب: فما يمنعك يا أمي من أن تسلمي وتتبعيه فقد أسلم أخوك حمزة، ثم قالت: أنظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن، فقال طليب: فإني أسألك بالله إلا أتيته فسلمت عليه وصدقته وشهدت ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وكانت تعضد النبي ﷺ بلسانها وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره(١).

فهذا طليب رضي الله عنه بعد إسلامه مباشرة ذهب إلى والدته ليدعوها إلى الإسلام، وفي تأكيد هذا الأمر ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾(٢)، فأمر الله ﷻ المؤمنين بأن يتقوا النار هم وأهلوهم قبل أي أحد آخر.

هـ) الشاهد الخامس: الإجارة من أجل الدعوة:

قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾(٣). وعلى هذا الأساس كانت دعوة أبي ذر رضي الله عنه لحويطب بن عبد العزى، قال حويطب: لما دخل رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، طبقات البدريين من المهاجرين، ١٢٣/٣.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦.

مكة خفت خوفاً شديداً فخرجت من بيتي وفرقت عيالي في مواضع يأمنون فيها فانتهيت إلى حائط عوف فكنت فيه فإذا أنا بأبي ذر الغفاري وكانت بيني وبينه خلة -والخلة أبداً مانعة-، فلما رأيته هربت منه فقال: أبا محمد، فقلت: لبيك، قال: ما لك؟ قلت: الخوف، قال: لا خوف عليك أنت آمن بأمان الله ﷻ، فرجعت إليه فسلمت عليه فقال: اذهب إلى منزلك، قلت: هل لي سبيل إلى منزلي؟ والله ما أراني أصل إلى بيتي حياً حتى ألفى فأقتلع أو يدخل عليَّ منزلي فأقتل، وإن عيالي لفي مواضع شتى، قال: فاجمع عيالك في موضع وأنا أبلغ معك إلى منزلك، فبلغ معي وجعل ينادي عليَّ: أن حويطباً آمن فلا يهج، فذهب أبو ذر إلى الرسول ﷺ فأخبره فقال ﷺ: أو ليس قد أمن الناس كلهم إلا من أمرت بقتلهم؟ قال: فاطمأننت ورددت عيالي إلى منازلهم وعاد إليَّ أبو ذر فدعاني إلى الإسلام فخرجت معه إلى الرسول ﷺ وسلمت عليه وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله(١).

وفي هذا الشاهد تطبيق لما ورد في الآية من سورة التوبة، فقد استجار حويطب بأبي ذر رضي الله عنه وأجاره ﴿فَأَجِرْهُ﴾ ثم قام أبو ذر بدعوة حويطب للإسلام ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٨/٦٩.

كما أن إجارة أم هانئ رضي الله عنها لرجل أراد أن يقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قال لها رسول الله ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[1] تنطبق عليها الآية السابقة من إجارة المشركين، كما كان لإجارتها أثر على من أجارت في أن يبقى بين المسلمين ومن ثم يدخل الإسلام؛ وقيل إنه الحارث بن هشام.

وفي هذا نجد أن أبا ذر وأم هانئ رضي الله عنهما قد طبقا ما ورد في الآية السابقة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، قال القرطبي: «من الذين أمرتك بقتالهم»[2]، فكان حويطب والحارث بن هشام من المشركين المقاتلين، وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ فقد طلبوا الاستجارة بالصحابة فأجاروهم مما أدى إلى تأمين الرسول ﷺ من أجارا، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ فقد دعا أبو ذر حويطباً للإسلام فأجابه وسمع كلام الله من الرسول ﷺ.

و) الشاهد السادس: قتال المشركين من أجل الدعوة:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[4]. وهذا ما قام به علي بن أبي

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن، رقم ٣١٧١، ص٥٢٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثاني، المجلد الرابع، ص٣١٠.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٥.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

طالب رضي الله عنه عندما أرسله الرسول ﷺ في سرية إلى اليمن في ثلاثمائة فارس فكانت خيلهم أول خيل دخلت تلك البلاد، فلقي جمعاً فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا أصحابه بالنبل والحجارة، فلما رأى أنهم لا يريدون إلا القتال دفع اللواء إلى مسعود بن سنان السلمي فتقدم به فبرز رجل من مذحج يدعو إلى البراز فبرز إليه الأسود بن خزاعي فقتله الأسود وأخذ سلبه ثم حمل عليهم علي وأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا وتركوا لواءهم قائماً فكف عن طلبهم ودعاهم إلى الإسلام فسارعوا وأجابوا، وتقدم نفر من رؤسائهم فبايعوه على الإسلام وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله[1].

إن ما حصل من علي رضي الله عنه هو مطابق لما ورد في الآيات السابقة؛ فقد قاتل المشركين حتى تابوا وأسلموا وأدوا الزكاة. يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾ «أي: لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم، بل اقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام»[2]، وذلك ما قام به علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الذهاب إليهم في معاقلهم وقتالهم حتى أسلموا. ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ «أي: فإن رجعوا عما نهاهم عنه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد ﷺ»[3]، ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾،

---

(١) انظر: المغازي، الواقدي، ص٧١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/١٤٨.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٥/٨٢١.

«أي: اتركوهم وشأنهم فلا تأسروهم ولا تحصروهم ولا تقتلوهم»[1]. هذه الآيات أصل لما قام به علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مقاتلة المشركين.

ز) الشاهد السابع: بيان عزة الإسلام في الدعوة:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[2]، ومن هذا كتاب خالد بن الوليد إلى أهل فارس، فعن أبي وائل رضي الله عنه قال: كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى رستم ومهران[3] وملأ فارس، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنا ندعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم فإن معي قوماً يحبون القتل في سبيل الله كما تحب فارس الخمر، والسلام على من اتبع الهدى»[4]. ففي كتاب خالد بن الوليد هذا دعوة للإسلام "ندعوكم إلى الإسلام" مع عزة وقوة "وأنتم صاغرون"، وفي الآية السابقة أصل وأساس لما قام به خالد بن الوليد رضي الله عنه. وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[5]، لم يدع خالد بن الوليد رضي الله عنه الفرس إلى السلم والموادعة لأنه يعلم أن الإسلام هو الأعلى ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ بل طلب منهم الخضوع لحكم الإسلام وهم صاغرون كما في كتابه إلى هرمز صاحب

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، ٢/٢٢٠.
(٢) سورة محمد، الآية: ٣٥.
(٣) رستم ومهران من قادة الفرس الذين حاربوا المسلمين.
(٤) المعجم الكبير، الطبراني، باب الخاء، باب من اسمه خالد، خالد بن الوليد المخزومي، رقم ٣٨٠٦، ٣/٩٥٤.
(٥) سورة فاطر، الآية: ١٠.

الثغر: «أما بعد فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك الذمة وأقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»[1]، وكأن لسان حال خالد بن الوليد رضي الله عنه وجيشه يطبق الآية في سورة المائدة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾[2].

ففي قوله تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ يقول ابن عاشور: «إن محبة العبد ربه انفعال النفس نحو تعظيمه والأنس بذكره وامتثال أمره والدفاع عن دينه»[3]، وكان ذلك في خالد بن الوليد وجيشه رضي الله عنهم وهي محبة الشهادة في سبيل الله والفوز بلقائه سبحانه. وقوله تعالى: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ «أي يظهرون الغلظة والترفع على الكافرين»[4]، ويقول ابن كثير: «أي متعززاً على خصمه وعدوه»[5]، ومثلها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾[7]. يقول الشيخ السعدي في قوله تعالى: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: «أعزة قد اجتمعت هممهم

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/٣٠٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد الثالث، الجزء السادس، ص٢٣٦.
(٤) التفسير الكبير، الرازي، المجلد السادس، الجزء الثاني عشر، ص٢١.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/٢٦٠.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٧٣.
(٧) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم»[1].

وأمثال كتاب خالد بن الوليد من الشواهد كثير، فهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يرى أن يرسل وفداً مكوناً من تسعة من المسلمين إلى رستم عندما طلب منه ذلك، إلا أن ربعي بن عامر قال: إن الأعاجم لهم آراء وآداب ومتى نأتهم جميعاً يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل.

ففعل سعد بن أبي وقاص وأرسل ربعي بن عامر إلى رستم فوطأ ربعي بن عامر بفرسه على البسط وربطها بالوسائد فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت، فأخبروا رستم فقال: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق والبسط فما ترك لهم نمرقة ولا بساطاً إلا أفسده، فجاء حتى جلس على الأرض وقال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم، فكلمه وقال: ما جاء بكم؟ قال ربعي: الله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله، قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي، وأرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعده حذيفة بن محصن ثم المغيرة بن شعبة وكلهم فعل كما فعل وقال مثلما قال[2]، وكأن لسان حالهم يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢٥٩.

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/٤٠١.

وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

ح) الشاهد الثامن: بيان بطلان دين المشركين:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾[2]. وقد طبق ما في هذه الآية عدد من الصحابة منهم ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه وذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعيره عند باب المسجد، إلى أن قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إن يصدق ذو العقيصتين دخل الجنة**»، قال: فأتى إلى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى! قالوا: مه يا ضمام، اتق البرص والجذام، اتق الجنون، قال: ويلكم، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال: يقول ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة[3]. وفي قول ضمام بن ثعلبة: «إنهما والله لا يضران ولا ينفعان» موافقة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣.

(٣) انظر: المسند، الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عباس، رقم ٢٣٨٠، ١/٦٩١. حديث حسن (الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، المجلد العاشر، القسم الثاني، رقم ٤٩٩٢، ص٧٥٠).

ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ، وقد ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع أن هذه الآلهة لا تضر ولا تنفع كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾(2)، وفي خطابه تعالى لبني إسرائيل عندما صنعوا العجل قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾(3)، كما أن هناك آيات أخرى تدل على أن ما يعبدونه من دون الله لا يضر ولا ينفع.

وفي قصة دعوة عبدالله بن رواحة رضي الله عنه لأبي الدرداء وتحطيم صنمه إشارة إلى أن هذا الصنم لا يستطيع أن يضر من حطمه، وقصة إسلام عمرو بن الجموح وما فعله ابنه معاذ ومعاذ بن جبل رضي الله عنه من إهانة لصنم عمرو بن الجموح حتى أثبتوا له أنه صنم لا يستطيع أن يدافع عن نفسه فكيف ينفع غيره أو يضرهم؟ كما أن هناك شاهداً في قصة إسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه التي ذكرناها سابقاً، عندما قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ويحك يا عثمان، إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأوثان التي يعبدها قومنا؟ أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع؟ قال قلت: بلى والله إنها كذلك، قال: فقد والله صدقتك خالتك، ثم بعد ذلك أخذه إلى رسول الله ﷺ وأسلم في لحظته رضي الله عنه.

(1) سورة المائدة، الآية: ٧٦.
(2) سورة الرعد، الآية: ١٦.
(3) سورة طه، الآية: ٨٩.

وقول أبي بكر ﷺ: إن هذه الحجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع هو استلهام لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾(١).

يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآيات: «هذا في بيان عدم استحقاق هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله بشيء من العبادة؛ لأنها ليس لها استطاعة ولا اقتدار في نصر أنفسهم ولا في نصر عابديها، وليس لها قوة العقل والاستجابة، فلو دعوتها إلى الهدى لم تهتد، وهي صور لا حياة فيها»(٢)، وكأنه رحمه الله يعيد كلام أبي بكر الصديق لعثمان بن عفان رضي الله عنهما.

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٩٧- ١٩٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣٥٥.

ط) الشاهد التاسع: إظهار الحق وعدم كتمه:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

هذه الآية مطابقة لما قام به النجاشي من دعوة عمرو بن العاص رضي الله عنهما عندما ذهب إلى الحبشة بعد غزوة الخندق، قال عمرو بن العاص: «لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون مكاني ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله إني لأرى أمر محمد يعلو علواً منكراً، إلى أن قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حيث قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال: مرحباً بصديقي، أأهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال قلت: نعم أيها الملك قد أهديت لك أدماً كثيراً، قال: ثم قدمته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أن قد كسره فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، فقال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟ قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ فقال: ويحك يا

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٢.

عمرو، أطعني واتبعه فإنه والله لعلى حق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: فقلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده وبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي...» (١) الحديث.

فالنجاشي ملك الأحباش، وقد عُدَّ من الصحابة لم يلبس الحق بالباطل فقد كان على دين النصرانية ولديه علم من الإنجيل فعرف الحق ولم يكتمه بل أسلم وأبلغ به عمرو بن العاص ودعاه إلى الإسلام، فقوله: "فإنه والله لعلى حق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده" هذا هو العلم بالحق، أما قوله: "أطعني واتبعه" فهذه هي دعوة النجاشي لعمرو لاتباع الحق وعدم إنكاره أو كتمه، ولم يمنع النجاشيَّ مكانته وملكه والتابعون له من أن يظهر الحق عندما عرفه لعمرو بن العاص، ولعلمه السابق بالتوراة والإنجيل فإنه يجد نعت النبي محمد ﷺ ومبعثه، وقد ذكر الله ﷻ وجود ذكر النبي ﷺ في كتب أهل الكتاب وأن من اتبعه هم المفلحون، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ

(١) انظر: المسند، الإمام أحمد، مسند الشاميين، رقم ١٧٩٣٠، ٦/٩٨-١٠٠. حديث حسن (الألباني، إرواء الغليل، ٥/١٢٣).

﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1]، فكان النجاشي رضي الله عنه من المفلحين.

ي) الشاهد العاشر: أن الإسلام دين مغفرة ورحمة:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2]. هذه الآية توافق ما قام به بجير بن زهير بن أبي سلمى عندما دعا أخاه كعباً وذلك لما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف، كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب يقول له: «إن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة، ممن كان يهجوه ويؤذيه وإن من بقي من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض»، وكان كعب قد أرسل قصيدة إلى بجير يعتب عليه على إسلامه ويهجو الرسول ﷺ فأهدر الرسول دمه، فلما بلغ كعباً الكتاب أشفق على نفسه وكتب قصيدة مدح واعتذار للرسول ﷺ والتي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يُفد مكبول

وقدم إلى المدينة وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم ألقى قصيدته أمام الرسول ﷺ[3]. وقوله: ﴿ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ موافق لما فعله

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٣) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٤٢٤ - ٤٢٦.

كعب من الشرك والتعرض للرسول ﷺ بالشعر حتى أهدر الرسول ﷺ دمه، وإرسال بجير كتاباً إلى كعب يطلب منه المجيء إلى الرسول في قوله: «فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً» متوافق في معناه مع قوله تعالى: ﴿جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، يقول الشيخ السعدي: «ثم أخبر عن كرمه العظيم وجوده ودعوته لمن اقترف السيئات بأن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ﴾ أي معترفين بذنوبهم باخعين بها»[(١)]، وقد طبق كعب ما دعاه إليه أخوه بجير من الاستغفار والتوبة وطلب العفو من الرسول ﷺ، وكان له ما وعد الله في الآية: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾، ويقول الله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[(٢)]، وقد أخبر بجير بن زهير أخاه كعباً بأن رسول الله ﷺ سوف يعفو عنه ويحسن إليه فعفا الرسول ﷺ عنه وأعطاه بردته التي عليه[(٣)] فكأن دعوة بجير رضي الله عنه استخلصت من هذه الآية.

ك) الشاهد الحادي عشر: تنزيه الله عن الزوجة والولد:

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[(٤)]. في هذه الآية تأييد لما أخرجه ابن أبي

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٩٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٣.
(٣) انظر: أسد الغابة، ابن الأثير، ٣/٥٣٠.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي أن قريشاً قالت: قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلاً يأخذه، فقيضوا لأبي بكر طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم فقال أبو بكر: إلام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، قال أبوبكر: وما اللات؟ قال: أولاد الله، قال: وما العزى؟ قال: بنات الله، قال أبو بكر: فمن أمهم؟ فسكت طلحة فلم يجبه، فقال لأصحابه: أجيبوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[1]، فأراد أبو بكر الصديق رضي الله عنه هنا أن يبين للمشركين كيف يكون لله ولد أو بنت ولم يكن له زوجة، وكأنه بذلك يقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾، يقول ابن كثير: «كيف يكون له ولد والولد إنما يكون متولداً من شيئين متناسبين والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه لأنه خالق كل شيء فلا صاحبة له ولا ولد»[2]. فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخاطب المشركين على قدر أفهامهم وأنه إن لم يكن هناك أم للولد أو زوجة لله –تعالى الله عما يقولون– فكيف يكون هناك ولد في الأصل، وهذا ما قالته الجن أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[3]، كما أن الله ﷻ يرد عليهم بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[4].

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٤/٥٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/١٢٢.
(٣) سورة الجن، الآية: ٣.
(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٥١- ١٥٢.

الأساس الثاني: سنة الرسول ﷺ

إن سنة رسول الله ﷺ تعد هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الرئيسة للإسلام، ولها تعريفات متعددة حسب المعرف والغرض من التعريف، إلا أنها جميعها ترتبط بالرسول ﷺ في جميع أحواله، ومن هنا كانت سنته ﷺ أساساً للدعوة إلى الله تعالى، وإلى دينه، وبذلك فإن ما قام به الصحابة من دعوة للمشركين لا يعدو أن يكون قبساً من قبسات النبوة التي أضاءت لهم، وكانت هي النور الذي يمشون فيه، ويهتدون به. ومن هذا الأساس سوف نوضح مدى ترابط سنة رسول الله ﷺ وما قام به صحابته في دعوة المشركين، وذلك من خلال دراسة شواهد من دعوتهم رضي الله عنهم، وما يربطها بالسنة النبوية المتعلقة بالرسول ﷺ.

أ) الشاهد الأول: تعلم القرآن والدعوة به:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**»[1]. وهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه تعلم القرآن وأصبح يدعو به ويعلمه الناس، وذلك عندما أرسله ﷺ إلى المدينة وكان يسمى بالمدينة بالمقرئ[2]، وعندما حضر إليه أُسيد بن حضير متشتماً ومهدداً دعاه مصعب إلى أن يجلس ويسمع منه، وذكر ابن هشام: أن مصعب بن عمير قال له: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم ٥٠٢٨، ص٩٠١.

(٢) انظر: أسد الغابة، ابن الأثير، ٤/ ١٣٤.

يذكر عنهما: والله لعرفنا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم، ومن ثم أتاهم سعد بن معاذ وقال لهم مثل قول أسيد، وقال له مصعب كقوله لأسيد، وقرأ عليه القرآن فأسلما رضي الله عنهما أجمعين.

وهنا نجد أن مصعباً رضي الله عنه تعلم القرآن وأصبح مقرِئاً له، فكان يدعو الناس إلى الإسلام بالقرآن، وقد مكث في المدينة يدعو ويعلم حتى عاد إلى مكة ومعه سبعون رجلاً من الأنصار، وقابلوا الرسول ﷺ في العقبة الثانية، ويعد هو أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يأتي الأنصار في دورهم ويدعوهم ويقرأ عليهم القرآن فيسلم الرجل والرجلان حتى ظهر الإسلام وفشا في دور الأنصار، وكان يقرِئُهم القرآن ويعلمهم[1]، وكأنه رضي الله عنه يطبق ما ورد في حديث الرسول ﷺ: «**تعلم القرآن وعلمه**».

ومن ذلك أيضاً عندما بعث عمرو بن الجموح إلى مصعب بن عمير بعد قدومه المدينة فقال: ما هذا الذي جئتمونا به؟ قالوا: إن شئت جئناك فأسمعناك القرآن، قال: نعم، فقرأ عليه صدراً من سورة يوسف[2]، فدعاه من خلال قراءة القرآن الكريم عليه.

وكذلك ثابت بن قيس الأنصاري رضي الله عنه وهو أحد السابقين للإسلام ما كاد أن يستمع إلى الذكر الحكيم يرتله مصعب بن عمير بصوته الشجي وجرسه الندي حتى شرح الله صدره للإيمان وأعلى قدره ورفع ذكره بالإسلام.

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٣/١١٧-١١٨.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢/٢٩٤٢.

ب) الشاهد الثاني: تحمل مسؤولية دعوة الرعية:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**»(١). من هنا تكون مسؤولية الشخص عن الأقربين له مسؤولية ذات أولوية؛ فهذا سعد بن معاذ رضي الله عنه عندما أسلم كان أول عمل قام به أن ذهب إلى قومه وهو سيدهم المطاع فيهم، فقال لهم: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة. فنجد سعد بن معاذ رضي الله عنه قد استشعر المسؤولية على قومه الذين يتزعمهم وهو لهم إمام في الشرك، فكيف لا يكون إمامهم في الإسلام وهو سوف يُسأل عنهم يوم القيامة، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه**»(٢).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، رقم ٧١٣٨، ص٨٨٦٧.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب السير، ذكر الأخبار بسؤال الله جل وعلا كل من استرعى رعية عن رعيته، المجلد الخامس، الجزء السابع، رقم ٤٤٩٨، ص٧. حديث صحيح (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ١٦٣٦، ٤/١٧٩).

وهذا الطفيل بن عمر الدوسي ﷺ عندما أسلم وذهب داعية لقومه، وذلك ما يرويه عن نفسه قال: فأتتني صاحبتي فقلت: إليك عني فلست منك ولست مني، قالت: لِمَ بأبي أنت وأمي؟ قال: قد فرق بيني وبينك الإسلام وتبعت دين محمد ﷺ، قالت: فديني دينك، قال: قلت فاذهبي إلى حنا ذي الشرى – قال ابن هشام: ويقال حمى ذي الشرى – فتطهري منه، فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرض عليها الإسلام فأسلمت. يقول ابن حجر في "فتح الباري": «إن أهل المرء ونفسه من جملة رعيته، وهو مسؤول عنهم؛ لأنه أمر أن يحرص على وقايتهم من النار»[1]، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾[2]؛ فالأهل للرجل والعشيرة للسيد هم من الرعية المسؤول عنها.

ج) الشاهد الثالث: إجارة المؤمن للكافر:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يجير على أمتي أدناهم**»[3]. وهذا أبو ذر ﷺ كما سبق وذكرنا أجار حويطب بن عبد العزى وأمنه ودعاه للإسلام فكان أمان أبي ذر يعد أماناً من المسلمين جميعاً، كما في الحديث. وفي حديث أم هانئ عندما أجارت من أجارت وقول الرسول ﷺ لها: «**أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»، كان ذلك من أسباب إسلام الحارث بن هشام. وكأن إجارة هؤلاء الصحابة مستمدة من هدي الرسول ﷺ وسنته وهي لما قاموا به أصل؛ وذلك

(١) فتح الباري، ابن حجر، كتاب النكاح، الباب ٨١، رقم ٥١٨٨، ١٠/٦١٤٦.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) المسند، الإمام أحمد، مسند أبي هريرة، رقم ٨٧٦٦، ٣/٣٦٠. حديث صحيح (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ٢٤٤٩، ٥/٥٧٨).

لتوافق أفعال الصحابة مع الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ.

وطلب أم حكيم الأمان من رسول الله ﷺ لزوجها عكرمة بن أبي جهل وأدركته وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر فجعل نوتي[1] السفينة يقول له: أخلص، فقال: أي شيء أقول؟ قال: قل: لا إله إلا الله، قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا، فجاءت أم حكيم على هذا الكلام فجعلت تلح إليه وتقول: يا ابن عم، جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك، فوقف لها حتى أدركته فقالت: إني قد استأمنت لك محمداً رسول الله ﷺ، قال: فأنت فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلمته فأمنك فرجع معها[2]. فكان في طلب أم حكيم الأمان له ودعوتها إياه سبباً في إسلامه رضي الله عنهما.

د) الشاهد الرابع: الدعوة قبل القتال:

ومنه دعوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعمرو بن عبد ود عند النزال في غزوة الخندق وذلك عندما اقتحم عمرو بن عبد ود الخندق هو وبعض فرسان قريش وأخذ يدعو للمبارزة فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على

(١) النواتي: الملاحون في البحر خاصة واحدهم نوتي. (انظر: الصحاح، الجوهري، حرف النون، ص١١٧٦).
(٢) انظر: المغازي، الواقدي، ص٥٧٢.

علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه[1].

وهنا نجد أن دعوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه المشرك عمرو بن عبد ود للإسلام قبل المبارزة قد وافقت وصية رسول الله ﷺ له يوم خيبر، وإن أتت بعدها، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: «**لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه**»، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا كلهم يرجو أن يُعطى فقال: «**أين علي؟**» فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له، فبصق في عينيه فبرأ مكانه، حتى كأنه لم يكن له شيء، فقال علي: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ: «**على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم**»[2]. فتقديم الدعوة على القتال والحرص على إسلامهم هو الغاية، فإن حصل ذلك من دون قتال كان فيه خير كثير، يقول ابن حجر في ذلك: «إنه استدل بقوله: "ادعهم" أن الدعوة شرط في جواز القتال، والخلاف في ذلك مشهور»[3]، وكانت جيوش المسلمين إذا توجهت إلى قتال تدعو من يقاتلونهم إلى إحدى ثلاث خصال، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يكتب إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام ويخيرهم بين الإسلام أو الجزية أو القتال، وكتابه الآخر إلى هرمز بالثغر بنفس المضمون، وكتابه أيضاً إلى مرازبة فارس وجميعها

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١٩٣/٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، رقم ٢٩٤٢، ص٤٨٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم ٤٢١٠، ٤٨٢٢/٨.

وردت سابقاً، وأيضاً دعوة سلمان الفارسي لأهل بهرسير ويقال نهرشير عندما أمروه بدعاء أهلها، فكان دعاؤه إياهم أن يقول: إني منكم في الأصل، وأنا أرق لكم، ولكم في ثلاث أدعوكم إليها ما يصلحكم: أن تسلموا فإخواننا ولكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإلا فالجزية، وإلا نابذناكم على سواء، وقد أمهلهم ثلاثاً، وبعد انقضاء المدة قاتلهم المسلمون وفتحوها، وكان نفس الحال مع أهل القصر الأبيض إلا أنهم اختاروا الجزية ودخلها المسلمون بالصلح(١).

وفي هذه الحالات يرسم حديث بريدة ﷺ المنهج للمسلمين، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «**اغزُ باسم الله في سبيل الله...، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم..، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين...**»(٢). وقد طبق أبو بكر الصديق ﷺ هذه الوصية عندما بعث الجنود نحو الشام وأمَّر يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ﷺ فأوصاهم بنفس وصية الرسول ﷺ(٣). وهذا دليل على أن الصحابة إنما يقتبسون من مشكاة النبي ﷺ ويدعون على ضوئها.

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/٤٦٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء، رقم ٤٥٢٢، ص٧٦٨.

(٣) انظر: السنن الكبرى، البيهقي، كتاب السير، جماع أبواب السير، باب من اختار الكف عن التقطيع والتجريح، رقم ١٨١٨١، ٩/٢٨٣.

وهذا أبو عامر الأشعري رضي الله عنه لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامر، ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً رجلاً ويحمل عليهم أبو عامر وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر، فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فقال الرجل: اللهم لا تشهد عليَّ، فكف عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم بعدها وحسن إسلامه، فكان رسول الله ﷺ يقول: «**هذا شريد أبي عامر**»(١). واستشهد أبو عامر في ذلك اليوم وجمع الله له الشهادة وإسلام رجل على يديه يكتب له به الأجر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً حتى يدعوهم»(٢).

هـ) الشاهد الخامس: تقديم خير الآخرة على الدنيا:

إن تقديم الآخرة على الدنيا مما تميز به الصحابة رضي الله عنهم في جميع أمورهم، ومنها أمور الدعوة، ومن هذا دعوة أم سُليم لأبي طلحة عندما خطبها فقالت: أما إني فيك لراغبة وما مثلك يرد ولكن كافر وأنا مسلمة، ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد ينبت من الأرض، ينجرها حبشي بني فلان؟ قال: بلى، قالت: أفلا تستحي أن تعبد خشبة؟ إن أنت أسلمت فإني لا أريد منك الصداق

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٣٨٧.

(٢) المسند، الإمام أحمد، مسند عبدالله بن عباس، رقم ٢٠٥٣، ١/٦١٦. حديث صحيح (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد السادس، القسم الأول، رقم ٢٦٤١، ص٢٩٣).

غيره، قال: حتى أنظر في أمري، فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالت: يا أنس، زوّج أبا طلحة، فتزوجها[(١)]. فقد فضلت رضي الله عنها إسلام أبي طلحة على رغبتها فكان حبها للآخرة أكبر من محبتها للدنيا. وهذا يؤيده حديث سهل بن سعد رضي الله عنه الذي ذكرناه في الشاهد الرابع الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**فوالله لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم..**».. يقول الإمام النووي: «إن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت. وفي هذا الحديث بيان فضيلة العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة»[(٢)]. فكان ميزان أم سُليم رضي الله عنها هو أن الآخرة أرجح عند الله وأخير، وجمع الله لها خير الآخرة بإسلام أبي طلحة على يديها وخير الدنيا بزواجها منه.

كما يتجلى ذلك في حديث مسلم بن الحارث بن مسلم التميمي عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فلما بلغنا المغار استحثثت فرسي فسبقت أصحابي فتلقاني الحي بالرنين فقلت: قولوا: لا إله إلا الله تحرزوا، فقالوا؛ فلامني أصحابي وقالوا: حُرمنا الغنيمة بعد أن ردت بأيدينا، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبروه بما صنعت فدعاني فحسن لي ما صنعت، وقال: «**أما أن الله قد كتب لك بكل إنسان فيهم كذا وكذا**»[(٣)]، فقدم رضي الله عنه محبة هداية القوم على الفوز بالغنيمة الفانية في الدنيا ففاز بغنيمة الآخرة الباقية.

(١) انظر: أسد الغابة، ابن الأثير، ٥/٤٥٦- ٤٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، المجلد الثاني، الجزء الخامس عشر، شرح الحديث ٢٤٠٦، ص٥٥٤.

(٣) صحيح ابن حبان، المجلد الثالث، الجزء الثالث، كتاب الصلاة، فصل في القنوت، الحديث ٢٠١٩، ص١٨٤.

و) الشاهد السادس: تبليغ الإسلام مع وجود الأذى:

قال ابن إسحاق: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يُسمِعهم؟ فقال عبدالله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن آذوه، فقال: دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني، فغدا عبدالله حتى أتى المقام في الصحن وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام فقال رافعاً صوته: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[1]، فاستقبلها فقرأها فتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه يتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً، قالوا: حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون[2].

فالصبر على الأذى ومخالطة الناس ودعوتهم استمدها الصحابة رضي الله عنهم من سنة الرسول ﷺ، والصبر على الدعوة من سمات دعوة الصحابة، والتي آتت ثمارها أيضاً في قصة الطفيل بن عمرو الدوسي عندما ذهب إلى قومه يدعوهم وأبطؤوا عليه جاء إلى رسول الله ﷺ يشكوهم فقال له رسول الله:

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ١- ٢.

(٢) انظر: السير والمغازي، محمد بن إسحاق، ص١٨٦.

«**ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم**»، قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام[1].

وهذا أبو أمامة الباهلي ﷺ عندما ذهب يدعو قومه آذوه وحرموه الماء وصبر[2]. وأيضاً عروة بن مسعود ﷺ الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «**مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه**»[3]، فعندما دعا قومه من ثقيف آذوه ونالوا منه فحلم عنهم وصبر فقتلوه.

وقد أوذي رسول الله ﷺ كثيراً، فعن عبدالله[4] يقول: قسم رسول الله ﷺ قسمة فقال رجل من القوم: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، فقال: «**يرحم الله موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[5].

ز) الشاهد السابع: مخاطبة عقل المدعو:

إن وجود أحاديث عن الرسول ﷺ تخاطب عقل المدعو لهي أساس قوي لما يقوم به الصحابة ﷺ في دعوتهم الناس بحث العقل على التفكير والمقارنة،

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٣٥٤/١.
(٢) انظر: المعجم الكبير، الطبراني، باب الصاد، رقم ٨٠٧٤، ٢١١١/٦.
(٣) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، رقم ٦٧٠٠، ٣٤١/٤. حديث ضعيف (الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم ١٦٤٢، ١٤٥/٤).
(٤) عبدالله بن مسعود ﷺ.
(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى ﷺ، رقم ٣٤٠٥، ص٥٧١.

فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: **«أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»**[1].

ولو تأملنا قصة إسلام طلحة بن عبيد الله التي أوردها ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان المخزمي أن قريشاً قالت: قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلاً يأخذه، فقيضوا لأبي بكر رضي الله عنه طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم فقال أبو بكر رضي الله عنه: إلام تدعوني؟ قال طلحة: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، قال أبو بكر الصديق: من اللات والعزى؟ قال طلحة: بنات الله، قال أبو بكر: فمن أمهن؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه: أجيبوا، فسكتوا، فقال طلحة: قم يا أبا بكر فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأخذه أبو بكر بيده إلى الرسول ﷺ وقد أسلم.

فلو تأملنا حديث أنس رضي الله عنه وقصة إسلام طلحة لوجدنا فيها تشابهاً كبيراً؛ فمخاطبة العقل لدى المدعو وحثه على التفكير أمر مطلوب في الدعوة، وقد قام به رسول الله ﷺ وأصحابه، وذلك لمناقشة عقول المشركين وحتى يستحثوا هذه العقول على التفكر ليخرجوها من الجمود والتحجر إلى النور والحرية الحقة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحشر، رقم ٦٥٢٣، ص١١٣٠.

المَبحَثُ الثَّاني

ضوابط منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب

إن ضوابط منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين هي كل ما قام به الصحابة رضي الله عنهم من أجل السيطرة والمحافظة على منهج دعوتهم ليتم به معرفة مدى مطابقة هذا المنهج لما جاء به رسول الله ﷺ في ذلك.

الضابط الأول: جعل التوحيد هو الموضوع الرئيس في جميع دعوتهم:

إن عبادة الله وحده هي التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه وأوجبها على جميع خلقه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وهي أصل رسالة الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ فجميعهم جاؤوا بالدعوة إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2]، وهي أول ما جاء به النبي ﷺ وذلك بدعوة العباد إلى عبادة رب العباد وحده لا شريك له، ونبذ الأوثان والأصنام، وما يشرك به مع

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

الله، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾(١). وهي أول ركن من أركان الإسلام وهو: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله**»(٢). وكان الرسول ﷺ يقف على القبيلة فيقول: «**يا بني فلان، إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به**»(٣).

ويقول الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في إحدى رسائله: «فاعلم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم: إفراد الله بالعبادة كلها ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهم. فمن ذلك لا يدعى إلا إياه»(٤)، «والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له»(٥)، ولابن أبي العز الحنفي في "شرح العقيدة الطحاوية" قول بليغ في التوحيد يقول: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله، والصحيح أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، وأول ما يؤمر به العبد الشهادتان، فالتوحيد هو أول ما يدخل في الإسلام، وآخر ما

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، رقم ٢٩٤٦، ص٤٨٧.

(٣) المسند، الإمام أحمد، مسند المكيين والمدنيين، مسند ربيعة بن عباد الديلي، رقم ١٦١٢١، ٥٠٠/٥.

(٤) الرسائل الشخصية، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص١٦٦.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، مادة: وحد، ٤٥١/٣.

يخرج من الدنيا»[1]، ويقول شيخ الإسلام: «إن التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره، وبه أرسل الرسل وأنزل الكتب»[2].

ويقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «إن التوحيد هو أصل دين الإسلام، وهو أساس الملة، وهو رأس الأمر وأهم الفرائض، وهو الحكمة من خلق الثقلين والحكمة من إرسال الرسل جميعاً إليهم»[3].

ومن هنا كان الضابط الأساسي والأول في دعوة الصحابة جعل التوحيد هو الموضوع الرئيس في دعوتهم، وكما أن جميع أعمال الصحابة كانت تستمد من نهج الرسول ﷺ فإن دعوتهم كانت على فهمٍ واقتباسٍ من هديه ﷺ، بهذا الضابط بدأت دعوة الصحابة واعتمدت عليه، خصوصاً وأن المدعوين هم من المشركين الذين يفتقدون التوحيد الذي لا تصح عبادة بدونه؛ لذلك لم تخرج دعوتهم رضي الله عنهم عن التوحيد، فكان هو المقياس والمعيار الذي تقاس به صحة هذه الدعوة من عدمها؛ فكل دعوة لا تشتمل على التوحيد صراحةً أو ضمناً هي دعوة باطلة.

ومن ذلك وصية النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن ليدعوهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال: **«إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس**

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص٢٦، ٢٧.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية، ص١٩.

(٣) حراسة التوحيد، عبدالعزيز بن باز، ص٥٣.

صلوات...»[1]، فوضع الرسول ﷺ لأصحابه موضوع التوحيد ضابطاً أساسياً تأتي بعده العبادات الأخرى، فمن هذا نجد دعوة الصحابة لم تخرج عن هذا الضابط؛ ففي غزوة الأحزاب عندما برز علي ﷺ لعمرو بن عبد ود بعد اقتحامه الخندق ما كان من علي ﷺ إلا أن عرض عليه خيارين كان أولهما دعوة إلى الله وحده ورسوله ﷺ والإسلام.

وفي دعوة ضمام بن ثعلبة ﷺ لقومه عندما أتاهم من عند رسول الله ﷺ فقال لهم: "بئست اللات والعزى"، فكان ذلك أول دعوة للتوحيد ولنبذ الشريك لله، وهي آلهتهم وأوثانهم، فأراد ﷺ أن يجعل التوحيد هو بداية الدعوة وحافظها من الشرك أولاً وقبل كل شيء.

وبهذا كان البدء بالتوحيد ونبذ الأنداد والشركاء وما يعبد من دون الله هو الضابط الرئيسي لدعوة الصحابة وجعل كلمة التوحيد هي المنطلق لدعوتهم ﷺ.

والاهتمام بجعل التوحيد هو الموضوع الرئيس في دعوة الصحابة يقصد به إخراج المدعو من ظلام الشرك إلى نور الإسلام؛ لأنه لا يكون المرء مسلماً إلا بتوحيد الله ﷻ، وذلك الفرق بين المشرك والمسلم، ولعلم الصحابة بذلك فقد راعوا هذا الجانب مما أدى إلى جعل التوحيد موضوعاً يدخل في كل مجالات دعوتهم، وليس أدل على ذلك من تتبع النشاط الدعوي لديهم ﷺ، ومعرفة مدى اهتمامهم بذلك.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم ٢٩، ص٣١.

الضابط الثاني: سلامة المنهج:

إن سلامة المنهج من الضوابط المهمة في مجال الدعوة بشكل عام؛ لذا يجب أن تكون جميع عناصر هذه الدعوة على الطريقة الصحيحة الشرعية والتي لا يشوبها شائب، ولا يدخل عليها عنصر فاسد؛ لأن ذلك قد يفسد العمل الدعوي بالكلية.

وكان صحابة رسول الله ﷺ لهم منهج سليم في الدعوة، وكان هذا سبباً في نجاح هذه الدعوة، ولم يؤثر واقع حياتهم في ذلك الوقت في منهجهم أو جعلهم يتنازلون عنه، فقد تمثلوا بأمر الله سبحانه وحذوا حذو رسول الله ﷺ في دعوته، فلم يخرجوا عن قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]. ويوضح الله بصيرة دعوة من اتبع الرسول في قوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[2]؛ فكان منهجهم رضي الله عنهم هو منهج النبي ﷺ، ومن سلامة المنهج لديهم ما ذكر من قصة دعوة ضمام بن ثعلبة قومه، فكان أول ما نطق به الخروج من الشرك والبراءة من الأصنام، وذلك عندما قال لهم: "بئست اللات والعزى"، ثم أردف يشرح لهم ما هو الدين، فبدأ بذكر مبعث الرسول ﷺ ونزول القرآن ثم إسلامه وأخيراً قال لهم: "جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه"، فكان منهجه رضي الله عنه صافياً لم تشبه شائبة ولم يدخله أي أمر منكر، بل كانت دعوته مستمدة من تعاليم الرسول ﷺ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

وكذلك في قصة إسلام طلحة بن عبيد الله عندما أرسلته قريش لأبي بكر ﷺ ليرده عن الإسلام فقال له: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، فما كان من أبي بكر إلا أن قال: ومن اللات والعزى؟ فقال: هن بنات الله، قال أبو بكر: فمن أمهن؟ ففي هذا الأسلوب الذي أجاب به أبو بكر الصديق ﷺ سلامة من الشرك وإيضاح حقائق ما يعبد من دون الله بالحجة السليمة، فلم يقبل أبو بكر ﷺ أن يكون لله بنات، ورد على طلحة بن عبيد الله بمنهج عقلي سليم، وفيه التزام بمنهج الوحي في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ﴾(١).

وفي إسلام عمر ﷺ مثال لسلامة المنهج وعدم التنازل عن شيء من أمور الدين، فهذه فاطمة بنت الخطاب ﷺ أخت عمر ﷺ عندما طلب منها الصحيفة التي فيها القرآن ليقرأها لم تعطه إياها بل قالت له: إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسه إلا المطهرون. فهي بذلك لم تتنازل عن أمر من أمور الدين لأجل إسلام أخيها، فكان منهجها واضحاً سليماً ورسالة لمن تدعوه.

ومن سلامة المنهج عدم موالاة المشركين ومحاباتهم من أجل الدعوة؛ فالإسلام كل لا يتجزأ ولا يؤخذ منه البعض ويترك البعض الآخر، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (٢).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

ومن ذلك سلوك عمير بن وهب الجمحي عندما أسلم وأقام في مكة لم يوال المشركين بل أصبح يتبرأ من أعمالهم ويدعوهم إلى الإسلام، وأسلم على يديه خلق كثير، ولم يجد حرجاً في أن يظهر شعائر دينه على الملأ[1].

ومن سلامة المنهج لدى الصحابة في دعوتهم أنهم لم يسمحوا للباطل أو يرضوه؛ فهذا الطفيل بن عمرو الدوسي يرفض الباطل الذي ذكرته له زوجته من تعرض ذي الشرى لها إذا هي اغتسلت بمائه ويأمرها بأن تغتسل.

وها هي أم سُليم لم تقبل أن تتزوج رجلاً مشركاً يعبد إلهاً مصنوعاً من شجرة حتى يسلم.

فلم يرضوا بالباطل للوصول إلى الحق ولم يتخذوه سبيلاً لهم، بل جعلوا الحق هو الطريق، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[2].

كما كان من سلامة المنهج مراعاة الأولويات وذلك اقتداء بهدي الرسول ﷺ كما في وصيته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٥٨٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

ويتضح ذلك من وصية أبي بكر الصديق ﷺ لقادة الجيوش التي بعثها إلى الشام، إذ قال لهم: «إذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله، فادعوهم إلى ثلاث، فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفوا عنهم: ادعوهم إلى الإسلام، فإن هم أجابوكم فادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن أجابوكم فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم...»(١). فالتدرج من صميم منهج الصحابة في الدعوة إلى الله، ومن أسباب سلامته.

الضابط الثالث: المرجعية:

ينطلق الصحابة في دعوتهم من أسس ثابتة وبناءً على ضوابط واضحة جعلوها دليلاً لهم فيما يقومون به، وكما أن لكل أمر مرجعاً يكون هو المعيار والمقياس الذي يعرف به مدى صحة هذا الأمر فقد اتخذوا ﷺ أقوال الرسول ﷺ وأوامره ونواهيه ضابطاً لهم في دعوتهم وجعلوها هي مرجعاً لهم يضبطون بها مسار دعوتهم ويقيسون بها مدى انضباطها وعدم خروجها عن المسار الصحيح؛ فكان المرجع لهم هو رسول الله ﷺ، وحرصوا على ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾(٢)، فكان الصحابة ﷺ يتسابقون لدعوة أقوامهم حرصاً منهم على الخير لهم، إلا أنهم لا يقومون بهذا العمل إلا بعد أن يأخذوا العلم من رسول الله ﷺ.

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي، كتاب السير، باب فضل الجهاد في سبيل الله، رقم ١٨٥٠، ٩/٢٧٠.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

فهذا عمرو بن مرة الجهني يأتي إلى رسول الله ﷺ قبل أن يسلم ويخبره برؤيا رآها وهو نائم فيقول له رسول الله ﷺ: «**يا عمرو بن مرة، إني المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام، وآمرهم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله، ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر من اثني عشر شهراً وهو شهر رمضان، فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار، فآمن يا عمرو بن مرة يؤمنك الله من نار جهنم**»، فقال عمرو: "أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله"، ثم طلب من الرسول ﷺ أن يبعثه إلى قومه يدعوهم فأذن له الرسول ﷺ، فأتى قومه ثم دعاهم بما علمه الرسول ﷺ من الهدى، فقال لهم نفس قول الرسول ﷺ له، فجعل كلام رسول الله ضابطاً له وحافظاً لدعوته من التغيير والتحريف، فكان هو المرجع الذي استقى منه دعوته.

وهذا ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه يدعو قومه بما تعلمه من رسول الله ﷺ من أمور الدين وذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي قال فيه: «فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة»[1]، وقد أسلم قومه جميعاً عن بكرة أبيهم.

وإذا كانت المرجعية هي الجهة التي يسلِّم بحكمها المتحاورون عند الاختلاف والنزاع[2]، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحتكمون في أمور الدعوة إلى رسول الله ﷺ في حياته وإلى سنته بعد مماته، ففي قصة مسلم بن الحارث التميمي عندما

---

(١) انظر الحديث كاملاً في مسند الإمام أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبدالله بن عباس، رقم ٢٣٨٠. حديث صحيح (الألباني، صحيح سنن أبي داود، كتاب الصلاة، رقم ٥٠٥، ٤/٣٨٩).

(٢) انظر: صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، ص٩١.

بعثهم رسول الله ﷺ في سرية قال: فلما دنونا من الحصن سمعنا ضوضاء أهله، فاستحثثت فرسي فأتيتهم فقلت لهم: قولوا: لا إله إلا الله تحرزوا، فقالوا؛ فقال أصحابنا: حرمتنا الغنيمة بعد أن بردت في أيدينا، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبر بذلك فحسَّن لي ما صنعت وقال لي: «**إن لك من الأجر بعدد كل إنسان منهم كذا وكذا**». ونجد هنا المراجعة من صحابة رسول الله ﷺ فيما قام به مسلم بن الحارث رضي الله عنهم أجمعين للوصول إلى الصواب ومعرفة الحق.

وإذا كانت المرجعية هي ما يُنطلَق منه فهي أيضاً ما يُحتكَم إليه، وهذا ما حصل في قصة مسلم بن الحارث رضي الله عنه، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾(١)، فالرجوع إلى الرسول ﷺ هو أمر إلهي مسلَّم به لكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بالدعوة إلى الله، فإن الرجوع إلى الرسول هو ضابط رئيس يجعل الدعوة في المسار الصحيح المحكوم بما جاء به رسول الله ﷺ من ربه.

الضابط الرابع: الإخلاص في دعوة المشركين وبذل الجهد في ذلك:

إن الإخلاص من أهم شروط قبول العمل، وبما أن الدعوة من الأعمال المقربة إلى الله وهي من الأعمال الصالحة فالإخلاص فيها آكد، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾(٢)؛

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

فوجود الإخلاص فيها ضروري، ويجب أن يتحلى به صاحب الدعوة إلى الله، وذلك للفوز بالجنة، ولا يمكن ذلك إلا إذا وافق العمل بالدعوة إخلاص النية لوجه الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الإخلاص هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وهو تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين»[2]. وإذا غاب الإخلاص حل محله الهوى، فأصبح الداعية عبداً لهواه مسيراً به حتى وإن كان يعتقد أنه يدعو إلى الحق، فيصبح داعية ضلال لا داعية هدى، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾[3]. ومن هذا كانت دعوة الصحابة رضي الله عنهم خالصة لوجه الله تعالى، ولا يريدون منها إلا رضاه سبحانه دون غيره، فها هو عروة بن مسعود رضي الله عنه يستأذن رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام إلا أن الرسول ﷺ يخبره أنهم قاتلوه فيصر رضي الله عنه أن يبلغ قومه الدعوة فيأذن له رسول الله ﷺ فيدعوهم ويرميه أحدهم بسهم فيصيبه في أكحله، فيتجهز قومه لقتال من قتلوه فيقول رضي الله عنه: «لا تقتتلوا فيَّ فإني قد تصدقت بدمي على صاحبه ليصلح بذلك بينكم، فهي كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إليَّ»[4].

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ٩٥/٢.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٤) المغازي، الواقدي، ص٦٣٨.

وقال الرسول ﷺ عنه: «**مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه**». وهذه شهادة من الرسول ﷺ بإخلاص نية عروة ﷺ، فلو كان يريد السمعة والشهرة أو عرض الدنيا من الجاه والزعامة لاستطاع ذلك عن طريق طلبها من الرسول ﷺ أو من قومه ولم يفضل الشهادة على ذلك كله.

ومن الإخلاص ما قام به أصحاب بيعة العقبة الثانية من دعوة عبدالله بن حرام إلى الإسلام وذلك في حديث كعب بن مالك ﷺ قال: واعدنا رسول الله ﷺ العقبة أوسط أيام التشريق ونحن سبعون رجلاً للبيعة ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر وإنه لعلى شركه، فأخذناه فقلنا: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا والله إنا لنرغب بك أن تموت على ما أنت عليه فتكون لهذه النار غداً حطباً، وإن الله قد بعث رسولاً يأمر بتوحيده وعبادته وقد أسلم رجال من قومك، وقد واعدنا رسول الله ﷺ للبيعة فأسلم وطهر ثيابه وحضرها معنا فكان نقيباً[1]. فكان إخلاصهم في الدعوة سبباً في قبول عبدالله بن حرام ﷺ ودخوله الإسلام؛ لأن نيتهم كانت خالصة صالحة لا يرجون بها إلا وجهه الكريم، وقد أخلصوا دينهم لله، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[2]، يقول ابن عاشور في معنى الإخلاص في هذه الآية: «أن يكون الداعي إلى إتيان المأمور وإلى ترك المنهي إرضاء لله تعالى، وأن لا يكون

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، المجلد الأول، الجزء الأول، ص٨٠.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

الحظ الدنيوي هو الباعث للعبادة»[1]. ومن هنا كان الصحابة رضي الله عنهم مراقبين لربهم ومحاسبين أنفسهم ومجاهدين نياتهم في تصحيحها وإخلاصها لله تعالى، ومدافعة الشيطان من الدخول إلى أنفسهم ومخالطتها ليفسد أعمالهم، فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه باع الدنيا وزينتها واشترى ما عند الله بها، فأخلص في الدعوة حتى أسلم على يديه خلق كثير من أهل المدينة، وعندما عاد إلى مكة في العقبة الثانية جاء إلى منزل رسول الله قبل منزل أمه، فبعثت إليه: يا عاق، أتقدم بلداً أنا فيه لا تبدأ بي؟ فقال لرسولها: ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ، ولما سلم على الرسول ﷺ وأخبر ما أخبر، ذهب إلى أمه، فقالت: إنك لعلى ما أنت عليه من الصبأة بعد؟ قال: أنا على دين رسول الله ﷺ، وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله، قالت: ما شكرت ما رثيتك مرة بأرض الحبشة ومرة بيثرب، فقال: أفر بديني أن تفتنوني، فأرادت حبسه، فهدد بقتل من يتعرض له، فقالت: اذهب لشأنك، وبعد ذلك يقوم مصعب بن عمير الصحابي الداعية بدعوة أمه فيقول لها: يا أمَّه، إني لك ناصح عليك شفيق فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ولكن الأم المكابرة ترد على ابنها وتقول: والثواقب[2] لا أدخل في دينك فيزرى برأيي ويضعف عقلي، ولكن أدعك وما أنت عليه وأقيم على ديني[3]. فمن محبة مصعب لربه ونبيه وإخلاصه في ذلك لم يجعل شيئاً يشاركهما قلبه، حتى لو كانت أمه،

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد التاسع، الجزء الثالث والعشرون، ص٣١٨.
(٢) الثواقب: النجوم.
(٣) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، طبقات البدريين من المهاجرين، الطبقة الأولى، ٣/١١٩.

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١).

كما أن من الإخلاص بذل الجهد في حصول المقصود، وهو إسلام المدعو والحرص على ذلك، وهو ما حرص الصحابة ﷺ عليه وسعوا إلى تحقيقه في جميع المواقف التي دعا فيها الصحابة ﷺ المشركين إلى الإسلام، من بذل الجهد في الذهاب إلى المدعو، وبذل الجهد في تحمل المشاق والأذى، وبذل الجهد في نصح المدعو، وعدم التخاذل معه، والإصرار على ذلك، وجميع الأدلة في دعوة الصحابة للمشركين يتجلى فيها الإخلاص وبذل الجهد من أجل الحصول على استجابة المدعو للإسلام.

وبهذا نجد أن الإخلاص وبذل الجهد في الدعوة هو ضابط من ضوابط منهج الصحابة في دعوتهم بحيث يقف به الداعي عند حدود الشرع، وبه يكون العمل متقناً محفوظاً من الانحراف والشرك ومتقبلاً عند الله سبحانه الذي هو من يعلم السر، وما تخفي الصدور، فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه**»(٢).

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) السنن الصغرى، النسائي، كتاب الجهاد، رقم ٣١٤٢، ٤٣٢/٢٤. حديث صحيح (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الأول، القسم الأول، رقم ٥٢، ص١١٨).

الضابط الخامس: العلم بما يدعو:

العلم ضابط أساسي في الدعوة إلى الله بشكل عام، ولا يمكن الدعوة إلى الله إلا عن طريق اكتساب المعرفة فيما يدعو إليه الداعية، وقد جعل الله تبارك وتعالى العلم أمراً أساسياً في الدعوة إليه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[1]؛ فقد جعل الله دعوة الرسول ﷺ على علم وهو البصيرة، كما جعل دعوة من اتبع الرسول ﷺ أيضاً على بصيرة ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، وأول من تبع الرسول ﷺ هم أصحابه، فهم أولى بالعلم والبصيرة من غيرهم. وقد تقدم العلم على العمل؛ وذلك أن العمل بدون علم قد يؤدي إلى ضلال وفساد، أما العلم فهو حامي العمل، وقد وضع البخاري باباً في صحيحه سماه: "باب العلم قبل القول والعمل"[2]. وقد علق ابن حجر في "فتح الباري" على ذلك فقال: «قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، ولا ميزان إلا به، فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية الصحيحة للعمل»[3]. وكان البخاري قد بوب هذا الباب لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[4]، وقال: «إن من أخذ العلم أخذ بحظ وافر»[5]. وصحابة رسول الله ﷺ ظهر لهم الحق فعرفوه وتعلموه ودعوا

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ص١٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، كتاب العلم، الباب العاشر، باب العلم قبل القول والعمل، ١/ ٢١٠.

(٤) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ص١٦.

إليه، وكانوا هم الطليعة الأولى من الدعاة بعد الرسول ﷺ ولم يقلدوا أحداً في علمه سوى من أرسله الله معلماً وهو الرسول ﷺ. وكما أن الله ﷻ قد اختارهم صحابة لنبيه فقد أراد بهم الخير، ومن هذا الخير ما رواه معاوية بن أبي سفيان ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(١).

وبما أن الدعوة تعتمد على البصيرة، والبصيرة هي: «إدراك القلب والعقل لضوابط المسائل كما تدرك العين والبصر الأشياء، والبصيرة هذه هي العلم النافع»(٢)، إذن فالعلم هو من أهم الضوابط التي ينبغي على الدعاة تحصيلها والعمل بموجبها، ولقد كان رسول الله ﷺ يحرص على تعليم صحابته ﷺ أمور الدين كما يحرص على إرسالهم بعد تعليمهم لدعوة الناس، فهذا مصعب بن عمير ﷺ أرسله الرسول ﷺ معلماً أهل يثرب الدين بما عنده من علم بالقرآن. وهذا خباب بن الأرت ﷺ يدعو عمر بن الخطاب ﷺ في بيت سعيد بن زيد وأخته فاطمة رضي الله عنهما اللذَين كان يعلمهما القرآن بما تعلمه من رسول الله ﷺ. وفي دعوة أبي أمامة الباهلي ﷺ لقومه يقول: «بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي أدعوهم إلى الله ﷻ وأعرض عليهم شرائع الإسلام»(٣). وهنا نجد أن أبا أمامة ﷺ كان لديه علم بما سيدعوهم إليه وذلك في قوله: "أعرض عليهم شرائع الإسلام"، فنجد أن الرسول ﷺ أرسله لعلمه بالشرائع والأمر والنهي في الدين. وكذلك في

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، رقم ٧١، ص١٧.
(٢) المرأة الداعية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ص١٠.
(٣) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر أبي أمامة الباهلي، رقم ٦٨٢٦، ٤/٣٦٩.

قصة إرسال خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب في نجران وكتابه إلى رسول الله ﷺ بيان أن من ضوابط الدعوة هو الزاد الذي تزود به الصحابة من علم ليتموا دعوة الله، يذكر ابن هشام في السيرة أن خالد بن الوليد كتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً يقول فيه: «من خالد بن الوليد: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: يا رسول الله صلى الله عليك، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا أقمت فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم، وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ وبعثت فيهم ركباناً قالوا: يا بني الحارث، أسلموا تسلموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إليَّ رسول الله ﷺ والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته»[1].

فهنا كان خالد بن الوليد رضي الله عنه يعلمهم بعلمه لقوله: «آمرهم بما أمرهم الله وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ»، فكان ذلك هو الضابط والمقياس للدعوة لدى الصحابة. وكان العلم هو العين التي ينظر من خلالها الصحابة والمعين الذي ينهلون منه في دعوتهم، فلا يقولون في الإسلام إلا بما علموا وعرفوا، فكان حصناً لهم من الانحراف والميل عن الحق.

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٥٠٠.

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «إن أول زاد يتزود به الداعية إلى الله ﷻ أن يكون على علم مستمد من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله ﷺ الصحيحة المقبولة»[١]. وذلك يوافق ما قام به ضمام بن ثعلبة ﷺ عندما أتى إلى الرسول ﷺ فسأله عن أمور الدين جميعها ثم عاد إلى قومه يدعوهم إليها.

والعلم الذي يحفظ الدعوة ويحصنها هو البصيرة التي ذكرت في سورة يوسف، يقول الشيخ العثيمين رحمه الله: أي على بصيرة في ثلاثة أمور[٢]:

الأول: على بصيرة فيما يدعو إليه.

الثاني: على بصيرة في حال المدعو.

الثالث: على بصيرة في كيفية الدعوة.

ولو تأملنا جميع شواهد دعوة الصحابة لوجدنا أنهم قد كانوا على بصيرة في جميع تلك الأمور التي ذكرها الشيخ ابن عثيمين، ولأن المجال هنا ليس مجالها فلن نتطرق لها؛ إلا أن جلوس الصحابة عند رسول الله ﷺ كان مصدراً لغرس العلم في صدورهم وحرصهم على ذلك زادهم فقهاً؛ مما أنار الطريق أمامهم في دعوتهم، ومن فضل العلم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]، وقال تعالى:

---

(١) زاد الداعية إلى الله، محمد بن صالح العثيمين، ص٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٩.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1]، ويقول الصحابي الداعية معاذ بن جبل رضي الله عنه: «العلم إمام العمل والعمل تابعه»[2]، ويقول شيخ الإسلام في ذلك: «وهذا ظاهر؛ فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعاً للهوى، وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية والإسلام، فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولابد من العلم بحال المأمور والمنهي»[3].

الضابط السادس: الرفق والتيسير في الدعوة:

إن الرفق والتيسير في الدين الإسلامي بشكل عام، وفي الدعوة إلى الله بشكل خاص، هو مطلب شرعي يدخل في جميع الأمور والأعمال التي يمارسها الداعي، قال ﷺ: «**يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»[4]، وقال ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[5]، فلابد للمسلم أن يكون رفيقاً في أموره كلها؛ لأن هذه الصفة من الصفات المحببة لله تعالى ولعباده، وقد قال ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**»[6]، وكان ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) الاستقامة، ابن تيمية، ص٤٦٤.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، كتب الفقه، الجهاد، الحسبة، ٢٨/١٣١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب اشتباه المرتدين والعائدين وقتالهم، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح نحو قوله: السام عليكم، رقم ٦٩٢٧، ص١١٩٣.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، رقم ٦٦٠٢، ص١١٣٣.

(٦) المرجع السابق، رقم ٦٦٠١، ص١١٣٣.

بعض أمره قال: «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**»[1]. والإنسان بطبيعته يحب التلطف والرفق، ويقبل ممن يتصف بهما ما لا يقبله ممن يتصف بالعنف والشدة، فكم من مدعو أخذته العزة بالإثم فيأنف ويصر على إعراضه وكفره، ومن أسباب ذلك عنف وشدة الداعي. وقد كان الرسول ﷺ رفيقاً حليماً رحيماً بالمدعوين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]، فقد أخبر الله ﷻ نبيه ﷺ أن من أسباب اجتماع الناس عليه وقبولهم لدعوته هو عدم الغلظة في تعامله معهم، وفي هذا دليل على أن الرفق له أثر بيِّن وأهمية كبيرة في مجال الدعوة؛ لذلك جعل الصحابة ﷺ الرفق من الضوابط التي يتم من خلالها السيطرة والمحافظة على المنهج الصحيح للدعوة، ويتمثل ذلك في موقف مصعب بن عمير ﷺ عندما دعا أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما، فعندما حضرا إليه متشتمين لم يغلظ لهما ويرد لهما الشتيمة، إنما ألان لهما القول ورفق بهما، وقال لهما كلاً على حدة: «أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً رغبت فيه وقبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره»، فقال في ذلك قولاً ليناً رفيقاً جعل كلاً منهما يستمع إلى الدعوة ويقبلها، كيف لا وقد أمر الله ﷻ موسى عليه السلام بأن يخاطب فرعون بالقول اللين لعله يتذكر أو يخشى، قال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[3]، وذلك تبيان لتأثير الرفق واللين في المدعو.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم ٤٥٢٥، ص٧٦٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٤٣-٤٤.

كما أن في دعوة طليب بن عمير ﷺ لأمه أروى بنت عبدالمطلب رضي الله عنها رفق الابن بالوالد؛ فقد قال لها: أسألك بالله إلا أتيته وسلمت عليه وصدقته وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وذلك من وصية الله للإنسان أن يحسن لوالديه وإن كانا مشركين، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾[1]، والرفق في دعوة الوالدين من الإحسان إليهما.

والرفق أو التيسير لا يعني التنازل أو التهاون في أمور الدين، أو المجاملة والمصانعة على حساب الحق، إنما يعني الرفق مع الحق والحزم؛ وذلك ما نلحظه في قصة إرسال الرسول ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ إلى حصن خيبر، فعن سهل بن سعد ﷺ سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: «**لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه**» فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى فقال: «**أين علي؟**» فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له، فبصق في عينيه فبرأ مكانه، حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال ﷺ: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال ﷺ: «**على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم**»[2]، في هذا الحديث رفق مع حزم وقوة في الدعوة، وعدم التنازل عن الإسلام وواجباته، ومن الرفق والتيسير عدم مقاتلتهم حتى يدعوهم، وقد

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، رقم ٢٩٤٢، ص٤٨٧.

طبق ذلك علي ﷺ عندما واجه عمرو بن عبد ود في غزوة الخندق، فلم يقاتله إنما دعاه قبل قتاله وقتله، وكذلك ما قام به سلمان الفارسي ﷺ في بهرسير[1] والقصر الأبيض[2] من دعوتهم والانتظار ثلاثة أيام قبل قتالهم، وإرسال الرسل إلى الفرس من قبل خالد بن الوليد، ومن قبل سعد بن أبي وقاص ﷺ، ودعوتهم إلى الإسلام، وكل ذلك من الرفق والتيسير، وعدم الغلظة، مع عدم التنازل عن نشر الإسلام وأحكامه.

الضابط السابع: الاجتماع وعدم التفرق:

إن من الواجب على المسلمين بشكل عام، وعلى الدعاة بشكل خاص، الاجتماع وعدم التفرق، وقد ذكر الله ﷻ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[3]، فالحث على لزوم الجماعة والائتلاف بين المؤمنين من أساسيات هذا الدين الحنيف، ومن أولوياته؛ لما في ذلك من مصالح حاضرة من تماسك الأمة وتكاتفها ضد أعدائها؛ مما يؤدي إلى عزتها، كما أن من مقاصد الاجتماع عدم التفرق والتشتت؛ مما يؤدي إلى الضعف والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4]، فقد اختلف الذين من قبلنا من أهل الكتاب وما كان من اختلافهم إلا الفرقة والعذاب في الآخرة، فنهى الله سبحانه عن ذلك.

---

(١) بهرسير: من نواحي سوار بغداد قرب المدائن، وهي غربي دجلة. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١/٥٤١).

(٢) القصر الأبيض: من قصور الحيرة، وقيل: بالرقة. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤/٣٥٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

وإن من عوامل نصر هذه الأمة هو الاجتماع، وعدم النزاع والافتراق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[1]، ومن هنا كان الرسول ﷺ يؤسس لهذا الضابط لدى صحابته في دعوتهم، ويأمرهم بالاجتماع في جميع أمورهم، قال ﷺ: «**يد الله مع الجماعة**»[2]، كما بين ﷺ إثم ومصير من فرق الجماعة في قوله ﷺ: «**سيكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد كائناً من كان فاقتلوه، فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يرتكض**»[3]؛ فلأهمية هذا الأمر في الدين كان جزاء من يخالفه ويفرق بين المسلمين القتل. كما ربى الرسول ﷺ الصحابة على ذلك، وأدبهم عليه، فعندما أرسل ﷺ معاذاً وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: «**يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[4]، فجعل لهما ﷺ ضوابط قبل أن يذهبا إلى اليمن ليدعوا الناس إلى الإسلام، ومنها عدم الاختلاف، كما أنه عندما أذن لمالك بن الحويرث ومن معه قال ﷺ لهم: «**لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم؛ مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا،**

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) جامع الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم ٢١٦٦، ص٤٩٨. حديث صحيح (الألباني، صحيح الجامع، رقم ٣٦٢١، ١/٦٧٧).

(٣) صحيح ابن حبان، باب طاعة الأئمة، ذكر إثبات مصونة الله جل وعلا الجماعة وإعانة الشيطان من فارقها، المجلد الخامس، الجزء السابع، رقم ٤٥٨٣، ص٣٦. حديث صحيح (الألباني، التعليقات الحسان، رقم ٤٥٥٨، ٧/٢٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، رقم ٣٠٣٨، ص٥٠١.

وإن حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم»[١]، ففي هذا الحديث إشارة إلى اجتماعهم على أكبرهم بأن تكون الإمامة له، ولا يختلفوا عليه.

وقد وردت عدة آيات وأحاديث تشير إلى الاجتماع وعدم الاختلاف بين المسلمين، ومنهم الدعاة، وقد جعل الصحابة من الاجتماع وعدم التفرق ضابطاً لهم في دعوتهم لكي يوحد كلمتهم ويقوي شوكتهم، ولا يكونوا مختلفين، فيختلف المدعوون من بعدهم، فنجد أبا موسى الأشعري وافق معاذاً، ولم يخالفه، ونزل عند رغبته، وذلك عندما جاء معاذ إلى أبي موسى رضي الله عنهما، فإذا هو جالس وقد اجتمع الناس إليه، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه فقال معاذ: يا عبدالله بن قيس، أيَمَ هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يُقتل، قال: إنما جيء به لذلك، فانزل، قال: ما أنزل حتى يُقتل، فأمر به فقتل ثم نزل[٢]. وفي هذا دليل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على عدم الاختلاف، وذلك لعدم إصرار أبي موسى الأشعري رضي الله عنه على عدم قتل المرتد، وأنه تحت إمرته، وليس تحت إمرة معاذ رضي الله عنه.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم، رقم ٦٨٥، ص١١٢.
(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، المجلد الثالث، الجزء الخامس، ص٩٧.

وأيضاً من أدلة الاجتماع وعدم التفرقة في الدعوة، توافق الرسل الذين أرسلهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى رستم، وكيف كانت كلمتهم واحدة، وأنهم واثقون من أن المسلمين سوف يتبعون ما اتفقوا عليه مع رستم، ولن يختلفوا معهم؛ مما أعطى انطباعاً لدى الفرس عن مدى قوة المسلمين وتماسكهم ومنعتهم.

ومن ذلك اجتماع المسلمين على سلمان الفارسي رضي الله عنه يوم القصر الأبيض وطاعتهم له عندما دعا الفرس وأعطاهم ثلاثة أيام قبل أن ينهدَّ عليهم، ويفتح حصونهم، وهو داعيتهم، ولم يكن أمير الجند آنذاك.

ومن هذا تتبين أهمية الاجتماع وعدم التفرق، وحرص الصحابة عليه، وأن باجتماع الدعاة يجتمع الناس ويتفقون، وبتفرقهم تفريق للأمة وإضعاف لها، وجعلها أحزاباً كل حزب معادٍ للآخر، ومتربص به، ويبحث عن هفواته وزلاته، فيصبح هَمُّ الدعاة زيادة الفجوة بين الناس لكسب تأييدهم، وزيادة أتباعهم، والقدح والتجريح فيمن هو مخالف لهم، ونسوا أن هناك من يتربص بهذا الدين، ويحيك له المؤامرات والمكائد؛ لكي يبعد الناس عن الحق، قال ﷺ: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»[1].

(١) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً، رقم ٧١٠٣، ص١٢٢٤.

الفَصْلُ الثَّانِي

منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالداعي والمدعو

وفيه مبحثان:

- ### ٱلمَبْحَثُ ٱلأَوَّلُ

منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالداعي

- ### ٱلمَبْحَثُ ٱلثَّانِي

منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالمدعو

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالداعي

المطلب الأول: مفهوم «الداعي إلى الله» واستثماره للجوانب الإيجابية

إن أول الدعاة هم الأنبياء الذين أمرهم الله تبارك وتعالى بتبليغ دينه ورسالاته إلى البشرية، ومن ثم أتى بعدهم أتباعهم الذين استمروا في إكمال هذه الدعوة والاستمرار على ما كان عليه هؤلاء الأنبياء، إلى أن انحرفت دعوتهم وزاغت عن طريق الحق، وكلما ضل أقوام أرسل الله تبارك وتعالى نبياً لهم ليقوِّمهم ويصحح عقائدهم ويعيدها إلى دين الله الذي يأمر بعبادته سبحانه لا شريك له، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾(١)، إلى أن أرسل الله تبارك وتعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتماً للأنبياء والمرسلين، وجعل رسالته ناسخة لجميع الرسالات وخاتمة لها، فكان صلى الله عليه وسلم أول داعٍ إلى الله في هذه الأمة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾(١)، ثم جاء من بعده أصحابه ﷺ فكانوا دعاة إلى هذا الدين ورسلَ رسول الله ﷺ، فتولوا نشر الإسلام، والدعوة إليه، وتبليغه، والتعريف به، فهم النواة الأولى للدعوة، وقد استن بسنتهم كل من أتى بعدهم من المسلمين إلى هذا العصر، فبذلك كانوا أول دعاة إلى الإسلام بعد رسول الله ﷺ، يستنون بسنته ويهتدون بهديه، ويبلغون ما أمرهم به، وهؤلاء هم الدعاة الذين سوف نتطرق إلى الحديث عنهم في هذا المبحث.

أولاً: مفهوم الداعي:

«الداعي هو مفرد دعاة، وهم قوم يدعون إلى بيعة هدىً أو ضلالةً، ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة»(٢)، وفي "العين" للفراهيدي: «فلان داعي قوم وداعية قوم: يدعو إلى بيعتهم»(٣)، وبما أن الدعوة في عصرنا هذا أصبحت تخصصاً فقد كثر استخدام كلمة "داعية" بدل كلمة "داعي"، وذلك للمبالغة في العمل الدعوي، والاستمرار في ممارسته، فـ "الداعية" بشكل عام هو: «من يقوم بإمالة الشيء إليه حقاً أو باطلاً»(٤)، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥- ٤٦ .
(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: دعا، ١٤/٢٥٩.
(٣) كتاب العين، الفراهيدي، باب العين والدال و(واي) معهما، ٢/٢٢٢.
(٤) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ٢/٤٨٢.

وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾[1].

أما تعريف "الداعي" أو "الداعية" في الاصطلاح، فقد تعدد وكثر بعدد من تطرق إلى تعريفه، فيقول ابن القيم رحمه الله: «إن الدعاة جمع داع، كقاضٍ وقضاة، ورام ورماة، وإضافتهم إليه للاختصاص، أي الدعاة المخصوصون به الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته»[2]، فهم من يدعو إلى دين الله وحده دون غيره، وليس للداعي إلى غير الله علاقة بهذا المصطلح، وكأنه أصبح معروفاً أن الداعية هو من "داعية الإسلام". فنجد أن التعريف لكلمة "داعي أو داعية" بشكل مجرد يعني من يدعو إلى الإسلام كما هو الحال في كلمة "مبشر" فهي تعني من يبشر بعيسى عليه السلام ودعوة النصرانية.

فالداعية بشكل عام هو "المسلم المكلف"، فتجب عليه الدعوة بقدر استطاعته، وقدر علمه؛ لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3]، وقول الرسول ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[4]، وبذلك تكون الدعوة فرضاً على كل

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٤١- ٤٢.

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ١/١٥٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم ١٧٧، ص٤٢.

مسلم، فأصبح كل مسلم داعياً إلى الله سبحانه في جميع أمور حياته، وذلك بتطبيق شرائع الإسلام وأوامره على نفسه أولاً ثم الدعوة إليه حسب الاستطاعة.

أما الداعية المتخصص فقد وجدنا أن هناك شروطاً يجب أن تتوافر فيه مجتمعة حتى تكون الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما العمل الأساس لهذا الشخص، وهذه الشروط لا تعني عدم وجود غيرها، إلا أننا رأينا أن هذه الشروط هي الأهم والأولى بتوافرها جميعاً في الداعية المختص، وهذه الشروط ما يأتي:

أ) الشرط الأول: الإسلام:

الإسلام هو الشرط الأساس؛ لأنه قد يكون هناك من يدعو إلى أخلاق الإسلام وهو غير مسلم، وهناك من يؤازر المسلمين في مواقفهم وقضاياهم وهو غير مسلم، ومن ذلك قصة أبي طالب بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ عندما رأى الرسول ﷺ وابنه علياً رضي الله عنه يصليان فقال لعلي: «أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت بالله ورسول الله، وصدقت بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما أنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه»[1].

فهنا نجد أن أبا طالب يأمر ابنه بأن يلزم الرسول ﷺ، إضافة إلى أنه كان يؤازر النبي ﷺ ويدعمه، ومع هذا لا يمكن أن يكون داعية إلى الإسلام؛ لأنه لم يدخل الإسلام، إنما مات وهو كافر.

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢٣٧/١.

ب) الشرط الثاني: التكليف:

هو شرط أساس من شروط جميع العبادات، كالصلاة والزكاة والصيام والحج، ولأن الدعوة هي نوع من أنواع العبادات، فالتكليف مطلب أساس، والتكليف هنا المقصود به العقل والبلوغ، فيسقط التكليف عن المجنون لعدم وجود العقل، ويسقط عن الصغير؛ لأنه لم يصل إلى حد البلوغ، وإن كانت تصح منه الدعوة إلا أنها لا تجب عليه، ولا يكلف بها.

ج) الشرط الثالث: السعي إلى التبليغ والتعريف بالإسلام:

إن التبليغ والتعريف بالإسلام يُعد المرحلة الأولى من مراحل الدعوة العملية، وذلك بعرض الإسلام وشرحه للمدعو، وإيضاح جوانبه وما يحتويه من فضائل وكله فضائل، فالداعية المتخصص يجب أن يكون دوره تبليغ الإسلام والوصول إلى الناس لتبليغهم، وألا ينتظر منهم أن يأتوه، وإلا لأصبح مثله مثل أي مسلم داعية غير متخصص، والتبليغ يكون بالوسائل المتوافرة وتوظيفها، وتختلف الوسائل باختلاف الأزمان والأحوال، فمثلاً ما كان في السابق عن طريق الرسائل المكتوبة المرسلة عبر البريد، أصبح الآن عبر وسائل الاتصال الحديثة كمواقع التواصل الاجتماعي، وهكذا.

د) الشرط الرابع: حث المدعوين على تطبيق الإسلام وممارسته:

بعد التبليغ والتعريف بالإسلام تأتي مرحلة الحث على تطبيق الإسلام وممارسته من قِبل المدعوين، وتعليمهم الإسلام، كما فعل مصعب بن عمير رضي الله عنه

عندما أرسله الرسول ﷺ إلى المدينة فأخذ يعلمهم القرآن وأمور الدين.

فشرط الحث على تطبيق الإسلام وممارسته هو من الأساسيات التي فرَّغ الداعية المتخصص نفسه لها، وذلك حتى يجني ثمرة ما دعا إليه.

هـ) الشرط الخامس: التأهيل العلمي والنفسي للداعية:

يجب على الداعية المتخصص أن يكون لديه التأهيل الشرعي المناسب للقيام بالدعوة على المنهج الصحيح حتى لا يقع في أخطاء قد تضر الدعوة والدين، أو قد يدعو إلى ضلالة وهو لا يعلم، فكان الرسول ﷺ لا يترك أحداً يدعو قومه إلا وقد علمه أمر الدين، أو أوكله إلى من يُعلمه، كما في قصة إسلام عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه عندما قال الرسول ﷺ لأصحابه: «**فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره**»، ثم أذن له أن يذهب إلى مكة ليدعوهم[1]. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[2]، ويقول الشيخ محمد بن عثيمين: «إذا لم يكن الإنسان ذا علم فإن الأولى به أن يتعلم أولاً ثم يدعو ثانياً»[3].

ومن التأهيل أيضاً التأهيل النفسي والشخصي للداعية، فيجب أن يكون مهيأً لهذه المهمة نفسياً من حيث الهمة والاهتمام والثقة بالنفس وأنه على قدر المسؤولية.

---

(١) انظر: المعجم الكبير، الطبراني، باب العين، من اسمه عمر، رقم ١١٨، ١١/٣٧٤٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) زاد الداعية إلى الله، محمد بن صالح العثيمين، ص١٣.

وهذه الشروط هي الحد الأدنى الواجب توافرها في الداعية المختص، والذي وفقه الله لهذه المهمة ليكون كما قال الله تعالى عنه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(١).

ثانياً: استثمار الجوانب الإيجابية لدى الداعي إلى الله:

لكل أمر من الأمور جوانب عدة منها الإيجابي ومنها السلبي، وكل شخص لديه أيضاً نقاط ضعف ونقاط قوة، وقد تكون هي ما يميز كل شخص عن الآخر، فهذه الميزات، إما أن تكون في التكوين الخَلقي للشخص: كالجسم والصوت والشكل والهيئة، أو تكون في خُلقه: كاللطف والعاطفة والشجاعة والكرم، وقد تكون هذه الميزة خارجة عن ذات الشخص فتكون في البيئة المرتبطة به: كالزعامة والمكانة والخصومة وقوة القبيلة وكثرة المال والأعوان... إلخ. ومن هنا نجد أن كل داعٍ لديه ميزة أو أكثر يستطيع استثمارها في الدعوة إلى الله، وهو ما قام به صحابة رسول الله ﷺ من استثمار لهذه الجوانب والميزات التي وهبهم الله إياها، كل حسب استطاعته، وذلك من أجل نشر هذا الدين وتبليغ رسالة الله ﷻ، وإكمالاً لرسالة النبي ﷺ. ومن هذه الجوانب التي اعتنى بها الصحابة في دعوتهم ما يأتي:

أ) مكانة الداعي:

لمكانة الشخص ومنزلته بين العرب وضع خاص، وميزة لكل من يتبوؤها، فنجد أن العرب تنظر إلى زعماء القبائل ووجهائها نظرة إجلال وتقدير، وأنه

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

ما وصل إلى هذه المكانة إلا بأمور منها رجاحة العقل، والتي يترتب عليها أمور كثيرة في قبيلته، فهو من يقرر الحرب والسلم، وذو رأي ومشورة وشجاعة وكرم، فمتى اجتمعت هذه الأمور لدى أحد منهم تبعوه وأسلموا له رأيهم، يقول لقيط بن معمر الإيادي يخاطب قبيلته وينصحهم باختيار قائد لهم[1]:

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب در الدهر أشطره ... يكون مُتْبِعَاً طوراً ومُتَّبَعَا
حتى استمرت على شزر مريرته ... مستحكم السن لا قحماً ولا ضرعا

ومن هنا نجد أن المكانة عند العرب لها مقاييس خاصة ومعايير محددة متى ما توافرت في شخص ما رفعته وأعلت مكانته بين قومه، وهذه الميزة توافرت في عدد من الصحابة، وكان لها الأثر في دعوتهم لأقوامهم، ومن هؤلاء الصحابي سعد بن معاذ ﷺ، عندما عاد إلى قومه من عند مصعب بن عمير ﷺ وقد أسلم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله، قالا[2]: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة.

---

(١) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ١/١٩٦- ١٩٧.

(٢) أي مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما.

فقول سعد بن معاذ ﷺ لقومه: "كيف تعلمون أمري فيكم؟" هو بيان لمعرفته بمكانته بين قومه وفضله فيهم، فأراد أن يستثمر هذا الفضل ليدخلهم في الإسلام، وكان له ما أراد، فقولهم: "سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة"، فيه معانٍ عدة، فكلمة "سيدنا" دلت على أنهم سوف يتبعونه على ما هو عليه، وكلمة "أفضلنا رأياً" دليل على أنهم مقتنعون بما سوف يراه لهم من رأي ويأمرهم به، وأنه الرأي الأفضل، وقولهم: "أيمننا نقيبة" «النقيبة هي النفس، وقيل: هي يمن الفعل، ورجل ميمون النقيبة: مظفر بما يحاول»[1]، فكأن قولهم يعني أن ما قمت به من فعل فهو فعل ميمون ومسدد، وقد علم سعد بن معاذ ﷺ برأيهم قبل أن يسألهم، إنما أراد أن يستثمر هذه الميزة لأجل الدعوة، فكان ذلك.

ب) علم الداعي:

العلم سلاح بيد كل متعلم، وله تأثير قوي على البشر، فأكثر المؤثرين في العالم على مر العصور غير الأنبياء هم الذين لديهم نصيب من العلم، وقد سجل التاريخ ذلك، ومثال ذلك الحضارات التي قامت لكثير من الأمم، وكان سببها العلم، فهناك الحضارة اليونانية، والفرعونية، والهندية، والصينية، بالإضافة إلى الحضارات التي قامت في جزيرة العرب، كحضارة عاد وثمود وسبأ وغيرها، فكل ذلك كان بسبب العلم.

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، القاف والنون والباء، ٦/٢٧٨.

وقد كان العلم هو أحد أسلحة الصحابة ﷺ في نشر الإسلام وتوعية الناس به، فهذا مصعب بن عمير ﷺ الذي يطلق عليه لقب "المعلم والمقرئ"، أسلم على يديه أكثر أهل المدينة، وذلك لم يكن لكثرة ماله أو جاهه أو قوته، إنما بالعلم الذي كان لديه، والذي حصل عليه من رسول الله ﷺ، فكان عالماً بالقرآن، وقد عَلِم ﷺ أن هذه الميزة لديه واستثمرها في نشر هذا الدين، فكان هو المرجع لأهل المدينة خلال فترة بقائه بها، قبل العقبة الثانية.

كما أن في دعوة النجاشي لعمرو بن العاص رضي الله عنهما دليلاً على توظيف واستثمار ما لدى النجاشي ﷺ من علم ليقنع به عمرو بن العاص وذلك عندما سأله عمرو بن العاص أن يعطيه رسول رسول الله ﷺ ليضرب عنقه، فكان رد النجاشي أن قال له: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟! قال عمرو: أيها الملك، أكذا هو؟ قال: ويحك يا عمرو! أطعني واتبعه فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، فأسلم عمرو بن العاص ﷺ. فكان لعلم النجاشي ﷺ تأثير في عمرو بن العاص ﷺ، مما جعله يسلم؛ وذلك لأن النجاشي كان يتكلم عن علم أهل الكتاب واستثمر معرفته به ليدعو عمرو بن العاص وأنه لا يتكلم عن هوى، فاهتمام الداعي إلى الله بما يملكه من علم، والعمل على استخدامه من أجل دخول الناس في الإسلام كان من مميزات الصحابة الدعاة ﷺ التي حرصوا على توظيفها في خدمة الدين.

ج) ثقة المدعو بالداعي:

الثقة سبب للاطمئنان والراحة تجاه الموثوق به، وثقة المدعو بالداعي تعطي الداعي مبرراً لعرض دعوته على من يدعو، ومن المفروض على الداعي أن يكون ثقة عند الناس حتى يقبلوا منه إذا عرض عليهم الدعوة، فعندما يعلم الداعي مدى ثقة المدعوين فيه فإن ذلك يكون دافعاً لدعوتهم، وتوظيفه لهذه الثقة يكون في محله، فهو يدعوهم لما فيه خير لهم وله، فليس هناك أفضل ولا أحسن من دخول الشخص في الإسلام، ففيه صلاح دنياه وحاله وصلاح آخرته ومآله. وقد قامت أم حكيم بدعوة زوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما وذلك عندما فر من رسول الله ﷺ يوم الفتح فاستأمنت له رسول الله وكان قد أمر بقتله فلحقت بعكرمة وقد ركب السفينة فجعلت تلح عليه وتقول: يا ابن عم، جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس فلا تهلك نفسك، وقد استأمنت لك محمداً رسول الله ﷺ فقال: أنتِ فعلتِ؟ قالت: نعم، أنا كلمته فأمنك، فرجع معها.

فثقة عكرمة رضي الله عنه بزوجته أم حكيم جعلته يستجيب لها، فقوله لها: أنتِ فعلتِ؟ دليل على أنه لو كان غيرها لكان أمرًا آخر، أما هي فهي ثقة وقولها ثقة أحسَّ به المدعو بالأمان.

وفي دعوة الوليد بن الوليد أخاه خالد بن الوليد رضي الله عنهما وذلك عندما دخل الرسول ﷺ مكة في عمرة القضية وكان الوليد معه فبحث عن خالد ولم يجده، فكتب له كتاباً فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فأني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك، ومثل الإسلام جهله أحد؟! وقد سألني رسول الله ﷺ عنك، فقال: «**أين خالد؟**» فقلت: يأتي الله به، فقال: «**ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ولقدمناه على غيره**»، فاستدرك يا أخي ما فاتك فقد فاتتك مواطن صالحة»، يقول خالد: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرني ما قاله رسول الله ﷺ[1].

فإحساس الوليد رضي الله عنه بثقة أخيه فيه أدت إلى كتابة هذا الكتاب له، مما كان له أثر في إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه، وهنا نجد أن القرابة كان لها دور في تعزيز الثقة بين المدعو والداعي، وذلك ما عرفه الصحابة رضي الله عنهم وأدى إلى دعوة أهليهم وأقاربهم.

د) توظيف عمل المعروف في الدعوة:

عمل المعروف عند العرب له قيمة كبيرة مما يوجب رد هذا الجميل عاجلاً أم آجلاً، وقد قال أبو الفتح البستي في قصيدة له طويلة هذا البيت:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان[2]

كما أن من المعروف المعاملة الحسنة والرد على الإساءة بالإحسان والوجه الحسن وغيرها مما يتسبب في كسب قلوب الآخرين وميلهم إلى الداعي والاستماع منه، وقد كان رسول الله ﷺ يصنع المعروف، ففي قصة بدء الوحي عندما رجع إلى

(١) انظر: المغازي، الواقدي ، ص٥٠٨- ٥٠٩.

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم الهاشمي، ص٧٦٢.

خديجة رضي الله عنها فقال لها: «**زملوني زملوني**»، ثم أخبرها الخبر، فقالت له: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»(١)، فالأوصاف التي ذكرتها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها جميعها من صنائع المعروف، ومن هذا كان ﷺ قدوة لأصحابه الذين ساروا على نهجه، وقد علم الصحابة رضي الله عنهم أن عمل المعروف لا يضيع عند العرب، فأرادوا أن يستخدموه في أمور تخدم الإسلام، وتنجي الناس من النار.

ومن ذلك قصة إسلام حويطب بن عبدالعزى على يد أبي ذر رضي الله عنهما عندما أمَّنه أبو ذر وأمَّن عياله من القتل يوم الفتح، وبلَّغه منزله، ثم عاد إليه أبو ذر فقال له: حتى متى وإلى متى؟ قد سُبقت في المواطن كلها وفاتك خير كثير، وبقي خير كثير، فَأْتِ رسول الله وأسلِم تسلم، فأسلم حويطب بدعوة أبي ذر.

وهنا نجد أن أبا ذر رضي الله عنه قد عمل معروفاً في حويطب بن عبدالعزى رضي الله عنه فكان ذلك سبباً في عرض الإسلام عليه ودعوته له؛ لأن المدعو هنا لديه إحساس أن عليه أن يستمع إلى الداعي رداً للجميل، فاستشعر أبو ذر رضي الله عنه ذلك فدعا حويطباً إلى الإسلام مما كان له أثر في الاستجابة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ وقول الله جل ذكره: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾، رقم ٣، ص١.

هـ) الصداقة:

تُعد الصداقة من الأمور الجميلة الموجودة بين البشر لما فيها من خصائص لا تجتمع إلا فيها، كالإخلاص والإيثار والصدق والثقة والنصح وغيرها، يقول ابن رشد عن الصداقة: «هي أن يكون الإنسان يهوى الخير لإنسان آخر من أجل ذات ذلك الإنسان لا من أجل ذات نفسه، وأن تكون له قوة وملكة يفعل بها الخير له، والمصادقة هي أن يكون كل منهما من صاحبه بهذه الحال»(١).

وبهذا نجد أن الصديق له تأثير على صاحبه، وقد يقبل منه ما لا يقبل من غيره؛ ولذلك قام عبدالله بن رواحه رضي الله عنه بناءً على معرفته لما بينه وبين أبي الدرداء من صداقة وأخوة في الجاهلية، بتحطيم صنم أبي الدرداء، حتى يثبت له أنه لا يضر ولا ينفع، وهو يعلم أن الأخوة والصداقة التي بينهم سوف يكون لها أثر في قبول أبي الدرداء لهذا الفعل، ولو أن هذا الفعل أتى من غيره لكانت ردة فعله مختلفة، فكان لابن رواحة ما توقعه، وأسلم أبو الدرداء رضي الله عنهما، وكان للصداقة أثر في ذلك. وفي قصة أبي ذر وحويطب شاهد آخر على أثر الصداقة، إضافة إلى عمل المعروف؛ لأن أبا ذر وحويطباً كان بينهما خلة في الجاهلية، كما قال حويطب رضي الله عنه: "وكانت بيني وبينه خلة، والخلة أبداً مانعة".

وإحساس الصداقة يجعل الداعي يتشجع لأن يدعو صديقه؛ لأن الصداقة سوف تكون مانعاً من حدوث أي مكروه أو خطر، بالإضافة إلى أنها سوف تكون

---

(١) تلخيص الخطابة، ابن رشد، ص١٤٨.

سبباً في استقبال المدعو الدعوة بنفس طيبة غير متحفزة أو مشحونة ضد الداعي، فكان ذلك استثماراً من الصحابة ﷺ للصداقة وإعطاءها معناها بالنصح والدعوة لمن يصادقونه حتى يكونوا أخلاء لهم في الإسلام كما كانوا أخلاء في الجاهلية.

و) اغتنام المواقف:

تفرض المواقف ردود أفعال من قِبل المدعوين، وتكون فرصة للداعي أن يغتنمها في الدعوة إلى الله؛ لأن الفرص لا تأتي إلا نادراً، فكلما استثمر الداعي كل فرصة كان إلى النجاح في الدعوة أقرب، وتعلم الصحابة في بداية دعوتهم أن من المنطقي اغتنام هذه الفرص، فاغتنام الفرص ميزة يجب أن يتميز بها الداعي، وقد تميز بعض الصحابة بهذه الميزة واستثمروها في الدعوة إلى الله، فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما أتاه عثمان بن عفان رضي الله عنه قبل أن يسلم وذكر له ما قالته له خالته سعدى بنت كريز عن الرسول ﷺ فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ويحك يا عثمان! إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأصنام التي يعبدها قومنا؟! أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع؟ قال: قلت: بلى والله إنها لكذلك، فقال: والله لقد صدقتك خالتك، هذا رسول الله محمد بن عبدالله، قد بعثه الله إلى خلقه برسالته فهل لك أن تأتيه؟ فذهب عثمان مع أبي بكر رضي الله عنهما إلى الرسول ﷺ وأسلم من ساعته.

لقد وجد أبو بكر الصديق رضي الله عنه الفرصة في حديث عثمان عن خالته، وما قالت له، فلم يتردد أن استثمرها في دعوته إلى الإسلام، وشرحه له، وشرح

ما هم عليه من ضلال، وطلب منه أن يأتي الرسول من ساعته، ولم ينتظر إلى وقت آخر، فهي فرصة لا تعوض، وحادثة لا تتكرر.

وكما في قصة دعوة العباس بن عبدالمطلب ﷺ لأبي سفيان ﷺ وتوظيفه للحدث، وذلك عندما قدم الرسول ﷺ لفتح مكة، ونزل مرَّ الظهران، ذهب العباس ﷺ يلتمس من يخبر أهل مكة برسول الله ﷺ فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة، فوجد أبا سفيان بن حرب فقال له: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله، قال: فما الحيلة؟ فداك أبي وأمي، فأشار عليه العباس بأن يركب معه ويذهب إلى رسول الله ﷺ ويستأمنه، فذهب معه وقابل رسول الله ﷺ وعرض عليه الإسلام، ثم قال له: «**ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟**» فقال أبو سفيان: أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً، فقال له العباس: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق فأسلم[1]، فاستثمر العباس ﷺ الموقف مرتين، الأولى عندما طلب من أبي سفيان الذهاب معه إلى الرسول ﷺ، والثانية عندما قال له: أسلم قبل أن تُضرب عنقك.

ز) البديهة وسرعة الرد:

إن حضور الذهن وسرعة الرد لدى الداعي دليل على تعمق الإنسان فيما يدعو إليه واقتناعه به، وإلا لأصبح متردداً غير واثق، مما يؤثر سلباً على الدعوة

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٣٤٠- ٣٤١.

ويفوت كثيراً من الفرص، «والبديهة هي المعرفة يجدها الإنسان في نفسه من غير إعمال للفكر ولا علم بسببها»(١)، وهي ميزة يميز الله بها بعض الناس عن بعض، وقد أعطى الله بعض الصحابة ﷺ هذه الميزة، ومن هؤلاء أبو بكر الصديق ﷺ كان لسرعة رده في دعوته لطلحة بن عبيد الله ﷺ أثر في إقناعه، وذلك عندما قيضت قريش طلحة بن عبيد الله لأبي بكر ليرده عن الإسلام، فأتاه وهو في القوم فقال أبو بكر ﷺ: إلام تدعوني؟ قال طلحة: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، قال أبو بكر: وما اللات؟ قال: أولاد الله، قال: وما العزى، قال: بنات الله، قال أبو بكر الصديق: فمن أمهم؟ فسكت طلحة فلم يجبه، فقال لأصحابه: أجيبوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فكان لسرعة رد أبي بكر الصديق وحضور ذهنه أثر في إسلام طلحة بن عبيدالله رضي الله عنهما، فتوقفت دعوة طلحة على استعداد أبي بكر في سرعة الرد وحضور الذهن والمعرفة، بالإضافة إلى طلاقة اللسان، ومعرفة أبي بكر ﷺ ذلك عن نفسه جعلته يصبح السائل بدلاً من المسؤول، مما أحرج القوم ووضح فساد معتقدهم.

ح) استخدام الحيلة في الدعوة:

الحيلة المقصودة هي «الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف في الأمور، وتحايل على الرجل: سلك معه مسلك الحذق ليبلغ منه مأربه»(٢)، والحيلة

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، باب الباء، ص٤٤.
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ١/٥٩٦.

محمودة إذا كانت في جلب خير أو دفع شر، أما فيما عدا ذلك فهي مذمومة، وقد احتال يوسف عليه السلام على إخوته في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾(١)، ويقول كعب بن مالك رضي الله عنه: «**كان الرسول ﷺ قلما يريد غزوة إلا ورّى بغيرها**»(٢)، وهذا من الحيلة في الحرب، ففي الأولى جلب خير، وفي الثانية دفع شر، وقد استخدم بعض الصحابة رضي الله عنهم الحيلة ليبينوا الحق ويدعوا إليه، وأن ما عليه المشركون هو الباطل، فهذا معاذ بن جبل ومعاذ بن عمرو بن الجموح وفتيان من الأنصار كانوا يدلجون في الليل على صنم لعمرو بن الجموح فيحملونه ويطرحونه في بعض حفر بني سلمة التي فيها عذرة الناس فإذا أصبح عمرو بن الجموح بحث عن إلهه إلى أن يجده في الحفرة، ثم يعيده فيغسله ويطهره ويطيبه ويتكرر الموقف، وفي أحد المرات علق السيف عليه وقال له: إن كان فيك خير فامتنع، فلما رآه في الحفرة وقد قرن بكلب ميت تركه وأسلم. وهنا نجد أن معاذ بن جبل ومعاذ بن عمرو رضي الله عنهما عندما علما أنهما لا يستطيعان مواجهة عمرو بن الجموح مما قد يتسبب في تمسكه في إلهه أكثر، لجأا إلى استخدام الحيلة في إثبات أن هذه الأصنام لا تنفع أنفسها، فكيف تنفع غيرها، وهذا نوع من استخدام الداعي لإمكاناته وقدراته التي يمكن أن يكون لها أثر إيجابي في الدعوة.

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورى بغيرها ومن أحب الخروج إلى السفر يوم الخميس، رقم ٢٩٤٨، ص٤٨٨.

ط) الدعوة من موقف القوة:

من المتعارف عليه أن الأقوى يفرض ما يدعو إليه بالقوة على من هم أضعف منه، إلا أن سماحة الإسلام جعلت الدخول في الإسلام بالرغبة وعدم الإكراه، وإنما يجب على المسلمين توضيح الإسلام لغيرهم، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾(١)، وقد حدث للصحابة رضي الله عنهم مواقف كثيرة دعوا فيها وهم في موضع قوة وعزة، وذلك أنهم استشعروا من أنفسهم أنه بإمكانهم في تلك الساعة أن يدعوا فيستجاب لهم، وأن لا يستخدموا القوة أولاً، ومن هذا ما كتبه خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس وإلى رستم وهرمز، ودعوته لهم بالإسلام قبل أي خيار آخر، والإيضاح لهم أنه يتحدث من قوة وذلك في قوله في أحد كتبه: "قد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة".

وكذلك مسلم بن الحارث التميمي رضي الله عنه عندما أرسله الرسول ﷺ في سرية، يقول مسلم: لما بلغنا المغار استحثثت فرسي وسبقت أصحابي، فقلت للقوم: قولوا لا إله إلا الله تحرزوا، فقالوها فلم يؤذوا.

فالإحساس بالقوة واستشعارها من قِبل الداعي واستخدامه لها في الدعوة والتلطف هي قوة له وميزة يتميز بها داعٍ عن آخر، وذلك ما أحس به صحابة رسول الله ﷺ ومن ثم قاموا باستخدامها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

ي) معرفة الداعي بأمور المدعوين:

إن الدعوة هي نوع من المناورة بين الداعي والمدعو، ومعرفة المدعو وطريقة خطابه والتعامل معه مهمة لدى الداعي؛ لكي يستطيع إيصال الفكرة للمدعو والحصول على نتيجة منها، وكان الصحابة ﷺ قد علم كلٌّ منهم ما هي إمكانياته التي يستطيع بها أن يؤثر في المدعو، ومن هذه الإمكانات معرفة اللغة وأسلوب التعامل مع فئة معينة بذاتها. وقد حصل ذلك مع الصحابي الجليل سلمان الفارسي ﷺ في غزو فارس، فيما ذكره الطبري أنه كان رائد المسلمين وأن المسلمين قد جعلوه داعية أهل فارس، وقد كانوا أمَّروه بدعاء أهل بهرسير وأمَّروه يوم القصر الأبيض، وما قدم ﷺ لدعوة أهل فارس إلا لتميزه في معرفته بهم، وأنه منهم، ولمعرفته بلغتهم، وهو ﷺ أعلم بنفسه وبما يختص به وما يستطيع أن يبدع فيه ويحصل به على نتيجة وينفع به الإسلام والمسلمين.

المطلب الثاني: متطلبات إعداد الداعي

عملية إعداد الداعي هي عملية مترابطة، تتكون من عدة عوامل تؤدي إلى تهيئة شخص ما إلى أن يكون داعياً إلى الله ﷻ، ويتخلل هذه العملية اكتساب مهارات وزيادة في المعرفة، وتطويراً في الذات؛ مما يجعل من ذلك الداعية شخصاً يستطيع أن يدير إمكاناته وقدراته، والاستفادة منها بما يساعده في القيام بواجب الدعوة، والتعامل مع جميع المواقف والحوادث بطريقة سليمة بعيدة عن الانفعال والاستعجال، وذلك بسبب الإعداد الجيد والتأهيل المناسب.

وقد كان إعداد صحابة رسول الله ﷺ للدعوة أولاً على يديه ﷺ وتحت نظره، فكان ملقناً مهماً لمعنى الدعوة، وموجهاً إياهم إلى طريقها، وآمرهم بحمل لوائها في حضرته ومن بعده، فكم داعية جهزه ﷺ من أصحابه ﷺ، وأرسله بعد أن يزوده بما يحتاج من زاد الداعية، كما كانت جيوشه ﷺ جيوش دعوة أولاً لا جيوش قتال، لذلك أعطى ﷺ لإعداد الداعية أهمية عظمى، كما بين ضرورة ذلك، وهو ما سوف يتبين لنا في هذا المطلب.

إن إعداد الداعي هو نوع من التأهيل والتدريب المتعارف عليه في زماننا، إلا أن الطريقة تختلف باختلاف الأزمنة والأحوال، وذلك لاختلاف الإمكانات والشعوب والمؤثرات، واختلاف الأعداء أيضاً. أما إعداد الصحابة ﷺ فإنه هو الركيزة الأساسية في إعداد الدعاة لاحقاً؛ لأن الأساسيات لا تتغير وإن تغيرت طريقة التعامل معها، وطريقة استخدامها، ومن هذه الأساسيات في إعداد الداعي الإجابة عن الأسئلة الآتية وإعداد الداعي على ضوء هذه الإجابات:

١. إلى ماذا يدعو؟

٢. لماذا يدعو؟

٣. من يدعو؟

٤. أين ومتى يدعو؟

٥. كيف يدعو؟

أولاً: إلى ماذا يدعو الداعي؟

هذا السؤال من أهم الأسئلة التي يجب الإجابة عليها، والإعداد على ضوئها لجميع المسلمين، وليس للدعاة فقط، ولكن لأن حديثنا هنا يختص بالدعاة فإننا لن نتطرق إلى غيرهم في الإجابة على هذا السؤال وطريقة إعداد الداعية على ضوئه.

فالإجابة على هذا السؤال هي دعوة الداعي إلى معرفة الله ﷻ، ومعرفة الإسلام، ومعرفة النبي ﷺ، وهذه المعارف الثلاث هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها، والتي ذكرها الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله[1]، وهي مجال إعداد الداعية في الإجابة على (إلى ماذا يدعو الداعي؟).

١. إعداد الداعي بمعرفته بربه:

إن أول واجب على كل مسلم هو معرفته بالله تعالى، وأنه هو ربه، ولا إله غيره، ولكي يقوم الداعية بإيصال هذه المعلومة إلى المدعو يجب عليه أولاً معرفة ذلك بنفسه معرفة وافية تقيه الفتنة والانحراف، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[2]، وما أرسل الله ﷻ من رسول إلا ليعلم الناس من هو الله، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[4].

(١) انظر: الأصول الثلاثة وأدلتها، محمد بن عبدالوهاب، ص٩.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة النحل، الآية: ٢.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

وقد ذكر ابن القيم: «أن الرسل من أولهم إلى خاتمهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أرسلوا بالدعوة إلى الله، فعرفوا الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفاً مفصلاً حتى كأن العباد يشاهدونه سبحانه وينظرون إليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ويدبر أمر ملكه، ويسمع أصوات خلقه، ويرى أفعالهم وحركاتهم، ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم، يأمر وينهى، ويرضى ويغضب، ويحب ويسخط، ويضحك من قنوطهم وقرب غيره، ويجيب دعوة مضطرهم، ويغيث ملهوفهم، ويعين محتاجهم، ويجبر كسيرهم، ويغني فقيرهم، ويميت ويحيي، ويمنع ويعطي، ويؤتي الحكمة من يشاء، مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كل يوم هو في شأن، يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويفك عانياً، وينصر مظلوماً، ويقصم ظالماً، ويرحم مسكيناً، ويغيث ملهوفاً، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخيره، فأزمَّة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»[1].

إن في ما قاله ابن القيم وصفاً لما جاء به الرسول ﷺ عن المعرفة بالله ﷻ وأسمائه وصفاته. ومن هذا المنطلق كان إعداد الداعي في هذا المجال مطلباً مهماً، وقد حرص صحابة رسول الله ﷺ على ذلك، بل حرص الرسول ﷺ على تهيئتهم وإعدادهم في ذلك ليكونوا دعاة من بعده.

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، ٣/٣٦٤- ٣٦٥.

فكان من إعداد الصحابة أنهم كانوا ينهلون من رسول الله ﷺ ويتسابقون على سماع ما أنزل إليه من القرآن وحفظه، كما أنهم كانوا يسألونه في كل الأمور التي تُعرفهم بخالقهم، وقد علّمهم الرسول ﷺ ما علّمه ربه فيما فيه وصف الله ﷻ، فعلمهم سورة الإخلاص، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[1]، كما علمهم قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

بهذا كان إعداد الصحابة كدعاة من خلال تعريفهم بربهم، وبهذا كانوا يتعاملون مع المدعوين، كما أنه أوضح لهم ﷺ وحذرهم من الاستسلام لإغواء الشيطان، فقال لهم ﷺ: «**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله**»[3]، فوضع ﷺ لهم القواعد في معرفة الله ﷻ، والدعوة إليه، والضوابط في ذلك، فكان ذلك إعداداً للصحابة فيما يتعلق بمعرفتهم بالله.

(١) سورة الإخلاص، الآيات: ١-٤.

(٢) سورة الحشر، الآيات: ٢٢-٢٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم ٣٤٣، ص٦٩.

٢. إعداد الداعي بمعرفته لدينه:

أولى الرسول ﷺ تثقيف الصحابة رضي الله عنهم بأمور دينهم اهتماماً كبيراً؛ مما كان له الأثر في إعدادهم كدعاة إلى هذا الدين، فمنذ بداية البعثة والرسول ﷺ يعلم أصحابه واحداً تلو الآخر بحسب دخولهم الإسلام، فكان أول من علمه الصلاة والوضوء هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ومن ثم علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة رضي الله عنهما وذلك حسب ما ذكره ابن هشام[١].

فكل علم من أمور الدين يتعلمه الصحابة يكون رصيداً لهم في الدعوة، كما أنهم في فترة الدعوة السرية كانوا إذا عرف أحدهم معلومة من أمر دينهم ذهب إلى الآخرين ليخبرهم بها، ويتدارسونها، كما حصل من سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب وخباب بن الأرت رضي الله عنهم، عندما كانوا يتدارسون القرآن في قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. بالإضافة إلى حرصهم رضي الله عنهم على الحضور إلى دار الأرقم للاجتماع بالرسول ﷺ والأخذ منه منذ بداية الدعوة الإسلامية. وكان إذا أسلم أحد ممن هم من غير أهل مكة كان رسول الله ﷺ يحرص على أن يعلمه ويثقفه في أمور دينه، حتى يدعو من خلفه من قومه، كما حصل من الطفيل بن عمرو الدوسي عندما عرض عليه الرسول ﷺ أمور الإسلام وعلمه إياها وتلا عليه القرآن ثم أرسله داعياً إلى قومه دوس ليدعوهم. ومن إعداده ﷺ لصحابته رضي الله عنهم بعد قيام دولة الإسلام في المدينة جعل المسجد مقراً لتلقي التعليم، وتزويد الدعاة بالعلم الخاص بأمور

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٢٣٤-٢٣٨.

الدين. وحديث جبريل الطَّيْلاً الذي رواه عمر بن الخطاب ﷺ والذي فيه تفصيل لجميع أمور الإسلام[1] كافٍ لأن يكون فيه تعريف للداعية بما يدعو إليه من أمور العبادات والمعاملات في الدين؛ لأن فيه أبلغ شرح لأمور الإسلام.

ومما يساعد الصحابة على أن يكونوا دعاة مناسبين حرصُهم على الحصول على العلم الشرعي وذلك بانتظارهم للرسول في المسجد حتى إن بعضهم ممن لا يستطيع الحضور إلى المسجد كان يأخذ ما فاته من بقية الصحابة. وكان المسجد معهداً لإعداد الدعاة في ذلك الوقت. إضافة إلى ذلك نجد أن الرسول ﷺ يحرص على أن يعلم كل من يرسله في مهمة أمور الدين، فها هو يوصي معاذ بن جبل ﷺ عندما بعثه إلى اليمن ويعلمه أمور الدين، وكذلك يعلم ضمام بن ثعلبة أمور الدين ليبلغ قومه، ويأمر الصحابة أن يفقهوا عمير بن وهب الجمحي في أمور الدين عندما أتى ليقتل الرسول ﷺ؛ ليدعو أهل مكة.

وكل ذلك كان إعداداً للدعاة من أصحاب رسول الله ﷺ وذلك بأخذ الدين من رسول الله مباشرة أو بالنقل من بعضهم لبعض.

٣. إعداد الداعي بمعرفته بنبيه ﷺ:

إن معرفة النبي ﷺ واجبة على كل مسلم يؤمن بالله وإن اختلفت هذه المعرفة ونسبتها عند كل مسلم، إلا أنها في الداعية يجب أن تكون معرفة وافية يستخدمها في كثير من أمور الدعوة التي يختص بها، فلا يمكن أن يكون الداعية

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم ٩٣، ص٢٤.

جاهلاً برسول الله ﷺ وهو ينقل عنه ويدعو إلى اتباع سنته، ومن الأمور التي يجب على الداعية معرفتها ما يأتي:

أ) معرفة نسب النبي ﷺ.

ب) مكانته عند ربه.

ج) أخلاقه وسيرته.

د) نبوته ورسالته.

هـ) صفاته.

هذا بالإضافة إلى أيّ معرفة يستطيع أن يحصل عليها الداعي عن نبيه، وجميع هذه المعارف أخبر عنها ﷺ أصحابه وزودهم بها حتى يعلموا من هو نبيهم، ويعلِّموا من وراءهم. وقد أخبرهم النبي ﷺ عن نفسه فقال: «**إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول أمري: دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام**»[1]. وكما أخبر أيضاً عن نفسه قال: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[2]،

(١) شرح السنة، البغوي، كتاب الفضائل، باب فضائل سيد الأولين والآخرين، رقم ٣٦٢٦، ٢٠٧/١٣. حديث صحيح (الألباني، المشكاة، رقم ٥٧٥٩، ١٦٠٤/٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم ٥٩٣٨، ص١٠٠٨.

فعرفوا نبيهم وممن هو، كما أخبر الله ﷻ بأنه بشر مرسل من عنده تعالى، وذلك لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾(٢).

كما أوضح الله ﷻ مكانة رسوله ﷺ عنده، وذلك بقول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾(٤)، وقال ﷺ عن نفسه: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع**»(٥).

كما بين لهم ﷺ طريقة التعامل معه، والحديث في حضرته، فكان لإعدادهم في هذا الجانب أثر كبير في دعوتهم، ومن الأمثلة على ذلك عندما أرسلت قريش رسلها إلى النجاشي ليسلمهم المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، عند ذلك سألهم النجاشي عن دينهم بحضور أساقفته ورسل مشركي قريش، فتكلم جعفر بن أبي طالب وكان مما ذكر صفات الرسول ﷺ فقال: «حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه»(٦). وما ذكره عمرو بن مرة الجهني لقومه عن الرسول ﷺ حين

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٤) سورة الكوثر، الآية: ١.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم ٥٩٤٠، ص١٠٠٨.
(٦) السيرة النبوية، ابن هشام، ٣١٢/١- ٣١٣.

قال لهم: فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي بن غالب تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة. فذكر لهم نسب الرسول ﷺ؛ لأن العرب تهمها الأنساب. وفي وصف العلاء بن الحضرمي الرسول ﷺ للمنذر بن ساوى كان في وصفه تعريف به ودعوة بصفاته ﷺ فقال العلاء: هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدقه، ولمن لا يخون أن لا تأمنه، ولمن لا يخلف أن لا تثق به، فإن كان هذا هكذا فهو هذا النبي الأمي[1].

فهنا نجد أن الصحابة ﷺ قد أُعِدُّوا إعداداً جيداً بمعرفة نبيهم ونقل هذه المعرفة إلى الناس.

ثانياً: لماذا يدعو الداعي؟

لكل شيء سبب، ولكل عمل هدف، وما يقوم الداعية بعمله ويتحمل المشاق فيه إلا للوصول إلى هدف محدد يجيب على التساؤل السابق وهو: (لماذا يدعو الداعي؟) ولكي يُعَدَّ الداعي إعداداً صحيحاً يجب أن يعرف هذه الإجابة ويزود بها حتى لا يكون مجهوده بلا فائدة، بل قد يكون بلا أجر من الله؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى**»[2]، فبدون هدف لا يكون هناك نية واضحة، وبذلك لا يكون العمل لله، كمن يحج بدون نية الحج، أو يصوم بدون نية الصيام. ولهذا فَطِنَ الدعاة من الصحابة أن يعرفوا لماذا هم يدعون الناس إلى الإسلام؟ وما الأسباب لذلك؟ فما كان من معلمهم

(١) انظر: الروض الأنف، السهيلي، ٥١٩/٧- ٥٢٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» وأنه مدخل لغيره من الأعمال، رقم ٤٩٢٧، ص٨٥٣.

ومعلم البشرية ﷺ إلا أن أعدَّهم من هذا الجانب حتى يقوموا بحمل همِّ الدعوة ونشرها في أنحاء العالم، وإيصال هذه المهمة إلى مَن بعدهم؛ لذلك كانت الإجابة هي في ثلاثة محاور يتم بمعرفتها إعداد الداعية، وهذه المحاور هي:

أ) معرفة أهمية الدعوة للداعي نفسه.

ب) معرفة أهمية الدعوة للمدعو.

ج) معرفة أهمية الدعوة لنشر الإسلام.

وبهذا تكون المحاور الثلاثة، وإعداد الداعية بمعرفتها هي بمنزلة ركن من أركان إعداد الداعية، وسبباً في زيادة أهمية الدعوة لديه، وتهيئته نفسياً للقيام بالدعوة.

١. معرفة أهمية الدعوة للداعي نفسه:

إن هدف كل مسلم رضا الله ﷻ للفوز بالجنة، والنجاة من النار، وما خلق الله البشر إلا لعبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، والدعوة من العبادة التي أرسل الله بها أنبياءه وأمر بها أتباعهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[2]، وجعل مقابل ذلك أجراً كبيراً لمن يقوم بالدعوة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

ومن أهمية الدعوة للداعي أنه مستفيد من القيام بها سواء استجاب له المدعو أم لم يستجب؛ لأن الله ﷻ يجازيه بعمله واجتهاده، كما أن استجابة المدعو له فيها من الأجر الكبير، قال رسول الله ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**»[(١)]، فكل عمل يعمله من يهتدي من صلاة وصيام وحج وزكاة وصدقة وغيرها من أعمال الخير، يكتب للداعية مثله دون أي مجهود منه، كما أن الرسول ﷺ بيَّن لأصحابه أيضاً أن هداية المدعوين فيها من الخير ما يفوق خير الدنيا وذلك عندما قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**فوالله لأن يُهدى بك رجلٌ واحدٌ خير لك من حُمر النعم**»[(٢)]. وفي المقابل فيها وزر وإثم ومخافة تعجيل العقوبة حال التفريط بها، قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم**»[(٣)].

ومن هنا كان إعداد الصحابة للقيام بمهام الدعوة، وذلك ببيان أهميتها وما فيها من خير وما في تركها من شر؛ لذلك رأينا حرصهم عليها أشدَّ الحرص؛ فكم من صحابي عانى ما عاناه من أجل الدعوة إلى الإسلام والظفر بالجنة والسلامة من العذاب.

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم ٦٨٠٤، ص١١٦٥.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، رقم ٢٩٤٢، ص٤٨٧.
(٣) جامع الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم ٢١٦٩، ص٤٩٨. حديث حسن (الألباني، صحيح الجامع، رقم ٧٠٧٠، ٢/١١٨٩).

٢. معرفة أهمية الدعوة للمدعو:

إن تنمية الإحساس بالغير وحب الخير لهم ضروري لدى الداعية، ولا يكون ذلك إلا بوجود دافع داخلي من الداعية نفسه، ولا يتكون هذا الدافع إلا بوجود أسباب تحرك هذا الدافع؛ فالداعية يجب أن يكون صاحب إحساس يدفعه إلى دعوة الآخرين، وحب الخير لهم، والإسلام هو دين خير ومحبة للبشرية، ويربي المسلمين على ذلك، ومن هذا كان لهداية المدعو أهمية كبيرة للمدعو نفسه، ألا وهي إنقاذه من النار وحمايته من نفسه، والمدعو كالمريض الذي لا يعلم بمرضه، والداعي هو الطبيب الذي يعرف أهمية العلاج، فعلاج الضال الهداية، والهداية لا تكون إلا بالدعوة، وقد بيَّن الله تعالى أن الإسلام هو إنقاذ من النار، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1]. والدعوة من الأسباب التي تؤدي إلى هذا الإنقاذ، ولا تكون الدعوة إلا بدعاة منقذين، وكان أول الدعاة إلى الإسلام هو النبي ﷺ، ومن صدّقه نجا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، ففي الهداية نجاة وغفران من كل ما سبق من سوء العمل، وبهذا جعل الرسول ﷺ يعدُّ أصحابه لكي يدعوا الناس لينقذوهم من النار، ويعلم الصحابة أولاً: مدى أهمية دعوة المدعوين

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الزمر، الآيات: ٣٣-٣٥.

للإسلام، وأنهم كمن رأى غريقاً فإما أن ينقذه وهو يستطيع، أو يتركه يهلك، وثانياً: مدى أهمية إنقاذ الغريق، فكذلك المدعو وأهمية الدعوة له وإن لم يعِ ذلك في البداية.

٣. أهمية الدعوة في نشر الإسلام وعزته:

إن حمل همِّ الإسلام بشكل عام، وهمِّ نشره وإيصاله إلى أصقاع الأرض وقيام دولته لهو الهمُّ الأكبر والأسمى لمن ينتمي إلى هذا الدين؛ لأنه بذلك يخدم الأفراد والمجتمعات، ويقوي شوكة الإسلام، وذلك ما فعله رسول الله ﷺ بعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة، وإرسال الرسل إلى ملوك الأرض، والدعاة إلى أنحاء الجزيرة العربية، مما نشر الإسلام في جزيرة العرب في حياته ﷺ، ولولا أهمية ذلك لاقتصر ﷺ على نشر الإسلام في المدينة فقط وما حولها، وقد أخبر ﷺ أن هذا الدين سوف ينتشر، فقال ﷺ: «**ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عز يعز الله به الإسلام ويذل به الكفر**»[1].

لذلك يكون من إعداد الداعية إيمانه بانتشار هذا الدين، ودخوله جميع بيوت الأرض، وفي ذلك دافع للقيام بالدعوة، وهو ما حصل في زمن الصحابة ﷺ حيث إنهم انتشروا في المشرق والمغرب لنشر هذا الدين، ولو تأملنا التاريخ الإسلامي لوجدنا أن جميع جيوش المسلمين التي خرجت في عصر صدر الإسلام كانت

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٤٩٧، ٣٤٥/٥. حديث صحيح (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الأول، القسم الأول، رقم ٣، ص٣٢).

جميعها جيوش دعوة، فكانت تدعو للإسلام قبل الجزية والقتال. وقد أورد التاريخ كثيراً من الشواهد مثل: وصية جيش أبي بكر للمرتدين، ودعوة خالد بن الوليد لفارس، وسلمان الفارسي للفرس وغيرهم كثير.

ثالثاً: من يدعو الداعي؟

من إعداد الداعي للدعوة تعريفه بمن يدعو وخصائصه، وما يتميز به، وجميع الأخبار عنه؛ لأن في ذلك إعانة له على إيصال الدعوة إليه، والإجابة على (أين ومتى وكيف؟)؛ لأن التساؤلات الأخرى تعتمد على معرفة المدعو. وقد كان الرسول ﷺ في ذلك قدوة؛ ففي الحديبية عندما بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ الحليس بن علقمة وكان سيد الأحابيش[1]، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**إن هذا من قوم يتألهون[2]، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه**»، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي[3] في قلائده[4]، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله[5]، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى،

(١) الأحابيش: الذين حالفوا قريشاً وهم: بنو المصطلق سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناف، اجتمعوا بذنبة حُبْشِيّ وهو جبل بأسفل مكة فتحالفوا: إنا يدٌ على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار وما رئي حبشيٌّ مكانه، فسموا بالأحابيش باسم الجبل. (انظر: سبل الهدى والرشاد، الصالحي، ٤/٢٥٧).

(٢) يتألهون: أي يتعبدون ويعظمون أمر الإله.

(٣) عرض الوادي: جانبه.

(٤) القلائد: ما يعلق في أعناق الهدي ليعلم أنه هدي.

(٥) محله: الموضع الذي ينحر فيه في الحرم.

فذكر لهم ذلك[1]. وفي هذا بيان أن معرفة من هو الحليس من قِبل رسول الله ﷺ وأنه من قوم يعظمون العبادة كان له الأثر في التأثير عليه، وذلك كان على مرأى من الصحابة فكان درساً لهم وتعليماً لدعاتهم.

ومعرفة المدعو تفتح أبواب التعامل معه، وتوضح طرق إقناعه والتأثير عليه؛ لأن في ذلك سبراً لشخصيته، والداعية يجب عليه ذلك؛ حتى لا يخسر هذا المدعو، بل أيضاً لا يجعله عدواً للدعوة في أسوأ الاحتمالات.

إن المدعوين بشكل عام لا يتشابهون بل يختلفون في أمور كثيرة، فمثلاً هناك الاختلاف العقدي كالفرق بين المشركين وأهل الكتاب، وبين أهل الكتاب أنفسهم، والفرق بين الأعراق كالفرق بين العرب والفرس والروم والزنج وغيرهم، والفرق بين القبائل العربية من حيث العادات والتقاليد، بل حتى الفرق بين أفراد القبيلة الواحدة، ومن ذلك ما دللنا عليه سابقاً فيما حصل في الحديبية مع الحليس بن علقمة وتعظيمه للهدي، وأن غيره من قومه لا يعظمون الهدي.

فتجهيز الداعية قبل الدعوة بالمعرفة التامة الوافية بالمدعو فيه إعداد سليم لذلك الداعية وتحصين له، ومن ذلك حديث معاذ رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ فقال: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض...**»، فقد أخبره ﷺ بمن سيدعو حتى يعلم كيف يدعوهم ومتى يدعوهم. ففي هذا

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٢٦٦- ٢٦٧.

الحديث إشارة إلى أن التعرف على المدعو يحدد طريقة دعوته وأولوياتها، وكذلك عند إرساله ﷺ الصحابة للدعوة كان يرسلهم إلى قبائلهم؛ لأنهم أعلم بهم من غيرهم؛ فأرسل الطفيل بن عمرو الدوسي إلى دوس، وأبا أمامة الباهلي إلى قومه، وعمرو بن مرة الجهني إلى جهينة، وعروة بن مسعود الثقفي إلى ثقيف وغيرهم.

وبهذا كان الصحابة ﷺ يُعِدُّون أنفسهم أو يُعِدُّ بعضهم بعضاً بمعرفة المدعو اقتداءً برسول الله ﷺ، ويقدِّمون أعرفهم بالقوم لدعوتهم، كما حصل من تقديم سلمان الفارسي في دعوة أهل القصر الأبيض -وهم فرس- وأهل بهرسير، وكل ذلك لأنه أعلم بالفرس من غيره.

رابعاً: أين ومتى يدعو الداعي؟

من إعداد الداعية الجيد أن يميز المكان والزمان المناسبين للدعوة؛ لأن في ذلك مدعاة للقبول أفضل من أي حال أخرى، فمتى ما توافق الزمان والمكان سنحت الفرصة للدعوة، والفرص لا تكون دائماً كذلك، فالداعية يجب عليه أن يكون متيقظاً ومراقباً للفرص؛ حتى يغتنمها؛ لأن الفرص لا تدوم، وبفواتها يفوت خير كثير، وهو زيادة احتمالية قبول المدعو للدعوة.

ومن الأمثلة لاختيار المكان والزمان المناسبين هو اختيار موسى عليه السلام ليوم الزينة ليكون ميعاداً للقائه مع السحرة، قال تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾[1]، فكان اختياره لذلك الموعد حتى يتضح الحق لأكبر عدد من البشر، يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: «إنما سأل موسى

(١) سورة طه، الآية: ٥٩.

ذلك لأن يوم الزينة ووقت الضحى يحصل فيه من كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها ما لا يحصل في غيره»[1]، فذلك من وحي الله أولاً ثم من فطنة موسى عليه السلام وتحرِّيه للمكان والزمان المناسبين لإظهار الحق.

وقد كان نبينا ﷺ في دعوته يتحرَّى الأوقات والأماكن المناسبة، وذلك في المناسبات، كعرضه نفسه على القبائل في مواسم الحج والأسواق كعكاظ وذي المجاز وغيرها، وعندما بايع الرسول ﷺ من بايعه في العقبة الأولى وعلم أن الفرصة سانحة لدعوة أهل المدينة أرسل لهم مصعب بن عمير رضي الله عنه، ولم يتردد في ذلك، فالمكان والزمان مناسبان.

ومن تهيئة الداعية للقيام بأمور الدعوة أن يُعَدَّ لمعرفة متى وأين يدعو؛ لأنه بهذين السؤالين يتمكن من معرفة كيف يدعو، ولأن الصحابة هم أول الدعاة فإن إعدادهم كان قائماً على القرآن وسنة الرسول ﷺ يستمدون منها أمور إعداد الداعي.

وفي القرآن شواهد على تحرِّي الوقت والمكان، ومن ذلك: دعوة يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن، حيث كان أول ما تحدث به معهما قبل أن يجيب على أسئلتهما الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٥٩١.

(٢) سورة يوسف، الآيتان: ٣٩- ٤٠.

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآيات: «أراد بهذا الجواب أن يفترض إقبالهما عليه وملازمته والحديث معه؛ إذ هما يترقبان تعبير الرؤيا فيدمج في ذلك دعوتهما إلى الإيمان مع الوعد بأنه يعبر لهما رؤياهما غير بعيد، وجعل لذلك وقتاً معلوماً لهما»[1]، فالجمع بين المكان الذي هو السجن واجتماعهم فيه وقد لا يجتمعون في غيره، وبين الزمان الذي هو وقت سؤالهما عن تعبير الرؤيا، وقد لا يفتح الحديث مرة أخرى، أو قد يخرجون من السجن، كان فرصة زمانية ومكانية استثمرها يوسف عليه السلام ليدعو إلى الله، وهذا ما يجب أن يكون عليه الداعي إلى الله، وأن يهيئ نفسه لمثل تلك اللحظة.

خامساً: كيف يدعو الداعي؟

بعدما يكون الداعي قد أُعِدَّ إعداداً جيداً فيما سبق فإنه يكون مؤهلاً لأن يتعلم الكيفية التي سيدعو بها، وذلك بالاستفادة من الإجابات السابقة، وفيه إيضاح لمدى ارتباط الإجابات عن الأسئلة السابقة والإعداد على ضوئها بالسؤال الأخير، وهو كيف يدعو الداعي؟

وكيفية دعوة الداعي هي المعرفة من قبل الداعي باستخدام الوسائل والأساليب المناسبة للدعوة حسب معطيات الحالة والظروف المحيطة بالمدعو، ولأننا سوف نتطرق للأساليب والوسائل في الفصل الثالث فلن نتوسع في هذه الإجابة حتى لا يكون هناك تكرار إلا أن ما يهمنا هنا هو أنه يجب إعداد الداعي إعداداً

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد الخامس، الجزء الثاني عشر، ص٢٧٠.

جيداً في التعرف على الأسلوب والوسيلة المناسبة وكيفية اختيارها حتى تحقق الدعوة أهدافها.

وتختلف الأساليب والوسائل باختلاف الظروف والأحوال، فليس كل ما يصلح لحال يصلح للأخرى، فمن خلال التأمل في واقع الدعوة نجد أن هناك من دخل الإسلام بكلمة لينة بسيطة، وهناك من لم يدخل الإسلام إلا بعد الشدة والغلظة، أو بعد الحرب، فكل يصلح له أسلوب وطريقة للتعامل معه مختلفة عن الآخر.

فإجابة السؤال الأخير هذا: كيف يدعو الداعي؟ إنما تكون بـ:

إعداد الداعي وتأهيله بكيفية تبليغ ما يعلمه من دينه إلى المدعو في الوقت والمكان المناسبين بالأساليب والوسائل الملائمة لحالة المدعو، وهذا مضمون معرفة الداعي بكيفية الدعوة.

أبرز معالم إعداد الصحابي الداعي بناءً على الأسئلة والإجابات السابقة:

أ) إعداد الصحابي بتزويده بالعلم الذي يحتاجه في دعوته.

ب) إعداد الصحابي نفسياً بإقناعه بأهمية الدعوة ومكانتها في الدنيا والآخرة.

ج) إعداد الصحابي بمعرفته بالمدعوين وطريقة التعامل معهم وأصنافهم وأنواعهم.

د) إعداد الصحابي لمعرفة الزمان المناسب للدعوة.

هـ) إعداد الصحابي لمعرفة المكان المناسب لممارسة الدعوة.

و) إعداد الصحابي لحسن استخدام الأساليب والوسائل المناسبة مع المدعو.

ز) إعداد الصحابي كان من قِبل خير البشر ﷺ سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

المطلب الثالث: واجبات الداعي

تقع على عاتق الداعي واجبات كثيرة تجاه الدعوة، إلا أن هذه الواجبات فيها ما هو واجب عامٌّ على كل مسلم داعية كان أو غيره، كالإخلاص والصدق والتزام المنهج السليم وغيرها من الأمور الضرورية لكل مسلم، ومنها ما هو واجب على الداعية بذاته بأن يقوم به ويلتزم بتطبيقه. وهنا سوف نطرح الواجبات الخاصة بالداعية والتي يجب عليه القيام بها ومدى تطبيق الصحابة ﷺ لها في دعوتهم وكيف حرصوا على ذلك. ومن هذه الواجبات ما يأتي:

أولاً: اكتساب العلم والثقافة في الدين:

حرص الدعاة من صحابة رسول الله ﷺ على اكتساب العلم وتعلمه والتثقف فيه، وذلك من خلال حفظهم للقرآن على يد رسول الله ﷺ وتدارسهم له بينهم، وأيضاً حرصهم على مجالسة الرسول ﷺ والتلقي عنه والتأسي به واتباعه، وتعلم أحكام الإسلام وآدابه والاقتباس من هديه ﷺ والرجوع إليه فيما أشكل عليهم، وقد حرصوا على العلم لعلمهم بفضله وفضل أهله، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]،

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وعلمهم أيضاً بأمر الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ بالعلم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2].

فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه تعلم القرآن وأصبح معلماً له حتى سمي بمقرئ المدينة عندما أرسله الرسول ﷺ إليها، فكان له القبول عندهم، فأذعنوا له واقتنعوا بما جاء به فأسلموا، فكان تكليفه بالدعوة بناءً على علمه بالقرآن. وكم من الصحابة اكتسب العلم من رسول الله ﷺ وبلَّغ ما علمه إلى قومه، كضمام بن ثعلبة وعروة بن مسعود والحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنهم.

ثانياً: الذهاب إلى المدعوين وقصدهم بالدعوة:

إن من واجبات الداعي أن يذهب إلى المدعو في مكانه ولا ينتظره حتى يأتيه، ففي ذلك إزالة لكثير من الحواجز بين الداعي والمدعو؛ حيث إن المتعارف عليه أن من لديه دعوة أياً كانت يذهب إلى من يرغب في إيصالها إليه، وقد ذهب الرسول ﷺ إلى المشركين في مجالسهم ونواديهم ومنازلهم، بل إنه خرج من مكة إلى الطائف ليدعوهم، كما ذهب إلى القبائل في الحج والمواسم وعرض عليهم دعوته.

وقد ذهب الصحابة إلى المدعوين في أماكنهم في حوادث عدة، سواء في حياة الرسول ﷺ أو بعد وفاته، كذهاب علي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم إلى اليمن، وذهاب مصعب إلى المدينة، والعلاء

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٢) سورة طه، الآية: ١١٤.

بن الحضرمي إلى البحرين ﷺ أجمعين. وبعد وفاة الرسول ﷺ تحرك الرسل إلى المدعوين، كرسل أبي بكر إلى المرتدين، ورسل قادة الفتح الإسلامي إلى الفرس وغيرهم من الأمم، فكان الذهاب إلى المدعو وقصده بالدعوة من واجبات الداعي، كما أنه من حقوق المدعو كما سيأتي معنا لاحقاً.

ثالثاً: الالتزام بالمنهج الصحيح:

إن المنهج الصحيح السليم الخالي من الشوائب لهو الحصانة المنيعة للداعي من أي انحراف أو ضياع له وللمدعو على حد سواء، وقد بين الله ﷻ المنهج في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1]، كما بين ﷺ المنهج أيضاً في قوله: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**»[2]. فمن سلامة المنهج إعادة الأمور إلى أصولها والاتباع وعدم الابتداع، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**». فلم يخرج الصحابة ﷺ عن هذا المنهج، فكانوا على منهج النبوة، وقد أخبر الرسول ﷺ عن ذلك في حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء**

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم ٤٦٠٧، ص٦٥١. حديث حسن صحيح (الألباني، المشكاة، رقم ١٦٥، ١/٥٨).

الله أن تكون...»[1]، وفي ذلك بيان أن عهد خلفاء رسول الله ﷺ على المنهج الصحيح وهو من عهد الصحابة رضي الله عنهم.

رابعاً: احترام المدعوين وبيان أهميتهم:

حتى يتم قبول الدعوة يجب احترام المدعو وبيان أهمية دعوته بالنسبة للداعي، ففي ذلك كسر لحاجز الممانعة الذي ينشأ عن المخالفة في الدين بين الأفراد، كما أن القدوة في ذلك هو رسول الله ﷺ؛ فكان يخاطب المشركين بألقابهم ويكتب للملوك باحترام مكانتهم في قومهم كقوله ﷺ لهرقل: «**عظيم الروم**»[2] عندما أرسل إليه يدعوه.

ومن الاحترام وبيان أهمية المدعو عدم استصغار أي شخص مهما كان حاله، فمن حقه أن يُدعَى، فكان النبي ﷺ يدعو الصغير والكبير، والفقير والغني، والقوي والضعيف، والرجل والمرأة، فلم يهمل في الدعوة أحداً بسبب جنسه أو لونه أو مكانته أو حالته، فقد أورد ابن عساكر في "تاريخ دمشق" قصة إسلام بلال بن رباح رضي الله عنه وذلك عندما كان رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه معتزلين في غار خارج مكة مر بهما بلال بن رباح وهو يرعى غنماً لسيده، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام وأسلم وكتم إسلامه[3]، فلم يقلل رسول الله ﷺ من شأن ذلك المملوك الراعي، بل اهتم به وبلغه دعوته.

---

(١) المسند، أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ، رقم ١٨٥٩٦، ٢٨٥/٦. حديث حسن (الألباني، المشكاة، رقم ٥٣٧٨، ١٤٧٨/٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، رقم ٤٥٥٣، ص٧٧٥.

(٣) انظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٤٣٦/١٠.

وكذلك كان صحابة رسول الله ﷺ، فهذا أبو بكر الصديق ﷺ كان رجال قومه يأتونه ويألفونه لحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، وقد أسلم على يده كثير من الصحابة، فكان منهم من كبار قومهم مثل عثمان بن عفان ﷺ، ومنهم موالي مثل عامر بن فهيرة ﷺ[1].

خامساً: الحكمة والموعظة الحسنة:

لقد أمر الله ﷻ بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2]، ففي هذا الأمر وجوب على الداعي أن يستخدم الحكمة والموعظة الحسنة مع المدعوين، وأن تكون من أساس دعوته، فقد أعطى الله ﷻ نبيه الحكمة، وذلك أن رسول الله ﷺ قال: «**فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه...**»[3].

ولو لم يكن للحكمة فضل كبير في الدعوة لما أمر الله بها ﷻ، وقد دخل الإسلام في عهد رسول الله ﷺ أعداد لا تحصى من المسلمين بسبب دعوته ﷺ بالحكمة والموعظة الحسنة، كما كان لها دور في دعوة الصحابة ﷺ حيث ساروا على هدي النبي ﷺ.

يقول الدكتور سعيد بن وهف القحطاني: «إن الحكمة لا تقتصر على الكلام والرفق والعفو والحلم فحسب، إنما تكون مع بيان الحق علماً وعملاً واعتقاداً

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٢٣٩- ٢٤٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب ما جاء في زمزم، رقم ١٦٣٦، ص٢٦٤.

بالأدلة وبالترغيب والترهيب وأيضاً بحسن الخلق واللطف والأدلة العقلية والنقلية ورد الباطل، كما أنها قد تكون بالقوة»[1].

ومن شواهد الحكمة والموعظة الحسنة عند الصحابة دعوة مصعب بن عمير لسعد بن معاذ رضي الله عنهما، ودعوة العلاء بن الحضرمي للمنذر بن ساوى رضي الله عنهما، والأمثلة على ذلك كثيرة.

سادساً: مخالطة الناس:

من الواجب على الدعاة مخالطة الناس لدعوتهم إلى الإسلام، والمخالطة المقصودة هي عدم الاعتزال وتجنب الناس؛ لأن في المخالطة تقديم ما لدى الداعي من علم إلى الناس الذين هم في حاجته، وقد كان رسول الله ﷺ يخالط الناس ويعيش معهم، بل كان يغشى مجالسهم وأنديتهم، وقد قال ﷺ: «**إن المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»[2].

وبهذا كان الأصل مخالطة الناس وعدم اعتزالهم، وذلك بالالتزام بشروط المخالطة وألَّا يكون فيها فتنة أو معصية لله، وقد جعل الإمام النووي في رياض الصالحين باباً قال فيه: «فضل الاختلاط بالناس، وحضور جمعهم وجماعاتهم،

(١) مقومات الداعية الناجح، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص٣٤- ٣٥ (بتصرف).
(٢) جامع الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب فضل المخالطة مع الصبر على أذى الناس، رقم ٢٥٠٧، ص٥٧٠. حديث صحيح (الألباني، صحيح الجامع، رقم ٦٦٥١، ٢/١١٢٩).

ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم، وحضور جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء، وصبر على الأذى، وقال: اعلم أن الاختلاط على الوجه الذي ذكرته هو المختار الذي كان عليه رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وكذلك الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من الصحابة والتابعين»[1]، وقد أنزل الله ﷻ آية تبين آداب المخالطة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[2].

وكان صحابة رسول الله يخالطون المشركين أسوة برسول الله ﷺ، فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يألفه قومه ويأتونه لغير واحد من الأمر، فقد كان تاجراً نسَّاباً حسن المجالسة[3]، ودعا كثيراً ممن يأتيه إذا وثق به وأمنه، فكانت المخالطة من منهجهم رضي الله عنهم.

(١) رياض الصالحين، النووي، ص١٦٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

(٣) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٢٣٩.

المَبْحَثُ الثَّاني

منهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالمدعو

المطلب الأول: المدعو من المشركين وأهميته لدى الصحابة ﷺ

المدعو هو أحد الأركان الأساسية الذي تدور حوله العملية الدعوية، بل هو الهدف من هذه العملية، وهو من تنتهي إليه الجهود الدعوية، وهو المعيار الذي تظهر عليه النتائج من هذه العملية والتي يتبين لنا منها مدى نجاح هذه الجهود من عدمه والمستوى الذي وصلت إليه هذه الدعوة.

ويعرف المدعو بأنه: «المتلقي للدعوة والمستهدف بها فرداً كان أو جماعة، ذكراً أو أنثى، صغيراً كان أو كبيراً»(١).

ويذكر الدكتور المغذوي تعريفاً مختصراً شاملاً لكل من يطلق عليه اسم "مدعو" فيقول: «هو كل مخاطب بالدعوة من الخلق، وهذا التعريف جامع لكل أوصاف المدعو ومن هو داخل في الخطاب الديني ويشمله نطاق الدعوة في الخلق، سواء أكان من الإنس أم من الجن، وسواء أكان من أمة الدعوة أم

(١) المصطلحات الدعوية، عبدالله المجلي، ص١٠.

من أمة الإجابة»[1]. وذكر الجن هنا لا يعني تكليف البشر بدعوتهم؛ لأن ذلك فوق طاقتهم، كما أنه أمر خاص بالرسول ﷺ ولا اقتداء لنا به في هذا[2]؛ فقد ذُكر أن الرسول ﷺ دعا الجن فأجابوا، يقول مقاتل في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾[3]: «إن تسعة نفر من الجن من أهل نصيبين استمعوا إلى رسول الله يقرأ القرآن ببطن نخلة فأسلموا ودعوا قومهم حتى إنهم أتوا إلى النبي من العام القادم في البطحاء وقد أصبحوا سبعين رجلاً من الجن مسلمين، وعلّمهم القرآن وأدّبهم وقضى بينهم»[4]، «وذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا سبعة وجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم»[5]، وبهذا تكون دعوة الجن أمراً خاصاً برسول الله ﷺ ولا يمكن تكليف غيره من البشر بها، ومن هذا فإن المدعو الذي يعني الصحابة هم البشر، وما يعنينا في بحثنا هنا من المدعوين هم المشركون من غير أهل الكتاب، ودعوة الصحابة ﷺ لهم.

وقد جعل الله ﷻ للمدعو أهمية كبيرة عند جميع الرسل عليهم السلام، فكان إرسالهم لهداية هذا المدعو، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[6]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص٥٥٦.
(٢) انظر: فقه الدعوة، بسام العموش، ص٥٧.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.
(٤) تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، ٣/٢٢٨ (بتصرف).
(٥) جامع البيان، الطبري، ١٠/١٧٠.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾[1]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾[2]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾[3]، ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[4]، فنجد أن الله تعالى بيَّن لأنبيائه أن مهمتهم هي هداية المدعوين ثم بعد ذلك يأتي الإسلام، فينسخ ما قبله ويكون نبيه ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، والمرسل إلى جميع المدعوين بعد ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]، فالمدعوون في رسالته ﷺ هم كلُّ العالمين، يقول ابن قتيبة: «العالمون هم أصناف الخلق الروحانيين وهم الإنس والجن والملائكة كل صنف منهم عالم»[6]. ويبيِّن الله تعالى المدعوين لرسوله ﷺ في قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[7]، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[8]، يقول ابن جرير: «إن الله ﷻ يقول لنبيه: قل يا محمد للناس كلهم: فإن رسالتي ليست لبعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم»[9].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.
(٤) سورة طه، الآية: ٢٤.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٦) غريب القرآن، ابن قتيبة الدينوري، ص٣٨.
(٧) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٩) جامع البيان، الطبري، ٥/٥٢١.

يقول الرسول ﷺ في حديث جابر بن عبدالله: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»[1]، يقول شيخ الإسلام في ذكر كلمتي "الناس والعالمين" في القرآن والسنة: «فاسم "الناس" و"العالمين" يدخل فيه العرب وغير العرب من الفرس والروم والهند والبربر»[2]، ويقول الشيخ البسام: «قد جعل الله تعالى في هذا النبي وفي رسالته السامية الصلاحية والشمول لأن تكون الدستور الخالد والقانون الباقي لجميع البشر على اختلاف أجناسهم وتباين أصنافهم»[3]. والشاهد مما سبق من الآيات والأحاديث والأقوال هو المدعو ومن هو؟ وما أهميته في الإسلام والدعوة؟ وما ترتب على ذلك من أهمية لدى الصحابة رضي الله عنهم وحرصهم على تبليغ الرسالة إليه؟ بالإضافة إلى الفضل والأمر العظيم الذي سيحصل عليه الصحابة بدخول هذا المدعو إلى الإسلام، ففي وصية الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة خيبر قال: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم**». ولو لم يأت من الفضل للصحابة رضي الله عنهم إلا ذلك لكفى، وجعل لأهمية المدعو عندهم مكاناً عليّاً، وذلك ما جعل المدعو لديهم سلعة يتاجرون بها مع الله ويرجون الربح من ورائها والأجر من عند الله، والاستثمار الباقي، وذلك ما جعلهم يسخّرون الصعب ويخاطرون بأرواحهم وأموالهم وأهليهم من أجل هذا المدعو،

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب قول الرسول ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، رقم ٤٣٨، ص٧٦.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٠٧/٣٤.

(٣) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ص٧٦.

فهذا مصعب رضي الله عنه ترك دنياه ووالدته من أجل الإسلام والدعوة، وهذا عروة بن مسعود رضي الله عنه يفقد حياته من أجل هداية قومه ودعوتهم، وهذا الحارث بن مسلم التميمي رضي الله عنه يفرط في الغنيمة ليكسب إسلام القوم، وهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقرأ القرآن عند المقام تحت الكعبة فيُضرب ويُؤذى كل ذلك لعله يكون سبباً في هدايتهم[1]، وغيرهم كثير. والهدف من ذلك كله ما يعلمونه من أهمية هذا المدعو وأهمية دخوله للإسلام، وذلك في الدنيا بنصرة الدين وقوة المسلمين وإضعاف المشركين، وفي الآخرة بالفوز بالربح العظيم والنجاة من النار، فقد ينجو وينجيه بأمر الله، ويكتب له الأجر بعمل هذا المدعو إذا أسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**»[2]، يقول الشيخ ابن عثيمين: «في هذا دليل على أن المتسبب كالمباشر، فهذا الذي دعا إلى الهدى تسبب فكان له مثل أجر من فعله»[3]، فمن هنا نجد مدى أهمية هذا المدعو لدى الصحابة رضي الله عنهم فهو كمن أوقف وقفاً إلى يوم القيامة.

(١) انظر: السيرة النبوية، محمد بن إسحاق، ١/٢٢٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم ٦٨٠٤، ص١١٦٥.
(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، ٢/٣٦١.

المطلب الثاني: حقوق المدعو من المشركين

إن المدعو هو أحد المستفيدين الرئيسين من الدعوة، وهو ممن يجنون ثمارها في الدنيا والآخرة، مع هذا فإن له حقوقاً على الداعية توجب على الداعية الانتباه لها ومراعاتها تجاه مستحقها وهو المدعو، وقد حرص الصحابة ﷺ على هذه الحقوق سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، فمنها ما كان مقصوداً بذاته، ومنها ما كان عفوياً دون قصد، إلا أن الموقف أو المكان أو الزمان أوجب ذلك، ومن هنا رأينا حصر هذه الحقوق في عدة نقاط للحديث عن كيفية تعامل الصحابة ﷺ مع هذه الحقوق وكيف أدوا حقها تجاه من يدعون.

أولاً: حق تبليغه الدعوة:

إن الدعوة بذاتها هي حق للمدعو، بل حق لكل شخص، وذلك أن ديننا الحنيف حثنا على ذلك، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»(٣)، قال الرازي: «إن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾»(٤).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٤٦١، ص٥٨٢.

(٤) التفسير الكبير، الرازي، المجلد الرابع، الجزء الثامن، ص١٤٥.

فوجوب الدعوة على الداعية يجعلها من حق المدعو سواء قبلها أم رفضها، فهذا أبو عامر رضي الله عنه يوم أوطاس لقي عشرة إخوة من المشركين فحملوا عليه واحداً تلو الآخر، وحمل عليهم فكان يدعو من يقاتله منهم ويؤدي حقه له قبل أن يقاتله، فكان كلما دعا أحدهم إلى الإسلام ولم يستجب يقول: اللهم اشهد عليه، حتى قتل تسعة منهم، أما العاشر فعندما قال أبو عامر: اللهم اشهد عليه، قال الرجل: اللهم لا تشهد عليَّ، فكف عنه أبو عامر، فأفلت وأسلم وحسن إسلامه، وقد أدَّى أبو عامر رضي الله عنه حق المدعوين حتى أنجى الله بسببه أحدهم.

وكذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الخندق عندما أدَّى حق عمرو بن عبد وِدٍّ وذلك في دعوته إلى الإسلام قبل قتاله. فهذا هو منهج الرسول ﷺ الذي هو عليه، وأوصى به صحابته ودعاته، فقد أوصى معاذاً رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن بأن يدعوهم، وأوصى علياً رضي الله عنه يوم خيبر أن يدعوهم وغيرهم، وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأمر قادة الجيوش إلى الشام في وصيته المشهورة أن يؤدوا حق المدعوين بقوله: «فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوهم إلى ثلاث خصال»[1]، فلم يفرط الصحابة في هذا الحق لمن يدعونهم إلى الإسلام.

ثانياً: إتيان المدعو في مكانه:

كما ذكرنا سابقاً أن من واجبات الداعي الذهاب إلى المدعوين وقصدهم بالدعوة، فللمدعو حق أن يؤتى في مكانه، أي أن يذهب الداعية إليه ولا ينتظر

(١) السنن الكبرى، البيهقي، كتاب السير، باب فضل الجهاد في سبيل الله، رقم ١٨٥٠، ٩/٢٧٠.

مجيئه، بل عليه البلاغ وإيصال الدعوة له؛ لأن الداعية يدرك هذا الحق أكثر من المدعو، وقد كان رسول الله ﷺ يذهب إلى الناس في أماكنهم ويعرض نفسه على القبائل، فلم ينتظرهم في مكان، وهذا ما قام به صحابة رسول الله ﷺ، فها هو مصعب بن عمير رضي الله عنه يذهب إلى أهل يثرب ليدعوهم ويعلمهم الإسلام، وهذا عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه يذهب إلى جهينة فيدعوهم وهم في مكانهم، وها هو خالد بن الوليد رضي الله عنه يرسل رسله إلى أهل فارس ليدعوهم في دارهم ولم ينتظر منهم أن يأتوه هم. ولا يقف إتيان المدعو في مكانه بأن يأتيه بنفسه، فإن إرسال الرسائل تقوم مقام الشخص، فهذا بجير بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه يرسل كتاباً إلى أخيه كعب بعد أن أهدر الرسول ﷺ دمه فيقول فيه: «اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل» فأسلم كعب رضي الله عنه أجمعين.

وهذه طبيعة الدعوة أنها تبليغ رسالة من الـمُرسِل إلى الـمُرسَل إليه، «ولا يتم تبليغ الرسالة إلا بحركة المبلغ وانتقاله إلى المرسل إليه»[1]، وفي ذلك إقامة للحجة بين الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2]، كما أنه سبحانه لم يأمر رسله عليهم السلام أن يبقوا في مكان واحد ينتظرون من يأتيهم بل أمرهم بالتنقل والذهاب إلى المدعوين، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾[3]، فأمره بالذهاب وهو الانتقال من مكان إلى آخر، وقال تعالى

(١) الدعوة والإصلاح، محمد بشير حداد، ص٢٠٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٣) سورة طه، الآية: ٢٤.

لرسوله الكريم ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ﴾(١)، «لذلك يمكن القول: إن الداعية مطلوب منه الذهاب إلى المدعوين والانتصاب لدعوتهم وذلك قدر الاستطاعة وجهده»(٢).

وقد حرص الصحابة ﷺ على إتيان المدعوين في أماكنهم لعدة أمور منها:

١- اقتداء بالنبي ﷺ في ذهابه إلى المدعوين وغشيان مجالسهم وأنديتهم وأسواقهم.

٢- حرصهم على هداية أهليهم وأقوامهم وإنقاذهم من الهلاك في الآخرة.

٣- أن أغلب الصحابة ﷺ كانوا مشركين؛ لذلك هم يعلمون أن المشركين لن يأتوا إلى الدعاة ليسألوهم عن الإسلام فكان منهم الحرص على أن يذهبوا هم إلى المشركين.

ثالثاً: عدم احتقار المدعو أو الاستهانة به:

إن احتقار الأشخاص واستصغارهم ليس من الإسلام؛ لذلك «لا يجوز للداعي أن يستصغر شأن أي إنسان أو يستهين به فلا يدعوه؛ لأن من حق كل إنسان أن يُدعَى ويُهتمَّ بأمره، وقد يصبح هذا الذي لا يقيم له الداعي وزناً هو عند الله له وزن كبير بإيمانه وعلمه وعمله، وكذا خدمته للإسلام والدعوة إليه»(٣).

(١) سورة المدثر، الآيتان: ١- ٢.

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ٢/٥٦٦.

(٣) المرجع السابق، ٢/٥٦٩.

وقد كان رسول الله ﷺ يدعو كل من يراه دون استصغار لأحد أو استهانة بوضعه، فقد دعا علي بن أبي طالب ﷺ وهو صبي ابن تسع سنين، وقيل: دون التسع سنين، وقيل: إحدى عشرة سنة[1]، فلم يستهِن الرسول ﷺ بصغره، فكان علي ﷺ من الرسول ﷺ كمنزلة هارون من موسى[2]، وحمل لواء الرسول في أكثر المشاهد وفتح الله على يديه حصن خيبر، وكان خليفة المؤمنين[3]. وهذا عمار بن ياسر كان فقيراً ومن المستضعفين في مكة حيث إنه لا عشيرة له ولا منعة ولا قوة[4]، فأصبح من المبشرين بالجنة، وغيرهم كثير. كما أن الرسول ﷺ كان يعرض نفسه على قبائل العرب وزعمائها ولم يستجب له أحد منهم حتى لقي عند العقبة من منى في الموسم -موسم الحج- ستة نفر كلهم من الخزرج وهم يحلقون رؤوسهم فجلس إليهم فدعاهم واستجابوا لله ولرسوله وآمنوا وصدقوا[5]، فجعل الله من هؤلاء الستة على قلة عددهم نواة إسلام الأنصار، وإنشاء عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة، فلم يقلل الرسول ﷺ من شأن هؤلاء النفر ومن قلة عددهم مقارنة بالقبائل التي كانت في ذلك الموسم.

وكذلك تلطفه ﷺ مع عداس وهو غلام نصراني لعتبة وشيبة أبناء ربيعة وذلك بعد أن دعا سادة ثقيف وأشرافهم وطردهم له وإغراء سفهائهم وعبيدهم بسببه

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٣/٢١- ٢٢.

(٢) انظر: البخاري، كتاب الفضائل، باب مناقب علي ﷺ، رقم ٣٧٠٦، ص٦٢٥.

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٢/١٢٩٤ - ١٢٩٧.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٣/٢٤٧- ٢٤٨.

(٥) انظر: إمتاع الأسماع، المقريزي، ١/٥٠.

ورجمه وطرده، يقول البيهقي: «وكان ﷺ لا يحقر أحداً أن يبلغه رسالة ربه»(١).

وقد وصف الله سبحانه الأقوام الكافرة أنهم هم من يحتقرون غيرهم، فقال تعالى في قوم نوح عليه السلام: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾(٢)، وقالوا أيضاً: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾(٣)، فالاحتقار من صفات الكفار، وقد وضع الله تبارك وتعالى على لسان رسوله ﷺ قاعدة للميزان الذي يجب على المسلم اتباعه في تعامله مع الناس، يقول الرسول ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٤)، وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «**كم من أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره**»(٥).

فالحديثان السابقان يضعان القاعدة التي يجب على المسلم بشكل عام والداعية بشكل خاص أن يتبعها ويجعلها نصب عينيه، وقد حرص صحابة رسول الله ﷺ على هذا؛ فنجد أبا بكر الصديق رضي الله عنه يشتري بلال بن رباح رضي الله عنه وهو عبد مملوك لا يملك حتى نفسه، ويقدمه لأجل الإسلام، فأصبح مؤذن الرسول ﷺ، وهو الذي قال له الرسول ﷺ: «... **فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يديَّ**

(١) دلائل النبوة، البيهقي، ٣٠٧/٢.
(٢) سورة هود، الآية: ٢٧.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ١١١.
(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم ٦٥٤٣، ص١١٢٤.
(٥) جامع الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك رضي الله عنه، رقم ٣٨٥٤، ص٨٧١. حديث صحيح (الألباني، صحيح الجامع، رقم ٤٥٧٣، ٨٣٩/٢).

في الجنة»[1]. وفي قصة مصعب بن عمير مع سعد بن معاذ رضي الله عنهما عندما أرسل سعد بن معاذ أسيد بن الحضير إلى مصعب وقال له معاذ: انطلق إلى هذين الرجلين الذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءَنا[2]، دليل على أن من كان حول مصعب هم من الضعفاء. وها هو أيضاً مصعب بن عمير رضي الله عنه يدعو أمه إلى الإسلام وهي من كان يسجنه حتى يرجع عن دينه ويحاربه ولكنه لا يستهين بأمر الدعوة فيقول لها: يا أمَّه، إني لك ناصح عليك شفيق فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فترد عليه وتقول له بعنادها وإصرارها على الكفر: والثواقب لا أدخل في دينك فيُزرَى برأيي ويُضعَف عقلي، ومع إصرارها ومعرفته بذلك إلا أنه لم يهن عليه بقاؤها على الكفر ولم ييأس من دعوتها، ولم يقل إنها امرأة كبيرة في السن لا فائدة ترجى منها، ومن إسلامها.

رابعاً: من حق المدعو أن يدعى في كل الأحوال:

من حقوق المدعو على الداعي أن يُدعى في كل حال من الأحوال، الزمان والمكان، السر والعلن، الأمن والخوف، الصحة والمرض، الإقامة والسفر، ولا ينتظر زوال ذلك الحال؛ لأن الداعية لا يعلم متى سيلتقي بهذا المدعو مرة أخرى، كما أنه لا يعلم هل سيعيش هذا المدعو إلى وقت آخر ومتى أجله وما هو قدره، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[3]،

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل بلال رضي الله عنه، رقم ٦٣٢٤، ص١٠٨١.

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٣٩٧/١.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، فمن هنا وجب حق المدعو في أن لا يترك لكي لا تكون حسرة عليه وحسرة على الداعية نفسه. وقد دعا الرسول ﷺ في جميع الأحوال، فكان يدعو أول الأمر في السر، ثم في العلن، وكان يدعو في بيته وفي عشيرته وفي مكة وفي الطائف والمدينة وعلى كل حال كان عليه المدعو. فها هو ﷺ يدعو ابن اليهودي وهو على فراش المرض، وكذلك كان الأنبياء عليهم السلام من قبله، فقد قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[2]، ثم قال: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[3]، فدعوة نوح عليه السلام لقومه في جميع الأحوال.

كما أننا نجد أن الصحابة رضي الله عنهم قد دعوا إلى الإسلام وهم في حالة الضعف وفي حالة القوة وفي الليل والنهار.

فهذه فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد وخباب بن الأرت رضي الله عنهم يدعون عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في حالة غضب وهيجان. وهذا العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه يدعو أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه وذلك في فتح مكة، وأبو سفيان خائف في الليل ينظر إلى جيش الرسول ﷺ وقد راعه كثرتهم وعدتهم، فلم يمنع الموقف العباس من دعوة أبي سفيان رضي الله عنه وهو في هذه الحالة من الفزع والرعب. وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يدعو عمرو بن عبد وِدٍّ وهما حال مبارزة. وأيضاً

(١) سورة نوح، الآية: ٤.
(٢) سورة نوح، الآية: ٥.
(٣) سورة نوح، الآيتان: ٨- ٩.

أبو عامر الأشعري ﷺ ودعوته للإخوة الذين برزوا له في القتال، فلم يكن حال القتال وزمانه عائقاً أو مانعاً من إيصال هذه الدعوة؛ لأنهم يعلمون أنه من حق البشرية أن يُدعوا إلى الحق. وكذلك أيضاً قصة عمير بن وهب الجمحي ﷺ مع صفوان بن أمية وذلك عندما أسلم وعاد إلى مكة يدعو المشركين وكانوا لا يزالون يلملمون جراحاتهم بعد غزوة بدر، فلم ينتظر بل دعاهم وهم على هذه الحالة، وأخذ يظهر دعوته ويسعى في إسلام قريش حتى أسلم على يديه ناس كثير[1]، فكان هو السبب -بعد توفيق الله- في إسلامهم وإنقاذهم من الشرك. ولأن الزمن لا ينتظر فإن الانتظار في دعوة الناس فيه تفريط في حقهم، وتضييع لفرص قد لا تتوافر لاحقاً، فكم من شخص تُرك بسبب حاله في ذلك الوقت وأُجلت دعوته إلا أنه لم يعش ليُدعَى، ومن ذلك قصة الأعشى بن قيس عندما خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام وقد مدح النبي ﷺ بقصيدة قال فيها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا … وبت كما بات السليم مسهدا

وما ذاك من عشق النساء وإنما … تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

ومنها:

ألا أيّهذا السائلي: أين يممت … فإن لها في أهل يثرب موعدا

فاعترضه بعض المشركين من قريش وعلموا أنه يريد الإسلام فقالوا له: إنه يحرم الزنى، فقال: ذلك الأمر ما لي فيه أرب، فقالوا له: إنه يحرم الخمر، فقال: أما هذه فإن في النفس فيها لعلات، ولكني منصرف عامي هذا فأتروى منها وآتيه العام القادم، ثم

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٤٨٢-٥٨٤.

انصرف ومات من عامه ولم يعد للنبي ﷺ(1)، فانظر كيف أن الأجل لم يمهله حتى ولو طال أمله في البقاء، وبهذا يتبين أهمية الحرص على أداء الدعوة في الحال.

خامساً: الحرص والاهتمام بهداية المدعو:

إذا كان الاهتمام بالمدعو من واجبات الداعي فإن الحرص على هدايته من حقوقه؛ لأن من حق المريض على الطبيب الحرص على علاجه ومتابعته حتى شفائه، وإن كنا قلنا في السابق إن المدعو كالمريض فإن الداعية كالطبيب، فيجب أن يحرص عليه ويهتم به لإزالة المرض بجميع أعراضه والتي قد تسبب انتكاسة للمريض، وكذلك المدعو فإن الحرص على هدايته من الإخلاص في الدعوة، فقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على هداية المدعوين وإنقاذهم، قال تعالى في الرسول ﷺ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾(2)، و"باخع" «أي مهلك نفسك بحزنك عليهم»(3)، وذلك من حرص الرسول ﷺ على هداية الناس.

وكان الصحابة رضي الله عنهم حريصين أيضاً على هداية من يدعونهم مما كان له الأثر في قبول الدعوة واستجابة المدعو، فكلما كان الداعية حريصاً على المدعو ومهتماً به أشعر المدعو بروح المحبة وأزال كثيراً من العقبات النفسية لدى المدعو والتي قد تكون عائقاً أمام قبول الدعوة. فحرص واهتمام أصحاب

(1) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢/١٣٦-١٣٧.
(2) سورة الكهف، الآية: ٦.
(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٩/١٠٤.

العقبة الثانية على إسلام عبدالله بن حرام ﷺ أدّى إلى نتيجة إيجابية، قال كعب بن مالك ﷺ: خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق قال: فلما فرغنا من الحج كانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ فيها ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا إنا لنرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً. فاهتمامهم وحرصهم على هداية عبدالله بن حرام ﷺ وإيضاح ذلك له باختياره بالدعوة من دون قومه وبيان اهتمامهم به بإيضاح أهميته لديهم بأنه من ساداتهم وأشرافهم وكذلك بيان رحمتهم له من عذاب النار كل ذلك كان له الأثر في استجابة عبدالله بن حرام ﷺ.

ومن الاهتمام تحمل الإساءة والعفو من أجل إيصال الدعوة بشكل صحيح، وهو ما حصل مع عمر بن الخطاب من أخته وزوجها سعيد بن زيد ﷺ أجمعين، عندما نسوا ما فعله عمر بهم من أجل الدعوة، فكان ذلك إشارة إلى اهتمام وحرص الداعية على المدعو مما جعل عمر ﷺ يراجع نفسه ويتقبل الدعوة، «فينبغي على الداعية إلى الله أن يقابل شدة المدعو بالحلم ويقابل طيشه وإساءته بالأناة وعدم الرد بالمثل، فهذا من أعظم حقوق المدعو»[1].

(١) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، حمود الرحيلي، ص٥٤.

وكما أن الاهتمام والحرص قد يؤدي إلى نتائج إيجابية في الدعوة فإن عكسه يؤدي إلى نتائج عكسية تؤدي إلى إعراض المدعو وعدم قبوله للدعوة. إذن فمن حق هذا المدعو أن يكون محل اهتمام الداعية ومكان حرصه من أجل إيضاح الدين له كما يجب، ولو تأملنا سيرة الصحابة رضي الله عنهم لوجدناهم حريصين كل الحرص على هداية الخلق وإيصال الدعوة إليهم.

سادساً: استخدام الأساليب والوسائل المناسبة:

لعل من حقوق المدعو قيام الدعاة «باختيار أنسب الوسائل وأفضل الأساليب الملائمة لإيصال دعوتهم للناس حسب نوعية كل مدعو وحسبه ومقدار علمه وثقافته ومكانته»[1]، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[2]، وفي وصية الرسول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه تعليم باستخدام الأسلوب المناسب مع من يدعوهم، وكان الصحابة يحرصون على استخدام الأساليب والوسائل المناسبة التي تؤدي إلى استجابة المدعو وتقبله الدعوة، وكل حسب طريقته، فمنهم من كان إسلامه بالإقناع العقلي، ومنهم من كان بالإقناع الحسي، ومنهم من كان بالإقناع العاطفي، وغيرها من الوسائل والأساليب، ولأننا سوف نتحدث عن الوسائل والأساليب في الفصل الثالث فإننا هنا لن نكرر ما سوف يطرح لاحقاً.

---

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ٢/ ٥٧٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

المطلب الثالث: واجبات المدعو من المشركين

كما أن للمدعو حقوقاً فإن عليه واجبات أيضاً، إلا أن المدعو من المشركين تختلف واجباته عن المدعو بشكل عام؛ لأن المشرك بمجرد استجابته للدعوة وقبوله لها فإنه يخرج من إطار الشرك، أما المدعو بشكل عام فهو باقٍ على كونه مدعواً في جميع الأحوال سواء قبل الإسلام أو بعده، إذن الواجبات التي تنطبق على المدعو من المشركين قد تنطبق على المدعوين بشكل عام، ولكن ليس كل واجبات المدعوين تنطبق على واجبات المدعوين من المشركين، فالمدعوون المشركون جزء من كل، ومن واجبات المدعو من المشركين ما يأتي:

أولاً: الاستماع للداعية:

إن الاستماع للمتحدث من الآداب المطلوبة من كل شخص يوجه إليه حديث ما، بغض النظر عن نوع الحديث -إلا فيما يغضب الله ﷻ-، وذلك في الحديث عن الأمور العامة فكيف بأمور الدعوة إلى الإسلام، وإذا لم يستمع المتلقي للداعية فهذا يعني أنه لن يعلم ماذا يقال له ولم يفكر من البداية في فهم ما يقال له. وهذا من إساءة الأدب وقلة الاحترام للمتحدث، فوجوب الاستماع وجوب أدبي أخلاقي ينطلق من تربية المدعو وبيئته التي اعتاد عليها، وقد كان العرب في السابق يحترمون المتحدث ويلقون له البال حتى يستطيعوا فهم مقالته والرد عليه، ومن الأدلة على ذلك قصة عتبة بن ربيعة مع الرسول ﷺ عندما قال له: يا ابن أخي، إنك منا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في

النسب، إلى أن قال: فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها، فقال رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالاً جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال ﷺ: فاستمع مني، قال عتبة: أفعل، فقرأ عليه رسول الله ﷺ القرآن... إلى آخر القصة[1]، فنجد هنا استماع الرسول ﷺ إلى عتبة بن ربيعة مع أنه يدعو إلى ضلال، كما أننا نجد استماع عتبة إلى رسول الله ﷺ مع أنه يدعوه إلى أمر لا يقبله، إلا أن كلاً منهما يعلم أنه يجب عليه الاستماع للآخر، فالدعوة هي من النصيحة والاستماع للنصيحة من المنصوح واجبة، وعندما طلب مصعب بن عمير من أسيد بن حضير ومن سعد بن معاذ رضي الله عنه الجلوس والاستماع له أجابا وكان في ذلك هدايتهم وهداية قومهم رضي الله عنهم أجمعين.

يقول سفيان الثوري: «إن أول العلم الإنصات ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل به ثم النشر»[2]، وفي روايات أنه قدم الاستماع على الإنصات[3]، وجميعها تؤدي إلى الهدف نفسه.

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن إسحاق، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البُستي، ص٣٤.

(٣) انظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٦/١٢٠. وانظر: فتح الباري، ابن حجر، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، رقم ١٢، ١/٢٨٧.

ثانياً: عدم الإعراض عن الحق عند معرفته:

إن من البدهي لدى كل عاقل عند معرفة الحق وجلائه أن يتبعه ولا يعرض عنه؛ لأن الإعراض عن الحق لا يصدر من عاقل، وقد أهلك الأمم السابقة إعراضهم عن الحق وهم يعرفونه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[1]، فلو تأمل المدعو بعقله وفكره وجعلهما حكماً لعلم الحق وما أعرض عنه، وقد أرسل الله رسله للناس بالآيات البينات ليدلّهم ويريهم الحق حتى لا تكون لهم حجة بعد الرسل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[3]، وجحود الحق والإعراض عنه صفة سيئة وعواقبها ضارة؛ لذلك كان واجباً على كل من يُدعى إلى الحق ويعرف أنه الحق أن يتبعه ويؤيده، فهذا واجب العقل والمنطق لمن هم على غير ملة الإسلام، وقد كان لهذا الأثر الكبير على مر العصور والأمم أن من يسمع الحق ويتبعه هم الناجون، ومن يعرض عنه هم الهالكون، فهذه سنة الله في خلقه، ومن البدهي أن النفس البشرية تحب كل ما فيه خير لها، فمعرفة الإسلام وما فيه من الخير يجعل المدعو يستبدل الذي كان عليه من جهل وضلال بالهدى والنور. وكان الصحابة ﷺ أيضاً يعلمون أن الحق له قبول عند من كان

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٤-٥.

(٢) سورة النمل، الآيتان: ١٣- ١٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]، فكانوا ﷺ يعرضون الحق ليقبله كل من يدعونهم من المشركين، ومن أمثلة قبول الحق معرفة سحرة فرعون الحق، فقد أعلنوا إيمانهم بالله رب العالمين فور رؤيتهم للحق، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[2].

ثالثاً: أن يبحث المدعو عن الحق وأن يسأل عندما يجهل:

إن عدم السؤال عما يجهله المدعو هو نوع من الصدود والإعراض، فيجب على المدعو أن يستفسر ويستعلم عن كل أمر من الأمور التي يُدعى إليها وهو يجهلها؛ لأن في ذلك استبياناً للحق ومعرفة له حتى لا يخفى منه شيء، وقد كان المشركون من قريش يحذرون العرب من الاستماع للرسول ﷺ، أو السؤال عنه حتى لا يدخلوا في الإسلام؛ لأنهم يعلمون أن السؤال والاستفسار عن الإسلام سيظهر الحق لهم ويجعلهم يتبعونه، وذلك ما لا يرغبون فيه، كما في قصة ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه عندما أتى للرسول ﷺ وسأله عن الله وعن الإسلام حتى إن رسول الله ﷺ قال: «إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة»[3]، ففي

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١١٧-١٢٢.

(٣) سنن الدارمي، كتاب الطهارة، باب فرض الوضوء والصلاة، رقم ٦٧٨، ٥١٦/١. حديث حسن (الألباني، صحيح سنن أبي داود، رقم ٥٠٥، ٣٨٩/٢).

هذه القصة دليل على أنه يجب الاستفسار عن الحق والسؤال عنه؛ لأن ذلك يؤدي إلى النتائج المطلوبة، أما عدم السؤال فهو من الضلال الذي يكون إما استكباراً عن الحق أو غفلة في العقل.

وقد أدى السؤال عن الحق إلى إسلام كثير من الصحابة ﭫ؛ فسؤال عمر بن الخطاب عن الصحيفة وقراءته لها، وسؤال عثمان بن عفان أبا بكر عن مقولة خالته، وعمرو بن مرة الجهني، وأبي ذر ﭬ وغيرهم من الصحابة حيث بحثوا عن الحق وسألوا عنه، فكانت نتيجة ذلك إسلامهم ﭫ أجمعين. أما عدم السؤال عن ما يجهله المدعو فإنه لا يحقق المصلحة بل يجلب المضرة، فكم من شخص فاته الإسلام بسبب عدم سؤاله وبحثه عن أمر الحق فمات وهو على جاهليته، وكما أن من واجبه السؤال عما يجهل فإن من واجبه أن يسأل من يعلم ويكون من أهل الحق ليستفيد وينتفع من عِلْم من سأل، وألا يكون صاحب هوىً أو عدواً للحق، لذلك نجد أن البحث عن الحق ليس أمراً سهلاً؛ وذلك بسبب كثير من العوامل التي تعيق هذا البحث، إلا أن الفطرة السليمة لدى الإنسان تكون هي الدافع لمعرفة الحق، قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[1].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، رقم ١٢٥٨، ص٢١٧.

المطلب الرابع: فئات المدعوين من المشركين في دعوة الصحابة رضي الله عنهم

يفرض المدعو على الداعي منهجاً خاصاً به في الدعوة، وذلك بناءً على ما يتوافر في ذلك المدعو من خصائص وميزات، فالمدعوون يختلفون باختلاف أوضاعهم الاجتماعية، ومراكزهم القيادية، ومكانتهم العائلية، فكل ذلك يؤدي إلى التعامل مع المدعوين كل حسب وضعه، لا حسب وضع الداعي نفسه، فلكل مقام مقال، وقد أمر الله تبارك وتعالى أن يُدعَى البشر بحسب أوضاعهم وأفهامهم، ودلل على ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كما في قصة موسى عليه السلام مع فرعون حيث أمره الله تبارك وتعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[1]، وذلك لوضعه القيادي، وخطاب الله تبارك وتعالى لأهل الكتاب على لسان نبيه ﷺ: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2]، فخاطبهم بحسب علمهم وما يدينون به.

فمعرفة وضع المدعو والعلم به تجعل من الداعي فقيهاً في اللغة المناسبة التي يُبلغ بها الدعوة؛ ليكسب المدعو ويهديه إلى الحق والصواب، يقول الشيخ علي محفوظ: «المرشد الحازم هو الذي يتفرس في حال القوم ويأتي في كل حال ما يناسبه»[3]. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على أن يتعاملوا مع المدعو حسب وضعه في المجتمع، ووضعه بالنسبة لهم أيضاً، وبهذا كان لكل فئة منهج خاص

(١) سورة طه، الآية: ٤٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٥.
(٣) هداية المرشدين، علي محفوظ، ص١٨٨.

من قبل الصحابة في التعامل معهم؛ لأن ما ينطبق على فئة قد لا ينطبق على الأخرى، بالإضافة إلى أن وضع المدعو قد يكون عاملاً مساعداً للداعي، وقد يكون العكس فيكون عقبة في طريق الدعوة.

وفي هذا المطلب سوف نقوم بتقسيم المدعوين المشركين ممن قام الصحابة رضي الله عنهم بدعوتهم إلى ثلاث فئات رئيسة؛ وذلك لأن حال المدعوين من المشركين لا يخرج من هذه الفئات وهي:

١- ذوو القربى.

٢- الملأ.

٣- العامة.

وسوف نبين تفصيل كل فئة، وكيف كان منهج الصحابة في التعامل مع كل منها عند دعوتهم، ومدى أثر ذلك فيهم.

أولاً: المدعوون من ذوي القربى:

كان من دعوة الصحابة رضي الله عنهم دعوتهم لذوي القربى، وذلك بناءً على الانتماء الأسري والترابط العائلي الذي يجعل الداعي والمدعو قريبين من بعضهما، كما أنه يدخل ضمن الحماية والنصرة؛ لأن الأقارب يعطون الداعي حصانة ضد من يحاول التعدي عليه، فكان لدعوتهم أولوية عن دعوة الأباعد.

ولأن عامل القرابة هو من العوامل المهمة في استجابة المدعو، فقد كان للرسل دور في ذلك، فهذا نوح عليه السلام يدعو ابنه، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾(١)، وهذا إبراهيم عليه السلام يدعو والده، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا﴾(٢)، ولرسولنا ﷺ مثال في دعوة أهله، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾(٣)، وقد حاول ﷺ في عمه أبي طالب أن يدخل الإسلام، وأول من آمن به زوجته خديجة رضي الله عنها، وفي ذلك كله دليل على أهمية دعوة ذوي القربى، وأنهم أولى بالخير من غيرهم، كما أن رابط القرابة يوجب على الداعي دعوتهم، وجعل هذا الرابط لنشر الإسلام ونصرة الدين.

وقد سلك الصحابة رضي الله عنهم مسلك الرسول ﷺ والأنبياء عليهم السلام من قبله في دعوة الأقارب، واتخاذ نهج خاص بهم، فالمدعو من ذوي القربى يختلف عن المدعو من غيرهم، فرابط العاطفة والمصير المتقارب، واللقاء شبه المستمر، والمصالح الواحدة، كل ذلك يجعل الصحابة يحرصون على دعوة أهليهم بدافع حمايتهم

(١) سورة هود، الآية: ٤٢.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٤٢-٤٥.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

من عذاب النار، وخصهم بالخير والجنة والإسلام، فلم يتركوا فرصة قائمة إلا كان لدعوة الأهل فيها نصيب من دعوتهم، بل كانوا هم أول من دُعي، فكانت علاقة النسب والقربى هي الدافع الثاني لدعوة المدعوين بعد دافع التبليغ لدين الله، ومن خصائص دعوة الأقربين في منهج الصحابة ﷺ ما يأتي:

١. احترام الوالدين وبرهما وإظهار الحق والنصح لهما:

إن في بر الوالدين عند الله تعالى أجراً كبيراً، وخيراً كثيراً في الدنيا والآخرة، فقد أمر ﷻ المؤمنين ببر الوالدين، وحثهم على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قال: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[٤]. وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب البر والصلة، رقم ٥٩٧٠، ص١٠٤٥.

قال: أقبل رجل إلى النبي ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: «**فهل من والديك أحد حي؟**» قال: نعم، بل كلاهما، قال: «**فتبتغي الأجر من الله؟**» قال: نعم، قال: «**فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**»[(١)]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يجزي ولد عن والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه**»[(٢)].

ولهذا الفضل الكبير الذي في برِّ الوالدين ألقى الصحابة رضي الله عنهم جل اهتمامهم في دعوة آبائهم، كيف لا وليس هناك برٌّ أعظم من دعوتهم لإخراجهم من الشرك وإدخالهم الإسلام، فقد حرصوا رضي الله عنهم على دعوة والديهم، بل إن بعضهم أول من دعا كان والديه، وقد كان لهم في دعوة والديهم منهج خاص لا يكون إلا للوالدين، الخضوع لهم مع الرحمة، وبيان الحق، وإظهار النصح، ولأن الوالدين عادةً يثقون في أبنائهم من جانب حب الخير لهم، فإن هذا الإحساس قد ساعد في دعوتهم من أبنائهم، ولو نظرنا إلى مواقف الصحابة في دعوتهم لوالديهم أو أحدهما لاستخرجنا منها دروساً وفوائد كثيرة في دعوة الآباء من أبنائهم، ومن هذه الفوائد ما يأتي:

أ) عدم التصادم معهم وأذيتهم:

ومن ذلك ما قام به معاذ بن عمرو بن الجموح مع والده عمرو بن الجموح رضي الله عنهما عندما كان يأخذ صنمه ويلقيه في حفرة فيها عذر الناس دون أن يراه والده،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأيهما أحق به، رقم ٦٥٠٧ ، ص١١١٨.

(٢) سنن ابن ماجه، أبواب الأدب، باب بر الوالدين، رقم ٣٦٥٩، ص٢٥٢. حديث صحيح (الألباني، صحيح الجامع، رقم ٧٦٢٢، ٢/١٢٦٢).

أو يعرف عنه، إنما أراد أن يظهر له الحق دون المواجهة أو المصادمة التي قد تؤدي إلى عكس ما يهدف إليه معاذ ﷺ، وخصوصاً أن عمرو بن الجموح رجل كبير في السن، ومن عادة كبار السن عدم قبول نصيحة من هم أصغر منهم، فكيف أبناؤهم؟ وذلك ما جعل معاذ بن عمرو يخفي نفسه وما عمل عن والده حتى يهتدي هو بنفسه، دون أن يظهر نزوله عند رأي شباب الأنصار، وكان لهم ذلك فأسلم ﷺ بعد أن أحكم عقله ورجع إلى رشده.

ب) التواصل في دعوة الوالدين وعدم قطيعتهما حتى وإن لم يؤمنا:

أوصى الله ﷻ المؤمنين بوالديهم حُسْناً، وعدم القطع بهما، ومصاحبتهما حتى وإن كانا مشركين، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1]، وقد استمر الصحابة في التواصل مع آبائهم وعدم اعتزالهم، فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يسكن مع والده في بيت واحد، ويخدمه أبناؤه، وهو لم يسلم إلا في فتح مكة[2]. وهذا مصعب بن عمير ﷺ يدعو أمه إلى الإسلام ويصلها ويزورها مع ما حصل منها معه من حبس ومنع وأذية، إلا أنه صاحبها في الدنيا معروفاً، كما أمر الله سبحانه، بل إنه لم ييأس من ذلك. وكذلك فعل أبو هريرة ﷺ مع والدته، حيث أحضرها معه إلى المدينة، عندما هاجر وهي مشركة، وكان يدعوها وتأبى

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/٤٥١.

إلى أن دعا لها رسول الله ﷺ فأسلمت[1]. فالتواصل مع الوالدين قد يؤدي إلى إسلامهما وهدايتهما، وعدم اليأس من ذلك، فقد يكون للاستمرار والوصل وعدم القطيعة أثر في إزالة التحجر والإصرار والتعنت لما يجده الوالد من عدم تغير ابنه عليه ومحافظته على علاقته معه.

ج) ترغيب الوالدين بإسلام من حولهم وأقاربهم:

لاشك أن للمجتمع المحيط بالأشخاص تأثيراً عليهم، سواء بالسلب أو بالإيجاب، فارتباط الشخص بهذه البيئة يجعله جزءاً مكوناً لها، لذلك يسعى أن يكون منسجماً ومتجانساً مع هذه البيئة، لا متنافراً ومضاداً لها، ومن هذا فإن إسلام من حول المدعو يكون دافعاً لإسلامه ومحفزاً له، وخصوصاً عندما يكون من حوله هم أقرب الناس إليه، كالوالدين أو الإخوة أو الأبناء.

ومن هذا المنطلق كانت دعوة طليب بن عمير رضي الله عنه لوالدته أروى بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ، فعندما أسلم ذهب لوالدته وقال لها: أسلمت واتبعت محمداً ﷺ، ثم دعاها إلى الإسلام، واتباع النبي ﷺ، وذكرها بإسلام أخيها حمزة رضي الله عنه، فقالت: أنظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن، إلا أنه أصر عليها فأسلمت رضي الله عنهم أجمعين. فنجد أن أول ترغيب لأمه كان بإخبارها بإسلامه هو، وهو فلذة كبدها، ثم إخبارها بإسلام أخيها، الذي تفتخر وتعتز به، وما ذكر ذلك لها إلا لعلمه أنه سيكون له أثر في إسلامها، ودليل ذلك قولها:

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٤/٣٢٥.

"أنظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن"؛ لأن إسلام الأقارب هو حافز للمدعو كي يسلم، وذلك ما فطن له طليب بن عمير ﷺ.

د) الإيضاح للوالدين أن الدين هو أهم رابط بين الأسرة:

إن من قوة إيمان الصحابة أن يكون الدين أحب وأقرب إليهم مما سواه، ولو كان ذلك آباءهم وأهليهم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1]، قال رسول الله ﷺ: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»[2]، فكان من واجب الصحابة عند دعوتهم آباءهم أن يوضحوا ذلك لهم، وأنه مهما كانت منزلتهم عند أبنائهم إلا أن الله ورسوله منزلتهما أكبر، وأن الرابط القوي الذي يربط بين الأب وابنه هو رابط الدين، وهو أمتن من رابط النسب والأبوة.

وقد بين الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ ذلك عندما قابل والده وهو عائد من عند رسول الله ﷺ ليدعو قومه، فلما أتاه وكان شيخاً كبيراً قال له: إليك

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، رقم ١٤، ص٦٥.

عني يا أبت فلست منك ولست مني، قال: ولِمَ يا بني، قال: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ، قال: أي بني، فديني دينك. هنا كان على الطفيل أولاً أن يوضح لأبيه أن الدين فرق بينهما وأنه هو ما يجمع بينهما، مما دفع أباه إلى اعتناق الإسلام للبقاء على علاقته بابنه.

٢. معاتبة الأخ وعذله وإظهار الشفقة عليه:

إذا كانت علاقة القرابة والنسب من الروابط التي تربط الدعاة ببيئاتهم فإن علاقة الأخوة تربط الدعاة بالمدعوين، وهي من أشد وأمتن العلاقات التي بين البشر؛ لذلك كان لها تأثير قوي في التأثر والتأثير بين الإخوة، وهذه العلاقة من طبيعة النفس البشرية التي جبلت عليها، بل هي الأصل في العلاقة بين الإخوة؛ لأن بداية هذه العلاقة ليست حديثة بل هي منذ أن خلق الله الإخوة وأخرجهم إلى هذه الدنيا، وهم على علاقة ببعض، فأفضل من يعرف الإخوة الأخ، وهم أكثر تفاهماً من غيرهم، بل إنهم أكثر نصرة لبعضهم من نصرة الآخرين ممن هم ليسوا إخوة.

وقد طلب نبي الله موسى عليه السلام وبوحي من الله أخاه هارون وزيراً له، قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾[1]، يقول ابن عاشور: «خص هارون لفرط ثقته به، ولأنه فصيح اللسان مقوالاً، فكونه من أهله مظنة النصح له، وكونه أخاه أقوى في المناصحة، وكونه الأخ الخاص لأنه معلوم عنده بأصالة الرأي»[2].

(١) سورة طه، الآيات: ٢٩-٣٢.
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد السابع، الجزء السادس عشر، ص٢١٢.

وبهذا كان للصحابة ﷺ منهج خاص بدعوة الإخوة، وحثهم على الدخول في الإسلام، ولأن الله ﷻ جعل الأخوة في الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(١)، وقال الرسول ﷺ: «**المؤمن أخو المؤمن**»(٢)، فقد حرص الصحابة على أن يكون إخوانهم بالنسب هم إخوانهم في الإسلام، وقد كان للصحابة في دعوة إخوتهم طريقتان هما:

- اللوم مع بيان القدر والمكانة.
- التخويف مع إظهار الشفقة والنصح.

وقد كان لكل طريقة حوادث تشهد على ذلك، وسوف نذكر كل طريقة بشيء من التفصيل مع ذكر الحوادث المتعلقة بكل طريقة.

أ) اللوم مع بيان القدر والمكانة:

«اللوم هو عذل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم»(٣)، وهذا الأمر عادة يقع ممن يحق له اللوم وممن له علاقة بالمدعو؛ لأنهم هم الذين سيقبل منهم هذا اللوم، وإذا كان مع هذا اللوم بيان لقدر ومكانة المدعو، فإن ذلك أحرى بالاستماع من الداعي وأدعى للقبول منه؛ لأن بيان القدر فيه جذب للانتباه، وبيان مكانة المدعو عند الداعي، مما يزيل حاجز الحذر، واللوم فيه بيان للخطأ

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك، الحديث رقم ٣٤٦٤، ص٥٩٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، كتاب اللام، ص٤٥٦.

الذي فيه المدعو، وهذان الأمران إذا اجتمعا كان لهما تأثير قوي في دعوة الأقارب والأهل.

وقد كان للصحابة في دعوة إخوانهم نصيب من ذلك، ومن ذلك كتاب الوليد بن الوليد رضي الله عنه إلى أخيه خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي قال فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك، ومثل الإسلام جهله أحد؟! وقد سألني رسول الله ﷺ عنك، وقال: "**أين خالد؟**" فقلت: يأتي به الله، فقال: "**مثله جهل الإسلام؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين كان خيراً له، ولقدمناه على غيره**"، فاستدرك يا أخي ما قد فاتك، فقد فاتك مواطن صالحة»[(١)].

فنجد هنا بيان قدر ورجاحة عقل المدعو، وبيان مكانته عند رسول الله ﷺ، بالإضافة إلى لومه من ذهاب رأيه، وفوات الخير عليه بعدم دخوله للإسلام.

ب) التخويف مع إظهار الشفقة والنصح:

للتخويف -كما سنوضح في الفصل الثالث- دور في تحريك مشاعر المدعو واستثارتها، وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة يخوف الله بها المشركين لكي يعودوا إلى عبادة الله، وترك الشرك، وقد أرسل الله تعالى رسله لينذروا الناس من العذاب الذي سيلحق بهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ

---

(١) المغازي، الواقدي، ص٥٠٨-٥٠٩.

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(2).

وقد نهج الصحابة هذا النهج مع المدعوين من ذوي القربى وخصوصاً إخوانهم، فكانوا يذكرونهم بما سيلحق بهم من أذى وعقوبة إن هم لم يسلموا، وقرنوا مع هذا التخويف إظهار الشفقة والنصح لهم بما ينجيهم، ومن ذلك ما أرسل به بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير رضي الله عنهما، يبين له أن الرسول ﷺ أهدر دمه، ويقول له: «النجاء وما أراك تفلت»، ثم كتب إليه بعد ذلك: «اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل منه، وأسقط ما كان قبل ذلك، فإذا أتاك كتابي هذا فأقبل وأسلم»، فبعد التخويف من إهدار دمه أشفق عليه وأرسل له كتاباً آخر ينصحه فيه ويخبره ما يفعل لينجو، وهكذا كان الصحابة مع المدعوين.

٣. إظهار الرحمة والرفق واللين مع الزوج:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(3)، بما أن علاقة الأزواج ببعضهم تختلف عن غيرها، فإن دعوتهم أيضاً تختلف عن غيرها، وذلك لأن نمط العلاقة بينهم لا يماثل نمط العلاقة مع الأب أو الأخ أو الأبناء أو غيرهم، فهم أقرب إلى بعض، ولأن هذه العلاقة

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢١.
(٢) سورة نوح، الآية: ١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

تتسم بالخصوصية، فإنها قائمة على اللين في التعامل، والعطف والرحمة من أحدهما للآخر، وذلك من مقومات الزواج الناجح، حيث جعل الله تبارك وتعالى بينهم المودة والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1]، يقول الشيخ السعدي: «لا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة»[2].

وهذا كان له تأثير واضح في دعوة الأزواج لبعضهم، ومن ذلك ما كان من الصحابة مع المدعوين من أزواجهم، ففي دعوة أم حكيم لزوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما جوانب عدة من الرحمة والمودة والشفقة، فمن أول هذه الجوانب لحاقها به وتكبدها المشقة وهي امرأة، وكان همها أن تلحق بزوجها وتدعوه إلى الإسلام، والجانب الثاني: هو ذكرها لفضل الرسول ﷺ حيث قالت له: يا ابن عم، جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك، وذلك الذكر خصت به صفات معينة من صفات الرسول ﷺ فذكرت الصلة والبر والخير، ولم تذكر الشجاعة والحزم والأمانة والصدق وغيرها من شمائل الرسول ﷺ، وما ذكرت ذلك إلا لأن ذلك هو أساس العلاقة بين الزوج وزوجته، أما الجانب الثالث: أنها بدأت بقولها له: يا ابن عم، وفيه إشارة إلى حفظها للود الذي بينهما، ولم تنسه حتى بعد تركه لها ومغادرته مكة هارباً، والجانب الرابع: قولها له: لا تهلك نفسك، ففي ذلك بروز جانب الشفقة عليه من الهلاك في

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٧٥١.

الدنيا أو الآخرة، والجانب الخامس: هو إسعاده بخبر أخذ الأمان له من رسول الله ﷺ، وآخر شيء: هو أنه عندما أراد أن يجامعها وهم عائدون إلى مكة تأبى عليه وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة، ففي ذلك حضٌّ على الإسلام، وإخبار بأن المودة والقربى لا تعني التفريط في أمور الدين، حتى ولو كان ذلك من أجل الزوج والأهل، فمنهم من هو عدو كما قال الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾[1]، يقول الشيخ السعدي: «هذا تحذير من الله للمؤمنين من الاعتذار بالأزواج والأولاد فإن بعضهم عدو لكم.. والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي، ورغبهم في امتثال أوامره»[2]، ومما سبق نجد أن دعوة الزوج اشتملت على الآتي:

- تحمل المشقة لهداية المدعو.
- ذكر ما يناسب المدعو من فضائل الإسلام.
- إظهار الاحترام والتقدير للمدعو.
- إظهار الشفقة والخوف على المدعو.
- بعث الطمأنينة والسعادة إلى قلب المدعو.
- عدم التنازل عن شعائر الإسلام من أجل هداية المدعو.

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٠٢٣.

ثانياً: المدعوون من الملأ:

«الملأ: هم الرؤساء، سموا بذلك؛ لأنهم مُلاء بما يحتاج إليه، وقيل: هم أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم»[1]، وفي "المفردات": «الملأ هم جماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العيون رواءً ومنظراً، والنفوس بهاءً وجلالاً»[2]، وبهذا يكون الملأ هم أشراف المجتمع وسادته، وهم أهل الجاه والرفعة، ومن لديهم الزعامة والرئاسة ومن يرجع إلى أقوالهم.

ومن أطلق عليه في القرآن الكريم أو السنة النبوية لفظ "الملأ" فإنه لا يخرج أن يكون: «إما زعيماً سياسياً وإما وزيراً من الوزراء، وإما من أهل الرأي والمشورة، وإما من الأثرياء، وإما من أهل المعرفة»[3].

وإطلاق كلمة "الملأ" في القرآن الكريم على من ذكر في التعريفات السابقة هو من قبيل بيان الواقع، لا من قبيل بيان استحقاقهم فعلاً للشرف والسيادة والقيادة والرئاسة، ويشبه هذا الإطلاق ما ورد في رسائل النبي ﷺ إلى رؤساء فارس والروم ومصر، فقد جاء في بعض هذه الرسائل مخاطبة الرسول الكريم إلى رئيس الروم بعبارة «عظيم الروم، أي: الذي يعظمونه ويقدمونه»[4]، وهذا واقع القوم.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: ملأ، ١/١٥٩.
(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، كتاب الميم، ص٤٧٣.
(٣) دعوة الملأ إلى الإسلام في الكتاب والسنة، عبدالله بن محمد المجلي، ص٢٨.
(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، المجلد الثاني، الجزء الثاني عشر، رقم ١٧٧٣، ص ٤٥١.

وقد ذكرت كلمة "الملأ" في القرآن في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾(١)، و﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾(٢)، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾(٣)، و﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾(٤).

وفي عهد الرسول ﷺ كان الملأ لهم دور في الصد عن هذه الدعوة، وأيضاً مساندة هذه الدعوة، فنجد أن وجود أبي طالب عم رسول الله ﷺ كان له دور في حماية الرسول ﷺ، كما كان في المقابل من الملأ من يحارب الرسول ويعاديه مثل عتبة بن ربيعة وأبي جهل وأمية وأبي لهب وغيرهم من زعماء المشركين، وبهذا كانت دعوة الملأ من أهم الدعوات؛ لأنه باستجابتهم سيستجيب معهم خلق كثير، ويكف عن الإسلام شرهم. وهنا سوف نتطرق إلى دور الملأ في الدعوة وأسباب رفضهم لها، وطريقة تعامل الصحابة رضي الله عنهم معهم.

١. دور الملأ في الدعوة:

أ) دور الملأ في الصد عن الإسلام:

الملأ من المشركين كان لهم دور في محاربة الإسلام والصد عنه، وقد جعلوا همهم الأهم تكذيبهم للرسول ﷺ، والتشكيك في دعوته، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٠.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٤٣.

(٤) سورة النمل، الآية: ٢٩.

هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾[1].

فقد قاوموا الدعوة إلى الله تعالى، فقادوا حملات ضد الرسول ﷺ وأصحابه من قمع وتعذيب وتكذيب وتشويه سمعة، وهذه سنة الملأ مع جميع الرسل عليهم السلام من قبل، فقد تصدى الملأ من قوم نوح لدعوته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2]، يقول الشيخ السعدي: «إنهم لم يكفهم - قبَّحهم الله - أنهم لم ينقادوا له بل استكبروا عن الانقياد له، وقدحوا فيه أعظم قدح، ونسبوه إلى الضلال، ولم يكتفوا بمجرد الضلال حتى جعلوه ضلالاً مبيناً واضحاً لكل أحد»[3].

كما تصدى الملأ من قوم هود وصالح وشعيب وموسى لهم، وقد ذكر ذلك في القرآن الكريم، كما ذكرت كتب السيرة كثيراً من المواقف والأحداث التي تصدى فيها الملأ من المشركين لدعوة الرسول ﷺ، ومن ذلك تحذيرهم القادمين إلى مكة من الاستماع إليه ﷺ وأذيته ومحاولة قتله، كما أنهم عذبوا أصحابه رضي الله عنهم وقتلوا من قتلوا منهم، كآل ياسر رضي الله عنهم، ولم يقتصر ذلك على الملأ من أهل

---

(١) سورة ص، الآيات: ٤-٨.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٥٩-٦٠.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣٣٠.

مكة، بل أيضاً من أهل الطائف، فكما يذكر ابن هشام في "السيرة النبوية" أنه عندما نزل ﷺ إلى ثلاثة من أشرافهم ودعاهم لم يستجيبوا له، بل أغروا سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به[1].

ومما واجه الصحابة ﷺ من الملأ من المشركين وصدهم عن الدعوة والإسلام تعذيبهم لهم؛ فقد عذب أبو جهل عمار بن ياسر ﷺ، وعذب أمية بلال بن رباح ﷺ، وعُذِّب من ليس له حامٍ يحميه في مكة حتى هاجروا إلى الحبشة فراراً بدينهم، بل إن الملأ من قريش أرسلوا من يعيدهم من الحبشة.

كما أن الملأ من المشركين أيضاً في كل مكان كانوا حجر عثرة في دعوة الصحابة؛ فقد قتلوا عروة بن مسعود في الطائف عندما دعاهم إلى الإسلام، ومنع ملأ فارس أقوامهم من الدخول إلى الإسلام بالسلم، واختاروا الحرب على ذلك، وبذلك كان للملأ من المشركين دور كبير في الصد عن الإسلام؛ لأن الناس مولعون بالملأ ومتعلقون بهم، فإنهم يتأثرون بهم ويتبعونهم على الحق والباطل، فالصغير مولع بالكبير، والمغلوب تابع للغالب، والمرؤوس مبهور بالرئيس، فهذه طبيعة البشر، فإن اهتدى الملأ اهتدى الناس، وإن ضلوا ضل الناس تبعاً لهم إلا من رحم الله.

ب) دور الملأ في نصرة الدعوة:

كما أن الملأ عامل صد قوي عن الإسلام، فهم أيضاً عامل نصرة وتمكين

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٣٨٣.

للدعوة، كما ذكرنا من دعم أبي طالب لرسول الله ﷺ الذي كان له أثر كبير في نشر الدعوة بين الناس لما في ذلك من تأمين له وحماية من الأذى.

ولعلم رسول الله ﷺ أن دعوة الملأ وإسلامهم فيه نصرة للدين، فقد حرص على ذلك، فكان يتردد على مجالسهم ويكلمهم ويدعوهم، ومن دلائل عزة الإسلام وقوته بإسلام الملأ إسلام حمزة بن عبدالمطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما؛ حيث أصبح للمسلمين قوة وعزيمة وارتفعت معنوياتهم حتى علموا أن الإسلام قد نُصر وعز، وفي ذلك إشارة لما قال الرسول ﷺ عن إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب**»(1)، وذلك دليل على أن الملأ هم نصرة للدين، وعز للإسلام إذا أسلموا.

وقد كان لإسلام كثير من الملأ تأثير في دعوة قومهم واستجابتهم للدعوة بدون تردد، ومن هؤلاء سعد بن معاذ، والطفيل بن عمرو الدوسي، وضمام بن ثعلبة، وعمرو بن مرة الجهني رضي الله عنهم، فعندما أسلموا أسلم معهم قومهم.

كما كان من نصرة ملأ المشركين للمسلمين مما ساعد على دعوتهم، إجارة بعضهم لبعض المسلمين، كإجارة ابن الدغنة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه(2)، وإجارة الوليد بن المغيرة لعثمان بن مظعون رضي الله عنه، وأبو سلمة رضي الله عنه في جوار أبي طالب(3).

(1) جامع الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم ٣٦٨١، ص٨٣٨. حديث حسن صحيح (الألباني، المشكاة، رقم ٦٠٤٥، ٣/١٧٠٤).

(2) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٣٤٣.

(3) انظر: المرجع السابق، ١/٣٤١.

فالملأ بمكانتهم ومنزلتهم من أقوامهم وإمكاناتهم المادية والسلطة التي لديهم إذا استثمرت في صالح الدعوة كان لها الأثر الكبير، ومهدت كثيراً من الطرق، وكانت حامية للدعوة داعمة لها، تذلل لها الصعاب، وتفتح لها الأبواب، فكما أن للملأ جانباً في الصد عن سبيل الله فلهم جانب نصرة وتمكين في سبيل الله والدعوة إلى الإسلام.

٢. دوافع عداوة الملأ للدعاة من الصحابة ﷺ:

لكل فعل مسبب ودوافع، وعداوة الملأ من المشركين للإسلام بشكل عام وللدعوة بشكل خاص لها ما يسببها ويجعلها الشغل الشاغل لهذه الفئة من المشركين، وإن كان هناك دوافع خاصة بكل شخص إلا أن الدوافع العامة والتي قد يشترك فيها الغالبية من ملأ المشركين هي معدودة ومحدودة، وهي ما سوف نتكلم عنه في الفقرات الآتية:

أ) الكبر والتعالي على الحق:

الكبر من أكبر موانع قبول الدعوة، وهو كما قال ﷺ: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[1]، وقد عرف الجاحظ الكبر بأنه: «استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس واستصغارهم، والترفع على ما يجب التواضع له»[2]، وقال ابن قدامة رحمه الله: «إن الكبر خلق باطن تصدر عنه أعمال هي ثمرته، فيظهر على الجوارح، وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه، يعني يرى

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم ٢٦٥، ص٥٤.
(٢) تهذيب الأخلاق، الجاحظ، ص٣٢.

نفسه فوق الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبراً»[1].

وكان أول من تكبر من الخلق هو إبليس، عندما رفض السجود لآدم استكباراً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، فكان تكبره ذلك ميراثاً لمن اتبعه من الأقوام من بني آدم، وخصوصاً الملأ فيهم؛ فقد استكبر ملأ قوم صالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[3]، وكذلك الملأ من قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾[4]، واستكبر فرعون وملؤه، قال تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾[5]، واستكبر قوم عاد عليه السلام: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[6]، واستكبر قوم نوح عليه السلام: ﴿وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾[7].

فكل هؤلاء الأقوام أضلهم ملؤهم باستكبارهم فاستحقوا العذاب في الدنيا والآخرة، فالكبر دافع أساس لرد الحق لدى الملأ؛ لأنهم يرون في أنفسهم رفعة عن الناس وعلوّاً، وقد حصل من الملأ من قريش أن قالوا للرسول ﷺ:

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، ص٢٨٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٤.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٥.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٨٨.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٤٦.
(٦) سورة فصلت، الآية: ١٥.
(٧) سورة نوح، الآية: ٧.

اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، ويقصدون سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وبلالاً وغيرهم من المسلمين، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء أن يقع فحدث نفسه، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1][2]، وقد قالت قريش لبعضهم: «هؤلاء أصحابه كما ترون، أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحق، لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، وما خصهم الله دوننا»[3].

وبذلك فإن الكبر كان مانعاً قوياً من دخول الملأ من المشركين للإسلام، وقبولهم له، حتى ولو كانوا موقنين بأنه الحق، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[4].

ب) حب الزعامة والجاه:

إن الزعامة والجاه والسلطة التي تتوافر لدى الملأ من الناس هي دافع من دوافع امتناعهم ومعاداتهم للدعوة؛ لأنهم لا يرضون أن يكونوا بلا سلطة ولا جاه يميزهم عن غيرهم، ويجعل لهم أتباعاً يأتمرون بأمرهم وينتهون بنهيهم، كما أن اعتقادهم أن الأنبياء لم يأتوا إلا ليأخذوا الزعامة منهم، ففي قصة نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[5]، يقول الرازي: «إن من شُبَهِهم أن هذا الإنسان أحب الرياسة والمتبوعية فلم يجد

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﵃، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﵁، رقم ٦٢٤١، ص١٠٦٤.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٣٦٠.

(٤) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.

إليهما سبيلاً إلا بادعاء النبوة»[1].

قال الشيخ السعدي: «إن هذه المعارضة لازالت موجودة في مكذبي الرسل»[2]، ويقول ابن القيم رحمه الله: «إن هذا هو داء أرباب الملك والولاية والرياسة، وقل من نجا منه إلا من عصم الله، وهو داء فرعون وقومه»[3].

وقد تبين ذلك من مشركي قريش عندما خافوا أن تضيع الزعامة والرئاسة من أيديهم، وأن يفسد عليهم أتباعهم، فقد عرضوا على الرسول ﷺ عدة عروض منها قولهم: «وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا»[4].

كما ارتد كثير من الأعراب عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ بسبب الرياسة والزعامة، وعدم قبولهم تزعُّم أبي بكر الصديق رضي الله عنه للمسلمين، فمنهم نفرٌ من بكر بن وائل قالوا: «تعالوا حتى نرد الملك في دار النعمان بن المنذر، فإنه أحق بهذا الأمر من ابن أبي قحافة»، ومنهم الأشعث بن قيس عندما قال لقومه كنده: «وإنها لنا أجود ونحن لها أحرى وأصلح من غيرنا؛ لأنا الملوك من قبل أن يكون على وجه الأرض قرشي ولا أبطحي»[5].

---

(١) التفسير الكبير، الرازي، المجلد الثاني عشر، الجزء الثالث والعشرون، ص٨٠.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٦٤٣.
(٣) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ١/١٠٠.
(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٢٧٧.
(٥) الردة، الواقدي، ص١٤٧،١٧٥.

فكان حب الزعامة والرياسة والجاه من العقبات التي تعيق الملأ وكبار القوم من المشركين من الدخول في الإسلام، وما تلك إلا ثقافة توارثوها من أسلافهم، وكانوا يتفاخرون بها ويتنافسون عليها.

ج) تقليد الآباء واتباعهم:

إن تقليد الآباء والأسلاف والسير على ما هم عليه من باطل هو عامل من العوامل التي تسببت في ضلال كثير من الأمم وابتعادها عن الحق، ومحاربتها له، قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ**﴾[1]، فجعلوا الآباء هم القدوة والمثل الذي لا يرغبون سواه، ويعتقد الملأ من المشركين أن مخالفة الأسلاف فيها نوع من العيب والنقصان في حقهم، والازدراء من قبل الأقوام الأخرى.

وهذا ما كان يحرِّض الملأ من قريش بعضهم به، ففي "صحيح البخاري" أنه عندما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: «**أي عم، قُل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبدالمطلب[2]، فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبدالمطلب. فعلم أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية بأهمية الأسلاف عند أبي طالب مما جعلهم يثيرونه بها حتى حرموه الإسلام، وكان ذلك مقدراً له.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، رقم ٣٨٨٤، ص٦٥٢.

وهذا شيخ من جهينة يرد على عمرو بن مرة الجهني عندما دعاهم إلى الإسلام يقول[1]:

إن ابن مرة قد أتى بمقالـــة ... ليست مقالة من يريد صلاحاً
إني لأحسب قوله وفعالـــه ... يوماً وإن طـــال الزمان رياحاً
أيسفه الأشـــياخ ممن قد مضى ... من رام ذلك لا أصاب فلاحاً

فقد جعل مخالفة أسلافهم تسفيهاً لهم وعدم فلاح؛ لأن أكثر الملأ من المشركين وصلوا إلى ما وصلوا إليه من مكانة ورفعة في الدنيا وكثرة مال إنما توارثوه من آبائهم وأجدادهم، ويرون في ترك ما عليه آباؤهم طعناً فيهم ومنقصة لهم، مما قد يقلل من قيمة الفرد منهم.

د) الحسد:

«الحسد هو تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها»[2]، يقول الجاحظ: «إن الحسد هو التألم بما يراه الإنسان لغيره من الخير، وما يجده فيه من الفضائل والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له»[3].

وقد كان أول ذنب عصي الله به في الأرض بسبب الحسد، أي حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله[4]؛ لأن الحسد يورث العداوة والبغضاء والحقد،

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص٤٤.
(٢) المفردات، الأصفهاني، ص١١٨.
(٣) تهذيب الأخلاق، الجاحظ، ص٣٤.
(٤) انظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص٢٧٨.

مما يؤدي بصاحبه إلى ارتكاب الحماقات، وقد ولّد الحسد في أنفس الملأ من المشركين حسرات بسبب إحساسهم أن الرسول ﷺ والمسلمين أفضل منهم، ولا يَحسُد إلا من يعلم أن الإسلام هو دين الحق، ولكن حسده يمنعه من اتباعه، وقد ذكر الله أهل الكتاب وحسدهم لأنهم يعلمون بما لديهم من العلم أن الرسول حق والإسلام حق، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[1].

وقد كذب فرعون موسى عليه السلام حسداً منه، قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[2]، فكان من أسباب عدم القبول أنه كيف يكون لكما الملك والعز في أرض مصر، وأيضاً فالنبي إذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد أمر أمته إليه، فصار أكبر القوم[3]، وكل ذلك حسدٌ حتى لا يكون هناك كبيرٌ إلا فرعون وقومه.

ومن مواقف حسد المشركين للرسول ﷺ والمسلمين هو علمهم بصدقه ومخالفته خوفاً من ارتفاع مكانته عليهم، ومن ذلك قول أبي جهل للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه قبل إسلامه: والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم، قالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم، قالوا: فينا اللواء، قلنا:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٧٨.

(٣) انظر: التفسير الكبير، الرازي، المجلد التاسع، الجزء السابع عشر، ص١١٤.

نعم، قالوا: فينا السقاية، قلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكّت الركب، قالوا: منا نبي، فلا والله لا أفعل[1].

فكان حسد أبي جهل للنبي ﷺ حائلاً دون إسلامه، وهو يعلم أنه ﷺ على حق، يقول الماوردي: «إن من دواعي الحسد أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه فيكره تقدمه فيه، واختصاصه به، فيثير ذلك حسداً لولاه لكف عنه، ولا يحسد الأكفاء من دنا وإنما يختص بحسد من علا، وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة، ولكنها مع عجز فلذلك صارت حسداً»[2]، وذلك ما حصل من الملأ من المشركين، فعندما عجزوا عن المنافسة حسدوا الرسول ﷺ وصحابته.

٣. دعوة الصحابة رضي الله عنهم للملأ:

كان للصحابة رضي الله عنهم مع المدعوين من ملأ المشركين مواقف عدة تجلت فيها حكمة وبراعة الصحابة رضي الله عنهم في إدارة تلك المواقف بما يكسبهم إسلام أعضاء جدد، وانضمامهم إلى دائرة الإسلام مع عدم مخالفة تعاليم الإسلام، وقد انقسم الملأ من المشركين في الدعوة إلى قسمين: الأول منهم: معاند متجبر، والثاني: الحكيم المتفاهم، ولكل قسم من هذه الأقسام طريقة يختلف بها عن الآخر، وقد أعطى الصحابة رضي الله عنهم كل قسم ما يستحقه من الدعوة بالطريقة المناسبة له، وذلك كالآتي:

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن إسحاق، ص٢٤٥.

(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص٢٧٩.

القسم الأول: المعاند المتجبر:

إن المعاندة عند الملأ ناشئة عن الكبر والحسد والجاه، فجميع ذلك يجعل منه معانداً للحق الذي هو يعرفه، ويتجبر على من خالفه استصغاراً له واحتقاراً، وقد تعامل الصحابة ﷺ مع هؤلاء بما يناسبهم من بيان تقديرهم مع عدم الهيبة منهم، والغلظة عليهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾(1).

ومن هذا عندما اقتحم عمرو بن عبد ود الخندق وأخذ يدعو للبراز فخرج له علي بن أبي طالب ﷺ، وعرض عليه الإسلام، أو العودة إلى بلاده، لكنه رفض ذلك كله، عند ذلك بين له علي ﷺ القوة والشدة والغلظة وطلبه إلى القتال، فقال عمرو بتجبر: إني أكره أن أقتلك، ولكن علياً ﷺ قال له: ولكني أحب أن أقتلك، فمع مثل هذا استخدم علي ﷺ مع الدعوة احتداماً وغلظة، حتى لا يُظن أن الإسلام ضعيف. وكذلك في رسل وكتب قادة المسلمين لفارس، ومحاورتهم معهم، فيها هيبة وغلظة، وإظهار عزة الإسلام والمسلمين؛ لأن المعاند منهم يحتاج ما يزحزحه من عناده ولو بالقوة والتخويف.

القسم الثاني: الحكيم المتفاهم:

هذا النوع من ملأ المشركين هو أكثرهم تأثيراً بعد إسلامهم، وذلك لأن أحدهم لم يَسُدْ قومه إلا بعقله وسداد رأيه؛ لأنهم لا يقدمون على أمر إلا

(1) سورة التوبة، الآية: ٧٣.

ببصيرة وتعقل وتمييز، ومن ذلك دعوة مصعب بن عمير لسعد بن معاذ رضي الله عنهما عندما أتاه مغضباً متشتماً فطلب منه مصعب رضي الله عنه بلين ولطف وبيان قدر وحكمة أن يجلس فيسمع إن رضي كان بها، وإن كره اعتزلوه، فعند ذلك حكَّم سعد بن معاذ رضي الله عنه عقله وبصيرته ورأى أن ما يقوله مصعب رضي الله عنه هو الإنصاف، ولا يرفضه إلا جاهل، فجلس واستمع إليه فأسلم، وما قاده إلى الإسلام إلا حكمته ورجاحة عقله، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾(1).

وهنا نجد أن مصعب بن عمير استخدم مع الحكيم الحكمة فكان لها الأثر القوي في التأثير على المدعو؛ لأنه خاطبه بلغته وعقله وتفاهم معه بحكمته وفضله.

ثالثاً: المدعوون من العوام:

١ . تمهيد:

«المقصود بالعوام هنا هم الناس من غير الملأ، أو ذوي القربى، وهم الغالبية العظمى في أي مجتمع، كما أنهم في الغالب يكونون تابعين للملأ ويباشرون مختلف أنواع المهن والحرف، والعامة خلاف الخاصة»(2).

وقد كان العوام هم أكثر أتباع الرسل، بل هم أول من يتبعهم عليهم السلام، فقد قال قوم نوح من الملأ لنوح: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٨.

(٢) العين، الفراهيدي، باب الثنائي الصحيح، باب العين والميم، ١/٩٥.

إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾(١)، وقال تعالى عن قوم ثمود: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾(٢)، وكذلك كان أتباع الرسول ﷺ أغلبهم من العوام والضعفاء، وذلك عندما سأل هرقل أبا سفيان رضي الله عنه قبل أن يسلم حين قال: أأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم، فذكر هرقل أن أتباع الرسل هم الضعفاء(٣).

ومن أسباب سرعة استجابة العامة للدعوة والدخول في الإسلام هو عدم وجود موانع لديهم كالتي لدى الملأ من الجاه والسلطة، كما أن الكبر نادراً ما يوجد بينهم؛ لعدم وجود مقومات له، ولذلك جعل الله للمتكبر من غير سبب عذاباً عظيماً؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»(٤)، يقول القاضي عياض: «إن سبب هذا الوعيد أن كلاً منهم التزم المعصية المذكورة مع بُعدها منه وعدم ضرورتها إليه، وضعف دواعيها عنده؛ لأن إقدامهم عليها أشبه بالمعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا لحاجة غيرها، فالعائل الفقير قد عدم المال، وإنما سبب

---

(١) سورة هود، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٧٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم ٧، ص٢-٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلع بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رقم ٢٩٦، ص٥٩.

الفخر والخيلاء والتكبر والارتفاع على القرناء الثروة في الدنيا لكونه ظاهراً فيها وحاجة أهلها إليه، فإذا لم يكن عنده أسبابها فلماذا يستكبر ويحتقر غيره؟»[1]، فهذا دليل على أن الكبر لدى العوام ليس له ما يبرره.

وبعدم وجود تلك الموانع نجد أنهم أسهل في الاستجابة للدعوة والتأثير عليهم، كما أنه بين المشركين كان كثير من العوام مستضعفين فتجدهم يجدون في الإسلام ضالتهم من إعطائهم قيمتهم، وفيه عدل ومساواة مع غيرهم، كما أنهم ليس لديهم شيء يخسرونه في الدنيا، فكان قبولهم للحق أسرع من غيرهم، ومن أمثلة ذلك زيد بن حارثة وصهيب وبلال وعمار ﷺ فقد كانوا سباقين للإسلام.

٢ . دور العوام في الدعوة:

للعوام دور كبير في الدعوة للإسلام، فمنهم من ساند الدعوة، ومنهم من كان عقبة في طريقها محارباً لها.

أما مساندة العوام من المشركين للدعوة الإسلامية فهي مساندة سلبية، وهؤلاء هم الذين لم يتعرضوا للمسلمين ولم يؤذوهم، بل حتى لم يعارضوا إسلام أحد من ذويهم، بل تعايشوا معهم، ومن ذلك عندما أسلم أول نفر من الأنصار فقاموا بدعوة قومهم حتى إنه لم يبقَ دار من دور الأنصار إلا وكان فيها مسلمون، مظهرون إسلامهم كما ذكر جابر بن عبدالله ﷺ حيث قال: «فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ص٢٨٨- ٢٨٩.

بإسلامه حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون إسلامهم»[1]، ومن هؤلاء أيضاً النساء اللاتي أسلم أبناؤهن أو أزواجهن أو آباؤهن وبقين معهم يَقُمْنَ بواجبهم وخدمتهم.

أما من حارب الدعوة وكان معادياً لها من عوام المشركين فهم الذين يغرر بهم الملأ ويجعلونهم أداة لتنفيذ مآربهم، كما كان من أشراف أهل الطائف عندما أغروا سفهاءهم وعبيدهم ليسبوا الرسول ﷺ ويصيحوا به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة أبناء ربيعة[2]، ومنهم من قاموا يطوفون ببلال بن رباح ﷺ في شعاب مكة كما ذكر ابن مسعود ﷺ قال: «إنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد»[3].

٣. موانع قبول الدعوة عند العوام:

أ) الخوف.

إن وجود السلطة والقوة لدى الملأ سبب في تخويف العوام منهم ومن بطشهم، وذلك الخوف يمنعهم من مخالفتهم ويثبط هممهم وعزائمهم، فقد منع الجبابرة على مر العصور والأزمنة الناس من أن يؤمنوا بالرسل، وذلك

(١) المسند، أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبدالله الأنصاري، رقم ١٤٥١٠، ٥/٨٥.

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٣٨٣.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب السنة، فضل سلمان وأبي ذر والمقداد، رقم ١٥٠، ص٢٣. حديث حسن (الألباني، التعليقات الحسان، رقم ٧٠٤١، ١٠/١٧٣).

بالضغط وفرض العقوبات عليهم، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾[1]، يقول الشيخ السعدي: «استعملوا قوتهم السبعية في مقابلة الحق فقالوا: إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا أو لنخرجنكم من قريتنا»[2]، وقد عذبت قريش المستضعفين ممن أسلموا فكان ذلك إشارة إلى كل من يفكر في الإسلام من العوام أنه سوف يعذب وقد يهجَّر خارج مكة.

ب) الولاء والعصبية:

العرب تدين بولائهم لقبائلهم وسادتهم ويرون أن خروج أحدهم على قبيلته فيه عار كبير، وأن ولاءهم وتمسكهم بالانتماء لهذه القبيلة فخر وعز لهم، بل إن القبيلة هي العزوة والنصرة والحمية لأفرادها، ولا يقبل أحدهم أن يتبع غير هؤلاء السادة من قبيلته، ولو كانوا على ضلال، يقول الشاعر [3]:

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى	غوايتهم وأنني غير مهتدي
وهل أنا إلا من غزية إن غوت	غويت وإن ترشد غزية أرشد

فيتضح أن الولاء للقبيلة قائم بالانتماء إليها، وأن ضلالهم هدى بالنسبة لأبنائها. وكذلك ما كان من حال بني حنيفة عندما ادعى مسيلمة الكذاب النبوة جاءه طلحة النمري فسأله عن حاله فأخبره أنه يأتيه رجل في ظلمة

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣٣٤.

(٣) هو دريد بن الصمة، (انظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٧٣٧/٢).

فقال: «أشهد أنك كاذب، وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر، فقتل معه يوم عقربا كافراً»[1]، فهذه العصبية والولاء للعشيرة هي من يدفع العوام إلى عدم القبول بالدعوة. ويرى ابن القيم رحمه الله أن سبب بقاء كثير من الخلق على الكفر بين قومهم وأهاليهم وعشائرهم لأنهم يرون أن اتباع الحق ومخالفتهم ستكون سبباً لإبعادهم وطردهم عن قومهم وعن من يحبون، فكان ذلك مانعاً من قبول الحق[2].

جـ) الحاجة والطمع:

النفس البشرية جبلت على حب الدنيا، لذلك كان الناس يتبعون من معه أموال لينالوا نصيباً منها، لذلك كان للتجار من أهل الشرك تأثير قوي على الناس وذلك أنهم يستخدمونه من أجل أن يتبعهم العوام على ما هم عليه من باطل، وخصوصاً أن الأنبياء لم يبعثوا بذهب أو فضة، قال الله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾[4].

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢/١٧٤.
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ١/١٠٠.
(٣) سورة نوح، الآية: ٢١.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

فَدَفْع المشركين الأموال للمحتاجين مقابل عدم دخولهم في الإسلام كان سبباً في منع قبول العوام للإسلام ودخولهم فيه، وكذلك من يعملون لدى المشركين لا يرغبون في أن يخسروا أعمالهم التي يجنون منها المال من أجل أن يتبعوا ديناً جديداً لا يملك من يدعو إليه أموالاً كأموال المشركين. وكذلك طمع بعض الناس في ما عند أقاربهم من مال، وأنهم إن هم أسلموا لم يرثوهم فيقدم حب المال على الإيمان، ويبقى على شركه لكي لا يخسر الإرث.

٤. دعوة الصحابة رضي الله عنهم للعوام:

لقد كان أكثر وأسرع المستجيبين لدعوة الصحابة هم العوام والمستضعفون لأنهم هم الأغلب، وقد كان للصحابة رضي الله عنهم دور كبير في ذلك خصوصاً أن استجابتهم أسهل من غيرهم، لما يجدونه في الإسلام من تقدير واحترام لجميع البشر على السواء دون تفريق بينهم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١).

بل إن دخولهم في بعض الأحيان يكون بالجماعات وليس فرادى، كما كان من دعوة سعد بن معاذ رضي الله عنه لقومه حيث لم يمسِ في دار بني عبدالأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة، فكما كان الولاء مانعاً من موانع قبول العوام للدعوة، فإنه هنا أصبح عاملاً مساعداً لقبول الدعوة. وكذلك في دعوة وافد بني سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة عندما عاد إلى قومه ودعاهم فما أمسى ذلك اليوم ممن حضره إلا كان مسلماً أو مسلمة، فنجد أن سرعة الاستجابة

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وقبول الدعوة بسبب مكانة الداعي وخلو المدعو من الموانع التي تؤثر عليه. فكانت دعوة الصحابة للعوام تعتمد على أمور منها ما يأتي:

١. دعوتهم إلى أمر بدؤوه بأنفسهم.

٢. مخاطبتهم بما يقنعهم دون استخدام مؤثرات كالمال والسلطة مثل ضمام بن ثعلبة ﷺ.

٣. ضرب الأمثال لهم بمن حولهم مثل دعوة عمير بن مرة الجهني ﷺ لقومه.

٤. الاستفادة من ثقتهم في الداعي مثل دعوة سعد بن معاذ ﷺ.

٥. واقع المسلمين المرئي للجميع من تواد وتراحم بينهم.

جميع هذه الأمور والعوامل السابقة كانت سبباً في قبول دعوة الصحابة من المدعوين من العوام ودخولهم للإسلام.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالوسائل والأساليب والموضوعات

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المَبْحَثُ الأَوَّلُ**

  منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين
  من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالوسائل

- **المَبْحَثُ الثَّانِي**

  منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين
  من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالأساليب

- **المَبْحَثُ الثَّالِثُ**

  منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين
  من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالموضوعات

مَدْخَـل:

حَرِصَ الصحابة ﷺ على أن يمارسوا أمور حياتهم وفق ما يستمدونه من تعاليم القرآن الكريم وتوجيهات النبي ﷺ، وخصوصاً أنهم خرجوا في أقوام أهل شرك وعبادة أوثان، تأصلت في قلوبهم وتوارثوها كابراً عن كابر، كما أنهم لم يكن لهم كتاب يقرؤونه مثل أهل الكتاب، ولم يرسل لهم رسول من قبل، قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾[2]، فكانت رسالة الإسلام تحولاً كبيراً في حياتهم، وتغييراً لما ألفوه من أسلافهم. فمن هنا واجه الصحابة حالة جديدة من الدعوة لم يسبقهم إليها أحد من الخلق، ولم تُوضع لها قواعد في الماضي حتى يسيروا وفق تعاليمها، فكان عليهم ﷺ أن يبدؤوا الدعوة بأنفسهم، وأن يُقَعّدوا لها، وينظِّروا للوسائل والأساليب والموضوعات التي يجب أن تُتخذ في القيام بالدعوة ونشرها، وبهذا أصبحوا أنفسهم تطبيقاً لعلم الدعوة العملي، وإن لم يكتبوه، ولكنهم طبقوه عملياً، مما وضع للمتأخرين ممن عملوا في الدعوة مراجع يرجعون لها في دعوتهم وفي مؤلفاتهم. وفي هذا الفصل سوف يكون البحث في الوسائل التي استخدمها الصحابة ﷺ في الدعوة، ثم الأساليب والموضوعات، وتفصيلها على النحو الآتي:

(١) سورة يس، الآية: ٦.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٤٤.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

منهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالوسائل

المطلب الأول: أنواع وسائل الدعوة لدى الصحابة ﷺ وأقسامها

تعددت أنواع الوسائل من خلال تصنيفها من قِبل الباحثين في مجال الدعوة، وارتبطت بالماضي والحاضر، وكل منهم قام بوضع تصنيف مختلف عن الآخر، ومنهم من اقتبس من الآخرين، إلا أن أنواع وسائل الدعوة في عهد الصحابة تختلف عما هو موجود في الوقت الحاضر، ولا ينطبق عليها ما ينطبق الآن على وسائل الدعوة، وإن كانت تتشابه معها في بعض الجزئيات؛ لذلك تم وضع تقسيم يتناسب مع ما قام به الصحابة في وقتهم، وما يتماشى مع طريقة حياتهم وعصرهم، بالاستناد إلى ما ورد من سيرتهم في القيام بالدعوة، فتبين لنا أن وسائل الدعوة في منهج الصحابة خمسة أقسام هي:

١. تعبدية.

٢. كلامية.

٣. اجتماعية.

٤. أخلاقية.

٥. عملية (فعلية).

ولكل نوع من الأنواع السابقة هناك أقسام وتفصيلات تختص بكل قسم سوف يتم الحديث عنها في مجالها.

القسم الأول: الوسائل التعبدية:

«هي تلك الوسائل التي تتخذ عبادة في ذاتها لتبليغ عبادة الدعوة إلى الله»[1]، كقراءة القرآن، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، فكل تلك الممارسات تعدُّ عبادة في ذاتها مع أن أي عمل يعمل بقصد التقرب إلى الله وهو صحيح فهو عبادة، ولقد كان لهذه الأعمال نصيب في دعوة الصحابة رضي الله عنهم للمشركين كالآتي:

أولاً: قراءة القرآن الكريم:

قال ابن قدامة: «من كلام الله تعالى القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات وآيات بينات، وحروف وكلمات، من قرأه وأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه وناسخ

(١) أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، فواز هليل رباح السحيمي، ص١٢٥.

ومنسوخ وخاص وعام وأمر ونهي، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]»[3].

وتعريف ابن قدامة للقرآن يغني عن كثير من الشرح، ومن هنا فالقرآن الكريم عبادة في أصله، ووسيلة للدعوة، فهو عبادة لقوله ﷺ: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»[4]، وقوله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[5]، وهو وسيلة في إيصال الدعوة إلى المشركين، ومن ذلك عندما جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رقَّ له[6]. وهذه دعوة من الرسول ﷺ للوليد بالقرآن، وأيضاً عندما قام إليه عتبة بن ربيعة وعرض عليه أمور الدنيا منها الملك والمال والشرف وغيره، وما كان رد رسول الله ﷺ إلا بقراءة سورة فصلت عليه حتى انتهى ﷺ إلى السجدة منها[7].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٣) لمعة الاعتقاد، ابن قدامة، ص١٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم ١٨٧٤، ص٣٢٥.

(٥) المرجع السابق، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه، رقم ١٨٦٢، ص٣٢٣.

(٦) انظر: دلائل النبوة، البيهقي، ١٤٣/٢.

(٧) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢٧٧/١.

وقد آمن الصحابة ﷺ بالقرآن أنه كلام الله ﷻ المنزل على نبيه ﷺ وأنه لن يكون هناك كلام أبلغ ولا أصدق منه، فجعلوه وسيلة من وسائل إيصال الدعوة في منهجهم ﷺ، فهذا مصعب بن عمير يذهب إلى المدينة ليقرأ القرآن ويعلم الناس به، وقد أسلم ثابت بن قيس ﷺ عندما سمع مصعباً يرتل آيات من الذكر الحكيم فشرح الله صدره للإسلام، وإسلام أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ، ودعوة عمرو بن الجموح ﷺ بسورة يوسف[1]، وكذلك قراءة عمر بن الخطاب ﷺ للصحيفة التي في بيت أخته فاطمة ﷺ وفيها صدر من سورة طه.

فهذه الوسيلة مُنزلة من الله ﷻ، ومن هنا كان تأثيرها واضحاً بيناً لكل من له قلب واع.

خصائص القرآن في دعوة الصحابة ﷺ:

١. كلام حديث لم يعهده المشركون من قبل.

٢. فيه إعجاز لغوي؛ وهم أهل هذه اللغة.

٣. فيه مخاطبة لعقولهم وهدم لمعتقداتهم.

٤. فيه تخويف من عذاب الآخرة وترغيب بالجنة.

٥. فيه أمثال وقصص تجعلهم يعتبرون.

٦. فيه إخبار لهم بما سوف يحصل في المستقبل كهزيمة الفرس في سورة الروم.

٧. يختلف عن كلام البشر ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثله.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١/ ١٩٤.

ثانياً: الأمر بالمعروف:

«المعروف هو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس»[1]، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[3].

فالمعروف وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة التي أمر الله تبارك وتعالى بالعمل بها لما فيها من الدلالة على الخير والإرشاد إليه، وما فيها أيضاً من إبراء لذمة الداعي أمام الله تبارك وتعالى، والأمر بالمعروف هو من أسباب خيرية هذه الأمة، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾؛ فبالأمر بالمعروف ربط الله خير هذه الأمة من بين الأمم، فهو من أسرار فضلها.

يقول ابن عطية الأندلسي: «وهذه الخيرية التي فرضها الله لهذه الأمة إنما يأخذ بحظه منها من عمل هذه الشروط من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، والأمر بالمعروف من صفات الصالحين التي ذكرها الله في كتابه»[4]، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[5]، وقد أرسل الله تبارك وتعالى

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص٥٩٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ١/ ٨٩.
(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١١٣- ١١٤.

أنبياءه بالأمر بالمعروف وهو عبادة الله سبحانه وتوحيده، «وحيث إن بعثة الرسل كانت للأمر بالتوحيد والنهي عن طاعة الطاغوت قرر بعض العلماء أن بعثتهم كانت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن أمرهم بالتوحيد أمر بالمعروف»(1).

وقد بايع أهل العقبة الرسول ﷺ على الأمر بالمعروف، ففي حديث جابر رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: «**تبايعوني على السمع والطاعة، وفي النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن يقولها ولا يُبالي في الله لومة لائم...**»(2).

وتعبد الصحابة لله بالأمر بالمعروف وقاموا به بحثاً عن الأجر والمثوبة من الله تبارك وتعالى، فعن حذيفة بن اليمان قال: «الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم، والزكاة سهم، والحج سهم، وصوم رمضان سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له»(3). وقد جمع الصحابة رضي الله عنهم بين العبادة بالأمر بالمعروف وبين الوسيلة، فهذا أبو ذر رضي الله عنه يدعو حويطباً ويقول له: فاتك خير كثير وبقي خير كثير، فأتِ رسول الله ﷺ فأسلم.

(1) الحسبة، فضل إلهي، ص٢٣.

(2) صحيح ابن حبان، المجلد السادس، الجزء الثامن، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، رقم ٦٢٨٣، ص٤٥- ٤٦. حديث صحيح. (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الأول، القسم الأول، رقم ٦٣، ص١٣٣).

(3) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، كتاب الجهاد، ما قالوا في الغزو واجب هو، رقم ١٩٥٦١ ص٢٣.

وهذا علي بن أبي طالب ﷺ يدعو عمرو بن عبد ود ويأمره بالمعروف، ويقول له: أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتسلم لرب العالمين. وهذا مصعب بن عمير يقول لأمه: يا أمَّه، إني لك ناصح عليك شفيق فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

وأمثال هذه الشواهد كثير من الأمر بالمعروف الذي اتخذه الصحابة ﷺ وسيلة للدعوة إلى الله.

خصائص الأمر بالمعروف في دعوة الصحابة ﷺ:

١. أول المعروف هو توحيد الله بالعبادة.

٢. يدعو إلى مكارم الأخلاق التي تدعو لها العرب.

٣. عدم وجود مصلحة شخصية للداعي.

٤. فيه إبراز لمحاسن الإسلام وفضائله عن غيره.

٥. فيه تلطف ولين من قِبل الصحابة تجاه المدعوين.

٦. هو أمر بما هو مستطاع ويقدر عليه البشر.

ثالثاً: النهي عن المنكر:

ارتبط النهي عن المنكر بالأمر بالمعروف، فأصبحا متلازمين مع اختلافهما، «وإذا كان الأمر بالمعروف هو كل ما أمر الله به عباده أو رسوله ﷺ فإن النهي عن المنكر هو كل ما نهى الله عنه عباده أو رسوله، وهو نهي عن عبادة الأوثان

والشياطين»[1]، فالأمر بالمعروف نهي عن المنكر ضمناً، والنهي عن المنكر أمر بالمعروف ضمناً، إلا أنهما في التطبيق مختلفان، «فالنهي هو خلاف الأمر»[2].

وقد نهى الرسول ﷺ عن المنكر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[3]. وليس هناك منكرٌ أكبر من عبادة الأوثان وإشراكها بالعبادة مع الله عز وجل. وقد كان إنكار المنكر لدى الصحابة رضي الله عنهم حاملاً للدعوة وموصلاً لها للمدعوين، فأنكروا عبادة الأوثان والممارسات الخاطئة والمخالفة للشريعة الإسلامية التي أُنزلت من عند الله، وكل ذلك خوفاً من عقاب الله أولاً، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ**﴾[4]، وقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم**»[5]، ثم رجاء الثواب والمغفرة ثانياً، عن أبي ذر رضي الله عنه أن أناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور؛

(١) جامع البيان، الطبري، ٦/١٤١ (بتصرف).
(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: نهي، ١٥/٣٤٣.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم ٧٨، ص٤٢.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.
(٥) جامع الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم ٢١٦٩، ص٤٩٨. حديث حسن (الألباني، الجامع الصحيح، رقم ٧٠٧٠، ٢/١١٨٩).

يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: **«أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة...»**[1].

ومن هنا لم يقبل صحابة رسول الله ﷺ بالمنكر، بل أنكروه كل قدر استطاعته، فمنهم من أنكره باليد كمعاذ بن جبل ومعاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه، ومعهم فتيان من قومهم، وذلك عندما أخذوا صنم عمرو بن الجموح وألقوه في حفرة لبني سلمة التي فيها عذر الناس، وما فعله عبدالله بن رواحة رضي الله عنه من تكسير صنم أبي الدرداء. ومنهم من أنكر بلسانه، إما على أشخاص كقول أبي بكر لعثمان بن عفان رضي الله عنهما: «ما هذه الأوثان التي يعبدها قومنا؟ أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع؟»، أو أنكر على قومه عامة كضمام بن ثعلبة رضي الله عنه عندما أتى قومه فكان أول ما قال لهم: «بئست اللات والعزى»، ودعوة عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه لقومه عندما أنكر عليهم تحية الجاهلية ولم يقدم على صنمهم فآذوه وقتلوه.

أما الإنكار بالقلب فقد كان جميع الصحابة رضي الله عنهم منكرين بالقلب بلا شك؛ لأن ذلك أضعف الإيمان.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم ٢٣٢٩، ص٤٠٦.

خصائص النهي عن المنكر في دعوة الصحابة ﷺ:

١. أول المنكر هو الشرك وعبادة الأوثان.

٢. فيه نهي عن الأخلاق السيئة.

٣. فيه نهي عن ما يضر الإنسان كأكل الميتة والدم والربا.

٤. ينهى الصحابة المشركين عما نهوا أنفسهم عنه.

٥. عدم التهاون في المنكر من أجل تبليغ الدعوة.

رابعاً: الجهاد:

«الجِهاد هو اسْتِفْرَاغُ الوسع في مُدافَعَة العدو»[1]، «وهو الدعاء إلى الدين الحق»[2]، وهو ذروة سنام هذا الدين، كما في حديث معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟**» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد...**»[3]. وقد أمر الله الرسول بالجهاد بعد الهجرة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[4]، وأثابهم عليه بالمغفرة والرحمة.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، كتاب الجيم، ص١٠١.

(٢) كتاب التعريفات، الجرجاني، ص٨٤.

(٣) جامع الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم ٢٦١٦، ص٥٩٥. حديث صحيح (الألباني، صحيح الجامع، رقم ٥١٣٦، ص٩١٣).

(٤) سورة النحل، الآية: ١١٠.

وقد كان الجهاد ولا يزال لإعلاء كلمة الله، وفيه عز للإسلام والمسلمين، وردع للشرك والمشركين، ولولا الجهاد لظهرت الفتن وانتشر الفساد؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[1]، ويقول شيخ الإسلام: «إن الجهاد هو القدرة في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق»[2]، فمحبوب الحق هو الإيمان والتوحيد، وما يكرهه الحق هو الكفر، فكان الجهاد قتال الكفر لحصول التوحيد؛ لذلك كان من أسباب التمكين في الأرض وإذلال الشيطان وأعوانه، وفي الحديث: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[3].

ولأن الجهاد فُرض لإزالة العوائق التي تقف أمام نشر الإسلام فقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على ذلك؛ لأنه عبادة وأجره عظيم وعز ونصر للإسلام، فقد أرسل الرسول ﷺ في حياته ثمانٍ وثلاثين بين بعثة وسرية[4] كلها لأداء مهمات جهادية، منها سرية زيد بن حارثة إلى القردة[5] حين أصاب عير قريش وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله ﷺ[6]، وكذلك بعثة عبدالله

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.
(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٠/١٩٣.
(٣) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم ٢٥٠٤، ص٣٦٢. حديث صحيح (الألباني، المشكاة، رقم ٣٨٢١، ٢/١١٢٤).
(٤) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٥١٣.
(٥) القردة: ذو القردة: من أرض نجد، وقيل: ماء، وقيل: هو موضع بين المدينة والشام. (انظر: معجم البلدان، الحموي، ٤/٢٤٨).
(٦) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٤٦.

بن جحش ﷺ إلى نخلة[1][2]، وقد جاهد صرد بن عبدالله الأزدي ﷺ ما يليه من القبائل من أهل الشرك فقاتل أهل جرش[3] حتى أسلموا[4].

وبعد وفاة رسول الله ﷺ استمر الصحابة ﷺ بالجهاد في نشر الإسلام ومجاهدة من ارتد حتى يفيئوا إلى أمر الله، فسير أبو بكر الصديق الجيوش إلى العراق والشام وإلى القبائل في جزيرة العرب، ومن بعده الخلفاء الراشدون جميعاً، ومَن بعدهم، وكان الصحابة ﷺ في طليعة تلك الجيوش المجاهدة، وكل ذلك لنقل الإسلام وإيصاله إلى العالم بهذه الوسيلة، وتبليغ الرسالة التي أمرهم الله بها، واقتداءً بسنة الرسول ﷺ.

خصائص الجهاد في دعوة الصحابة ﷺ.

١. فيه تقديم للآخرة على الدنيا.
٢. بيان أن أهمية نشر الإسلام مقدمة على النفس والمال.
٣. فيه إظهار عزة الإسلام وقوته.
٤. فيه بيان للمدعوين أن الآخرة هي الباقية.
٥. هو سبب لحث تفكير المدعو بالقوة.

---

(١) نخلة: وادٍ في الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين، وتسمى النخلة اليمانية، وهي كثيرة النخل، وأسفلها بستان ابن عامر. (انظر: معجم البلدان، الحموي، ٥/٢٧٨).
(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٥٣٣.
(٣) جرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة. (انظر: معجم البلدان، الحموي، ٢/١٢٦).
(٤) انظر: سيرة ابن هشام، ١/٤٩٥- ٤٩٦.

القسم الثاني: الوسائل الكلامية (اللفظية):

يُقال: «إن الكلام هو طريق التعبير اللفظي سواء بالنطق أو الكتابة، ويعتبر أكثر رقياً من الحركة في التعبير، وهو وظيفة مكتسبة لها أساس حسي وآخر حركي، والتوافق بينهما يخرج الكلام سوياً»(١)، والكلام هو أكثر وسائل الاتصال شيوعاً، ومن أقواها تأثيراً، ومتى ما أجاد الداعية فن الكلام كان أقدر على التأثير على المدعوين. فالدعوة بحاجة إلى تعبير لفظي بليغ فصيح تصل به إلى المدعو؛ ليستطيع فهمها وإدراك مقاصدها، وبما أن الكلام هو وسيلة اتصال بين البشر، فإن له دوراً أساسياً وفعالاً في إيصال دعوة الصحابة إلى المشركين. والكلام له أشكال عدة نتجت من وظيفة الكلام، كالمخاطبة والشعر وكتابة الرسائل واللغة وغيرها. وهنا سوف تتبين لنا هذه الوسائل الأربع، وتتضح كيفية استخدام الصحابة لها، ونتائجها على الدعوة.

أولاً: المخاطبة (المشافهة):

«المخاطبة أو المشافهة هي مباشرة بين شخصين أو أكثر، والمشافهة هي المخاطبة من فيك إلى فيه»(٢)، أي ما يخرج من الفم من كلام، وقد وجدت أن المشافهة لا تعدو أن تكون أحد نوعين هما الخطاب أو الحوار، فهما ما يعبر عنه بالمخاطبة أو المشافهة؛ لأنهما يدوران بين متحدث ومستمع مباشرة دون وسيط، وبهذا تكون هذه الوسيلة تنقسم إلى قسمين هما:

---

(١) المعجم التربوي وعلم النفس، نايف القيسي، ص٣٤١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: شفه، ١٣/٥٠٧.

أ) **الخطابة:** «وهي الكلام الذي يلقى في جمهور الناس للاقتناع والتأثير»[1]، ولون من ألوان النثر في الأدب العربي، وهي «أقدم قنوات الاتصال مع الآخرين، وكما عرفتها كل الأمم والشعوب عرفها العرب قبل الإسلام وعقدوا لها أسواقاً كسوق عكاظ. ولما جاء الإسلام وسع أفق الخطابة ونوع أغراضها وحولها من أداة تفاخر بين القبائل إلى وسيلة هداية إلى الله تعالى»[2]، «وهي فن من فنون الكلام غايته إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيهم بصواب قضية أو خطأ أخرى»[3]، ولما فيها من إقناع واستمالة وتأثير فإن لها دوراً فعّالاً في إيصال الدعوة إلى المدعوين وتغذية عقولهم بالإسلام، خصوصاً إذا كانت الخطابة ذات هدف نبيل وغاية سليمة كالدعوة إلى الإسلام، وقد دعا الرسول ﷺ أول ما دعا قومه بخطبة على الصفا، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال: «**يا صباحاه**» فاجتمعت إليه قريش، قالوا: مالك؟ قال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقونني؟**» قالوا: بلى، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[4].

وقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على استخدام هذه الوسيلة من وسائل الدعوة اقتداء بالرسول ﷺ، فقد خطب سعد بن معاذ في قومه عندما أسلم ودعاهم إلى الإسلام

(١) الأسلوب، أحمد الشايب، ص١١٦.

(٢) منهجية علم الدعوة، محمد قاسم الشوم، ص١٤٨.

(٣) فن التحرير العربي، محمد صالح الشنطي، ص٢٢٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة سبأ، باب ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، رقم ٤٨٠١، ص٨٤٥.

فأسلموا، وهذا ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه يقدم على قومه فيقول لهم: إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره[1] رجل ولا امرأة إلا مسلماً؛ فقد أثر عليهم رضي الله عنه بخطبته واستمالهم إلى الحق، وأقنعهم به، فأدى بذلك إلى نتيجة إيجابية وهي إسلامهم جميعاً رضي الله عنه وعنهم.

ومن ذلك أيضاً خطبة عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه في قومه عندما أتاهم من عند رسول الله ﷺ فقال لهم: يا بني رفاعة ثم يا بني جهينة، إني رسول رسول الله إليكم أدعوكم إلى الجنة وأحذركم من النار وآمركم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله ورفض الأصنام وحج البيت وصيام شهر رمضان، شهر من اثني عشر شهراً، فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار، يا معشر جهينة: إن الله – وله الحمد – جعلكم خيار من أنتم منه، وبغَّض إليكم في جاهليتكم ما حبَّب إلى غيركم من الرفث، إنهم كانوا يجمعون بين الأختين، ويخلف الرجل منهم على امرأة أبيه، والتراث[2] في الشهر الحرام، فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي ابن غالب تنالوا شرف الدنيا وكبير الأجر في الآخرة، فسارعوا في ذلك تكن لكم فضيلة عند الله[3].

(١) الحاضر: هو الحيُّ.

(٢) عند ابن عساكر «والغزاة».

(٣) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص٤٣.

فبعد أن عرض عليهم الحجج العقلية والبراهين المنطقية في أول خطبته أثار وجدانهم وعاطفتهم بالثناء عليهم ومدحهم، وذكر لهم صفاتهم وشيمهم في وسطها، وبعد أن أثر فيهم بخطبته دعاهم إلى الإسلام فأسلموا وتبعوه.

ب) **الحوار**: «هو اصطلاح يدل على مشاركة المتحدثين في الكلام»[(١)]، «وهو المرادّة في الكلام، ومنه التحاور»[(٢)]، يقول الدكتور محمد بشر حداد: «إن الحوار في الثقافة العربية الإسلامية هو المراجعة في الكلام، والتجاوب بين المتحاورين بما يقتضي من رجاحة عقل، وسعة صدر، واتساع أفق منبثق من يقين، وثبات، وتعامل راق متحضر»[(٣)]، فالحوار هو حديث شفهي يحصل بين طرفين أو أكثر يستمع كل منهم للآخر بهدوء وتركيز لعرض أفكارهم للوصول إلى نتيجة، ومنه يعرف الدكتور عبدالله المجلي الحوار: «أنه نقاش هادئ من أجل الوصول إلى رأي موحد أو متقارب حول موضوع معين»[(٤)]، وقد ذكر الله ﷻ كلمة الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾[(٧)].

(١) فن الخطابة والإلقاء، أنطوان وحيد نعيم، ص٢١٠.
(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، كتاب الحاء، ص١٣٥.
(٣) الدعوة والإصلاح، محمد بشير حداد، ص٢٩٤.
(٤) المصطلحات الدعوية، عبدالله بن محمد المجلي، ص٣٤.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٣٤.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٣٧.
(٧) سورة المجادلة، الآية: ١.

وقد قال بعضهم: إن الحوار هو الجدل، ومن هؤلاء الحافظ ابن كثير في تفسيره لسورة الكهف، قال: «يحاوره، أي: يجادله»[1]، ويقول الشيخ صالح بن حميد: «إن الحوار والجدال ذو دلالة واحدة»[2]، ويذكر الشيخ سعد الشثري «أن الحوار عند العلماء المتقدمين يسمونه الجدال ويستدلون عليه بقوله جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾»[3].

ومن هذه الآية تبين صلة لفظ المجادلة بلفظ الحوار، وقد تكون المجادلة درجة من درجات الحوار، وبذلك تكون من الأساليب التي تستخدم في الحوار، ومن هذا كان للحوار دور في إيصال دعوة الصحابة، بل كان هو الغالب في فترة بداية الإسلام في الفترة المكية، ومن ذلك الحوارات التي كان يقوم بها أبو بكر الصديق ليدعو الناس للإسلام، مما تسبب في إسلام السابقين للإسلام مثل: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبي عبيدة بن الجراح، وأبي سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأخويه عبدالله، وقدامة، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وغيرهم كثير رضي الله عنهم، وكل ذلك بالحوار والمجادلة الحسنة، وذلك أنه كان رضي الله عنه رجلاً مألوفاً لقومه ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، فجعل رضي الله عنه

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٩/١٣٦.
(٢) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبدالله بن حميد، ص٦.
(٣) أدب الحوار، سعد بن ناصر الشثري، ص٩.

يدعو إلى الإسلام من وثق به ممن يغشاه ويجلس إليه[1]. ومن المعلوم أن مثل هذه المجالس لا يدور فيها إلا الحوار كما حصل بينه وبين عثمان بن عفان وأيضاً ما حصل بينه وبين طلحة بن عبيد الله ﷺ أجمعين، حيث أثر في عقولهم بالحجة واستمال أنفسهم بالخلق فاقتنعوا واهتدوا.

ومن الدعوة بالحوار أيضاً ما قامت به أم سليم رضي الله عنها عندما أراد أبو طلحة أن يتزوجها فقالت: يا أبا طلحة، ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد خشبة تنبت من الأرض نجرها حبشي بني فلان، قال: بلى، قالت: أفلا تستحي أن تعبد خشبة، إن أنت أسلمت لم أرد منك من الصداق غيره.

فكم أسهمت المخاطبة في دعوة الصحابة في نشر الدين؛ لما كان لها من أثر في نفوس المدعوين؛ لأنها نابعة من إخلاص وصدق مع الله فصدقهم الله فكان حوارهم حوار خير وبركة، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[2].

خصائص المخاطبة في دعوة الصحابة رضي الله عنهم:

١. الحديث المباشر بين الصحابي والمدعو.

٢. إحساس الداعي والمدعو بانفعالات الآخر وتفاعلاته.

٣. قبول المدعو للمخاطبة والمشافهة هو بداية تقبل واستماع الدعوة.

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٢٣٩-٢٤٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٤.

٤. سهولة التجاوب بين المتحاورين.

٥. في المخاطبة إمكانية دعوة مجموعة من المشركين في وقت واحد.

ثانياً: الشعر:

«الشعر هو اسم للموزون المقفى من الكلام»[١]، ويصف الناشي أبو العباس الشعر بقوله: «قيد الكلام، وعقال الأدب، وسور البلاغة، ومحل البراعة، ومجال الجنان، ومسرح البيان، وذريعة المتوسل، ووسيلة المتوصل، وذمام الغريب، وحرمة الأديب، وعصمة الهارب، وعذر الراهب، وفرحة المتمثل، وحاكم الإعراب، وشاهد الصواب»[٢]. والشعر وسيلة كلامية، استخدمها العرب منذ القدم للتواصل والاتصال وإذاعة الأخبار وتوثيقها، فأصبح كالسجل لهم يدون أحوالهم وأفعالهم ومفاخرهم وأيامهم، ويبين مجدهم وشرفهم، فكان من ذلك شهرة الشعراء وإذاعة صيتهم بين العرب حتى حرصت كل قبيلة على إبراز شعرائها في المحافل والأسواق التي كانت تقام بين العرب في الجاهلية كسوق عكاظ، فكانوا منابر إعلامية لأقوامهم، يفتخرون بهم ويذكرون مناقبهم أمام الناس، وللشعر تأثير قوي في نفوس العرب في الجاهلية، فبالقصائد ترفع الأحساب وتخفض، وتؤرخ أيامهم وتوضح مناقبهم ومثالبهم.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، كتاب الشين، ص٢٦٢.

(٢) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، ٥/٢١٨- ٢١٩.

والشعر ليس بالهين، فليس كل أحد يستطيع أن يصبح شاعراً، يقول الأصمعي: «الشعر ما قل لفظه ودق معناه ولطف، الذي إذا سمعته ظننت أنك تناله، فإذا حاولته وجدته بعيداً»[1].

لقد كان في الصحابة عدة شعراء يدافعون عن الإسلام وعن النبي ﷺ، منهم: حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، وعبدالله بن جحش، وأخوه عبيد وغيرهم[2]، فكانوا مجاهدين بألسنتهم مع أسنتهم، ومع قلة عدد الشعراء المسلمين مقارنة بالمشركين إلا أنهم ﷺ دافعوا عن الإسلام دفاع الأقوياء ورفعوا أصواتهم بنصرة الدين حتى بلغت أشعارهم جميع العرب في ذلك الوقت، فكانوا دعاية للإسلام ودعوة له. وقد حوربت دعوتهم بالمثل من قِبل المشركين فكانوا يجندون شعراء للرد والتشويه على الإسلام، وقد ذكر الله ﷻ حال شعراء المشركين وشعراء المؤمنين في سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[3]، ويذكر الحاكم في "المستدرك": أن أبا الحسن مولى بني نوفل قال: إن عبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت أتيا رسول الله ﷺ حين نزلت: ﴿طسٓمٓ﴾ الشعراء يبكيان وهو

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضيل العلوي، ص١٠.

(٢) انظر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، محمود حسن زيني، ص٥٥.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤-٢٢٧.

يقرأ عليهم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ حتى بلغ ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال: «أنتم»، ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ قال: «أنتم»، ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ قال: «أنتم»(١)، ففي هذه الآيات وهذا الحديث ذكر لمناقب وفضل شعراء الصحابة ومن هم على شاكلتهم بشعرهم، فقد كان الرسول ﷺ يستعين بهم في الرد على المشركين والمفاخرة بالإسلام.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «**إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله**»(٢)، وقد أرسل حسان بن ثابت قصيدة لعبدالله بن الزبعرى قبل أن يسلم وذلك بعد أن هرب إلى نجران عندما فتح الرسول ﷺ مكة ولجأ إلى حصن فيها فقال حسان:

لا تعدمن رجلاً أحلك بغضه ... نجـــران في عيش أحـــذَّ لئيم
بليت قناتك في الحروب فألفيت ... خمانـــةً جوفـــاء ذات وصوم
غضب الإلـــه على الزبعرى وابنه ... وعذاب سوء في الحياة مقيم

فلما جاء ابن الزبعرى شعر حسان تنبه إلى حاله ونفسه ثم جاء إلى الرسول ﷺ وأعلن إسلامه(٣).

وقد أصبح الشعر الإسلامي في عهد الصحابة وسيلة للتعريف بالإسلام في ذلك الوقت؛ فقصيدة عبدالله بن رواحة رضي الله عنه فيها عقيدة وتوحيد خالص لله

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، رقم ٦١٦٦، ٤/٢٠٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، رقم ٢٤٩٠، ص١٠٩٥.

(٣) انظر: المغازي، الواقدي، ص٥٦٩- ٥٧٠.

سبحانه يقول فيها[1]:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسومينا

وغير ابن رواحة شعراء كُثر أصبحت قصائدهم تتناقلها الركبان في ذلك الوقت، منهم كعب بن زهير ﷺ وقصيدته التي مدح الرسول ﷺ فيها، ومنهم كعب بن مالك ﷺ وقصائده التي يفتخر بالإسلام فيها ويمدح الرسول ﷺ وغيرهم.

ثالثاً: كتابة الرسائل:

«الرسالة هي ما يرسل، وهي الخطاب وكتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوع واحد»[2]، وتستخدم الرسائل للتواصل بين طرفين لإيصال فكرة معينة وذلك لبعد المكان أو للرغبة في عدم المواجهة، وقد تكون هذه الرسالة مكتوبة أو شفهية، يقوم بنقلها الرسول إلى من أرسلت إليه.

ومن هنا فإن عملية إرسال الرسائل يجب أن تتكون من مرسل وموضوع ووسيلة ومستقبل، والرسائل هي الوسيلة التي تحمل الموضوع وتوصله إلى المستقبل.

كان للرسالة أهمية كبيرة وفائدة عظيمة في التواصل بين الشعوب والممالك في القديم، وما زال ذلك وإن اختلفت الكيفية والطريقة مع تطور حياة الإنسان ودخول التقنية.

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ١/١٣٧.
(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، باب الراء، ص٣٤٤.

وقد ذكر القرآن الكريم رسالة سليمان بن داود عليهما السلام إلى سبأ، قال تعالى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾[١].

ولاشك أن للكتب والرسائل أهمية كبرى في نشر الدعوة الإسلامية في بداية نشر الإسلام، وهي تعد من أهم الوسائل الدعوية في ذلك الوقت، وسبباً من أسباب التوصيل الجيد للدعوة؛ حيث تدخل في نفس المدعو بهدوء ودون قيد، وقد استعمل النبي ﷺ هذه الوسيلة استعمالاً واسعاً، فراسل الملوك مثل كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي، وأرسل إلى أمراء العرب كالمنذر بن ساوى صاحب البحرين، وجيفر وعبد ابني الجلندى صاحبي عمان، وإلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وإلى حارث بن شمر الغساني[٢]، وإلى غيرهم، وبذلك كان الرسول ﷺ أول من أنشأ ديوان الرسائل بالطريقة العملية حتى وإن لم يكن جهازاً رسمياً، فكان لديه ﷺ مترجمون كزيد بن ثابت رضي الله عنه، حيث أمره الرسول ﷺ بتعلم خط اليهود ليقرأ له كتبهم[٣]، وكأبي بن كعب، وعبدالله بن الأرقم وغيرهم، كما كان له ﷺ رسل كدحية الكلبي، والعلاء بن الحضرمي، وعبدالله بن حذافة السهمي.

(١) سورة النمل، الآيات: ٢٨-٣١.

(٢) انظر: السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، ص٣٩٣، ٤١٦، ٤١٧.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٧٣٨/٢.

وقد نهج الصحابة ﷺ هذا النهج عن رسول الله ﷺ باستخدام هذه الوسيلة في دعوة المشركين، فقد أرسل الوليد بن الوليد رسالة إلى أخيه خالد بن الوليد يدعوه إلى الإسلام وإلى القدوم إلى رسول الله ﷺ.

وقد أرسل خالد بن الوليد ﷺ كتباً إلى رستم ومهران وملأ فارس وإلى مرازبة أهل فارس وإلى هرمز صاحب الثغر. وكذلك ما ذكره الطبري من رسائل أبي بكر الصديق ﷺ إلى من ارتد عن الإسلام من قبائل العرب والتي أرسلها لهم مع قادة الجيوش[1].

وقد كان لهذه الرسائل أثر قوي في تأثر البعض ودعوته للإسلام؛ لأنها كانت تحمل تذكيراً وترغيباً ووعيداً، فمن لم يتأثر بالذكر فبالترغيب وإلا كان للوعيد تأثير عليه.

خصائص الرسائل في دعوة الصحابة ﷺ للمشركين:

١. وجود العقيدة الصافية والتوحيد الخالص.

٢. وحدة مواضيعها وهي الدعوة إلى الإسلام أولاً.

٣. اشتمالها على الترغيب والترهيب والوعيد.

٤. كونها لا تدعو إلى مصالح خاصة وأهداف دنيوية.

٥. كونها تخاطب فطرة المدعوين.

٦. اشتمالها على عزة الإسلام وأهله.

٧. كونها تخاطب واقع المدعو وحياته الحالية.

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/٢٥٨.

رابعاً: الترجمة ومعرفة اللغات:

اللغة هي أداة تواصل بين المجتمع الواحد أو الأمة الواحدة، وبها يتم توصيل الرغبات والاحتياجات والمعاني بين أفراد هذا المجتمع، يقول الدكتور سمير حجازي: «إنها مرآة الشعب، ومستودع تراثه، وديوان أدبه، وسبل مطامحه وأحلامه، ومفتاح أفكاره وعواطفه، ورمز كيانه الروحي، وعنوان تقدمه، وخزان عاداته وتقاليده، ومظهر حضارة المجتمع»[1].

وبقدر ما كان للغة من فضل في التواصل داخل الأمة الواحدة إلا أنها أيضاً عائق في تواصل الأمم المختلفة بعضها ببعض؛ الأمر الذي أدى إلى الاستعانة بالمترجمين ممن يعرفون لغات القوم فيكونون هم أداة الوصل بين أمة وأخرى، وقد اهتم ملوك وقادة الأمم السابقة واللاحقة بالمترجمين لمعرفتهم بلغة الأمم الأخرى، وليستطيعوا التواصل معهم، وقد كان عند كل ملك ترجمان. ويتبين لنا ذلك مما ورد في كتب التاريخ والسير من وجود ترجمان لدى قيصر عندما أتاه كتاب رسول الله ﷺ، ووجود مترجم لدى كسرى[2]، كما أن المقوقس أحضر مترجماً عندما أرسل إلى حاطب بن بلتعة ليلاً[3].

كما أن رسول الله ﷺ قد أمر زيد بن ثابت بتعلم اليهودية كما ذكرنا سابقاً حتى يعرف لغة القوم ويترجم له ويكتب له بلغتهم؛ لإبلاغهم بالإسلام، وذكر

(١) معجم المصطلحات الحديثة، سمير سعيد حجازي، ص٢٤٢.

(٢) انظر: دلائل النبوة، البيهقي، ٤/٢٩٠، ٢٩٨.

(٣) انظر: فتوح مصر والمغرب، ابن عبدالحكم، ص٦٧.

المسعودي أنه كان يترجم للرسول ﷺ بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن.

ولولا أهمية اللغة في التواصل وإيصال المعلومات والدعوة إلى الله ﷻ لما اهتم الرسول ﷺ بهذا الجانب، إلا أنه يعلم ما له من تأثير وقوة في مجال الدعوة إلى الله ﷻ. وقد سلك هذا المسلك صحابة رسول الله ﷺ في الاستفادة من لغة المدعوين، وإن كان أكثر المدعوين من المشركين هم عرب في الأصل، فلغتهم هي نفس لغة الصحابة، إلا أنه تم الاستفادة ممن لديه لغة من لغات الأمم الأخرى في الدعوة، ومن أمثلة ذلك ما حصل من سلمان الفارسي رضي الله عنه فيما ذكره الترمذي أن جيشاً من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسي حاصروا قصراً من قصور فارس، فقالوا: يا أبا عبدالله، ألا ننهد إليهم، قال: دعوني أدعهم كما سمعت رسول الله ﷺ فأتاهم سلمان فقال لهم: إنما أنا رجل منكم فارسي ترون العرب يطيعونني فإن أسلمتم فلكم مثل الذي لنا، وعليكم مثل الذي علينا، وإن أبيتم إلا دينكم تركناكم عليه وأعطونا الجزية وأنتم صاغرون، قال: ورطن إليهم بالفارسية وأنتم غير محمودين، وإن أبيتم نابذناكم على سواء[1]، وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس[2].

فعلم الصحابة رضي الله عنهم أن دعوة الناس بلغتهم هي وسيلة لها تأثيرها في استجابة المدعوين؛ وذلك لكون التواصل بين المدعو والداعية مباشراً ويتم من خلاله

(١) جامع الترمذي، أبواب السير، باب ما جاء في الدعوة قبل القتال، رقم ١٥٤٨، ص٣٧٥.

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/٤٦٣.

نقل الأحاسيس والمشاعر مع الكلمات، وفيه إيصال سهل لمقاصد الدعوة وتعاليمها، وكسر حاجز اللغة بين الداعية والمدعو سبيلٌ لإيصال المعلومة وقبولها من الطرف الآخر.

من خصائص اللغة في دعوة الصحابة رضي الله عنهم:

١. سهولة إيصال المعلومة للمتلقي.

٢. كسر حاجز اللغة بين الصحابة والمشركين من غير العرب.

٣. عدم التحفظ لدى المدعو لعدم وجود مترجم.

٤. شعور المدعو بقيمته عندما يدعى بلغته.

٥. عدم حاجة المدعو إلى تعلم اللغة العربية لمعرفة الإسلام.

٦. داعية واحد يعرف لغة المدعوين كافٍ لأن يدعو مجتمعاً بأكمله.

القسم الثالث: الوسائل الاجتماعية:

«إذا كان المجتمع هو ذلك الإطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون داخل نطاقه في هيئة وحدات أو جماعات»[1]، فإن العلاقات هي ما يحدد طريقة التعامل بين أفراد هذا المجتمع بناءً على ما يملكه كل فرد في هذا المجتمع من ميزات سواء كانت هذه الميزات مالية أو فكرية أو دينية أو قرابة أو حتى قوة وشجاعة، وهذه الميزات يستطيع كل فرد أن يوظفها

(١) معجم علم الاجتماع، عدنان أبو مصلح، حرف الميم، ص٤١٨.

للوصول إلى ما يعتقد به، فكان للصحابة ﷺ ميزات اجتماعية كل في مجتمعه سواء كبر أم صغر ذلك المجتمع، وقد جاهدوا في إيصال هذا الدين إلى محيطهم بواسطة ما لديهم من الميزات، حيث كانت هي الوسيلة التي استخدموها لدعوة هذه المجتمعات، ولتكون هي الحامل الموصل إلى المدعوين، وقد تم تقسيم هذه الوسائل الاجتماعية إلى الآتي:

أ) وسيلة القرابة.

ب) وسيلة المكانة في القوم.

جـ) وسيلة الاعتماد على القبيلة أو العشيرة.

وسيتم شرح كل وسيلة على حدة وما يوافقها من دعوة الصحابة ﷺ.

أولاً: وسيلة القرابة:

إن ذوي القربى هم من يتصلون ببعض برابط الدم والنسب القريب، وهو تنظيم اجتماعي صغير داخل المجتمع، وقد تسمى بمصطلح آخر: العائلة، وإن كانت العائلة عند البعض هي الزوج والزوجة والأطفال[1] إلا أنها في المجتمع العربي وحسب العرف هي أكبر من ذلك.

---

(١) انظر: معجم علم الاجتماع، عدنان أبو مصلح، حرف العين، ص٣٢٣.

والقربى هم العشيرة؛ وذلك لحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «**لما نزلت هذه الآية:** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] **قال: جمع النبي ﷺ من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا...**»[2]، وفي هذا دليل على أن العشيرة الأقربين هم أهل البيت، وأنهم يتجاوزون الزوجة والأولاد إلى ما وراءهم، ودعوة الأقارب لها تأثير قوي؛ فقد دعا الرسول ﷺ أول ما دعا زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، كما دعا عمه أبا طالب إلا أنه لم يستجب له، وكان لعامل القرابة دور في هذه الدعوة.

وقد استخدم هذه الوسيلة أكثر الصحابة ممن وصلتنا أخبارهم، أو من لم تصلنا، إلا أن أهل بيتهم قد أسلموا، فهذا دليل أن للقرابة دوراً في إيصال الدعوة إلى داخل بيوتهم.

ومن هؤلاء الصحابة الذين جعلوا من القرابة وسيلة للدعوة دعوة أم حكيم رضي الله عنها لزوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فكانت تبدؤه بقولها: "يا ابن عم"[3]، وهذا فيه تذكير بمدى القرابة بينهما لكي يستمع لقولها. وأيضاً دعوة الطفيل بن عمر لأبيه وزوجته في أول من دعا، وقد أسلما من أول دعوته لهما لأنه أول ما قال لهما: "لست منك ولست مني"، وهذا فيه إشارة إلى أن بقاء القرابة لن يكون إلا بالإسلام وقبول

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٢) انظر الحديث في المسند، الإمام أحمد، مسند علي بن أبي طالب، رقم ٨٨٣، ١/٣٢٤.

(٣) قولها «يا ابن عم» لأنها أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله، وعكرمة هو ابن عمر بن هشام بن المغيرة بن عبدالله، فهو ابن عم لها وزوجها. (انظر: الاستيعاب، ابن عبدالبر، ص٥٢٤، ٩٢٨).

الدعوة. ومن الدلائل أيضاً على استخدام القرابة كوسيلة للدعوة دعوة طليب بن عمير ﷺ لأمه أروى بنت عبدالمطلب عندما ذكر لها أنه أسلم، وزيادة في الترغيب يذكرها أن أخاها حمزة بن عبدالمطلب أسلم أيضاً.

فكان لهذه الوسيلة تأثير مباشر؛ وذلك أن الأقرباء بعضهم يثق في بعض إلا ما ندر أمثال أبي لهب.

خصائص القرابة في دعوة الصحابة ﷺ للمشركين:

١. سرعة التأثر والاستجابة من المدعو.
٢. جَعلُ عامل القرابة عاملَ أمان للصحابة ولقرابتهم من المدعوين.
٣. إحساس المدعو بنصح الصحابي له.
٤. فرصة انفراد الصحابي بالمدعو كبيرة ودون أي تأثير خارجي.
٥. معرفة الصحابي بحال المدعو القريب أكثر من غيره من المدعوين.

ثانياً: المكانة في قومه:

للمكانة الاجتماعية والشرف اعتبار لدى البشر منذ قديم الأزمان، وعند جميع الشعوب، كل حسب معاييره التي تؤهله للمكانة والشرف، «والمكانة الاجتماعية هي الوضع الذي يشغله الشخص أو الأسرة أو الجماعة القرابية في النسق الاجتماعي بالنسبة للآخرين، وقد يحدد هذا الوضع الحقوق، والواجبات، وأنواع السلوك الأخرى، بما في ذلك طبيعة ومدى العلاقة بأشخاص آخرين لهم مكانات مختلفة»[1].

(١) قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، ص٤٠٦.

وقد كانت المكانة لدى الأمم في عهد الرسول ﷺ وصدر الإسلام لها تأثير في الحياة الاجتماعية عند الأمم، فكان العرب يفرقون بين الأشراف والعامة، وكذلك الفرس والروم أيضاً، وهذه غريزة موجودة في البشر منذ القدم، وهي التفرقة بين الأشراف وغيرهم، وهذا مما نهى عنه الإسلام وجعل الناس سواسية، إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، فقد قسم الله سبحانه البشر إلى شعوب وقبائل إلا أن أفضلهم عند الله هو أتقاهم.

وقد علم صحابة رسول الله ﷺ أن الله سبحانه فضلهم على الناس بالإسلام، كما فضلهم في الجاهلية بالشرف والمكانة، وعلموا أن لمكانتهم عند أقوامهم تأثيراً قوياً ووسيلة مؤثرة في دعوة الناس إلى الإسلام؛ وذلك أنهم كانوا يتبعونهم في الجاهلية وهم يدعونهم إلى الضلال فكيف بهم إذا دعوهم إلى الحق، وقد قام سعد بن معاذ رضي الله عنه بدعوة قومه، وقبل دعوتهم سألهم عن مكانته فيهم، حتى يعلم مدى تأثير دعوته لهم إذا دعاهم، فما كان منهم إلا أن قالوا: "سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة"، وبعد أن سمع ذلك منهم وعلم مدى طاعتهم له لمكانته ومنزلته بينهم كيف لا وهو سيد بني عبدالأشهل، فعند ذلك دعاهم للدخول في الإسلام، فما أمسى في دار بني عبدالأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وكما في قصة ضمام بن ثعلبة ﷺ عندما عاد إلى قومه من عند رسول الله ﷺ وهو يعلم أنهم ما أرسلوه إلا لمكانته فيهم، وأنهم آخذون برأيه فدعاهم فأسلموا جميعاً حتى إن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة»، ومثله الطفيل بن عمرو ﷺ وكان رجلاً شريفاً وشاعراً في قومه، حيث بقي في أرض قومه يدعوهم.

فكانت جهودهم ﷺ مع أقوامهم تعتمد على مكانتهم ومدى قدرتهم على استخدام هذه المكانة في صالح الدعوة إلى الله.

خصائص المكانة في دعوة الصحابة ﷺ للمشركين:

١. معرفة الداعي بحكم مكانته لمواطن التأثير في قومه واستخدامها.
٢. المكانة تحمي الداعي من الاعتداء والأذى.
٣. إمكانية دعوة عدد كبير في وقت قصير.
٤. ثقة المدعوين في هذا الداعية؛ لأنه من أشرافهم.
٥. التبعية الخالصة والاحترام للأشراف والأعيان يساعد في قبول الدعوة.

ثالثاً: قوة القبيلة وإمكاناتها:

كانت القبائل في الجزيرة العربية في ذلك الوقت تشابه الدويلات المستقلة؛ حيث إن لكل قبيلة قيادة وشعباً وأرضاً، وهذه هي مكونات الدولة، فإذا استبعدنا الإمبراطورية الفارسية والرومانية في ذلك الوقت كدولتين عظيمتين فإن

«القبيلة هي أساس النظام الاجتماعي عند أهل البادية، وتعد أكبر الوحدات السياسية التي عرفها العرب ومارسوا من خلالها نشاطاتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية»[(١)]، ولكل قبيلة إمكانات ومميزات تتميز بها عن الأخرى، فمثلاً قبيلة قريش تتميز بخدمة البيت الحرام وجميع القبائل تحج إليه كل عام، وقبائل اليمن تأتي عن طريقهم رحلات التجارة، وكذلك من قبائل الشام، وتتميز قبائل اليمامة بتزويد مكة بالحنطة، كما أنها تقع على طريق تجارة العراق، فلكل قبيلة مصلحة لدى القبيلة الأخرى، كما أنه مع وجود المصالح فإن القبائل الصغيرة تخاف على نفسها من تسلط القبائل القوية وسلبها، ومن هذا المنطلق - منطلق المصلحة وتحاشي الضرر - يكون التعامل بين القبائل أو هذه الدويلات الصغرى. إذن هذه القبائل هي داعم ومساند لأفرادها وحامية لهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ولو تأملنا القرآن الكريم لوجدنا أن الله تبارك وتعالى ذكر مدى حماية القبيلة لأفرادها وذلك في قوله تعالى على لسان لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾[(٢)]، يقول ابن جرير: ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ يقول: «أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم»[(٣)]، وفي قوله تعالى على لسان قوم

(١) الإدارة في عصر الرسول ﷺ، أحمد عجاج كرمي، ص٢٩.
(٢) سورة هود، الآية: ٨٠.
(٣) جامع البيان، الطبري، ٦/٤٢٨.

شعيب عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾(١)، «يقولون: لولا أنا نتقي عشيرتك وقومك لرجمناك»(٢).

وقد كانت القبائل تتجنب أذية أي فرد من أفراد القبيلة الأخرى حتى لا تتسبب بإثارة مشكلة بين القبيلتين، ومن ذلك رأي أبي جهل عندما أشار على قريش بقتل رسول الله ﷺ وذلك بأن يؤخذ من كل قبيلة فتىً شاب جلد نسيب وسيط فيهم ويعطى كل منهم سيفاً ثم يضربون رسول الله ﷺ ضربة رجل واحد فيقتلونه فيتفرق دمه بين القبائل فلا تستطيع قبيلته حربهم جميعاً(٣).

وفي هذا دليل على أنه لو قتله واحد منهم لقاتلتهم قبيلته، أما إذا كانوا عشرة فلن يستطيعوا ذلك.

ومن هذا نجد أن الصحابة قد استثمروا هذه الخاصية عند العرب، وحاولوا إيصال دعوتهم ومجاهدة المشركين، فمنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أسلم فذهب إلى المشركين وأخبرهم فقاموا عليه فقاتلوه وقاتلهم حتى قامت الشمس على رؤوسهم، وبينما هم كذلك إذ أقبل العاص بن وائل السهمي فقال لهم: «أترون بني عدي بن كعب مسلمين لكم صاحبهم»، فتفرقوا عنه خشية من قومه(٤)، ومن ذلك ثمامة بن أثال رضي الله عنه عندما أسلم عند رسول الله ﷺ خرج

(١) سورة هود، الآية: ٩١.

(٢) جامع البيان، الطبري، ٦/٤٥٣.

(٣) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٤٣٦.

(٤) المرجع السابق، ١/٢٢٤.

معتمراً حتى إذا كان ببطن مكة لبّى بصوت عال، فكان أول من دخل مكة يلبّي، فأخذته قريش، فقالوا: لقد اخترت علينا! فلما قدموا ليضربوا عنقه قال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة بطعامكم، فخلوه، وقيل: إنه قال: لا يصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً فكتبوا إلى رسول الله ﷺ في ذلك وكتب إليه الرسول ﷺ يخلي بينه وبينهم(١).

ومن اللجوء إلى العشيرة أيضاً اللجوء إلى جوار من هو قوي وله عصبة ومكانة، فقد دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في جوار ابن الدغنة، فكان يصلي في مسجد له بناه عند باب داره، فكان يقرأ القرآن ويبكي فأصبح الصبيان والعبيد والنساء يقفون عليه ويستمعون له، وقد استمر ذلك حتى رد على ابن الدغنة جواره(٢).

فكان لقوة العشيرة والجوار دور في إيصال الدعوة، كإظهار عمر بن الخطاب إسلامه عند الكعبة، ومنع ثمامة بن أثال الطعام عن مكة، وإعلان أبي بكر رضي الله عنه الصلاة وقراءة القرآن، كل ذلك كان وسيلة إلى إيصال فكرة الدعوة الإسلامية إلى المشركين.

خصائص قوة القبيلة وإمكانياتها في دعوة الصحابة رضي الله عنهم:

١. فيها أمان للداعي من بطش المشركين.
٢. وسيلة ضغط على المشركين للخضوع للإسلام.

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٥٣٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١/٣٤٣-٣٤٥.

٣. تعطي الدعاة دافعاً معنوياً للاستمرار بالدعوة.

٤. فيها ردع وترهيب للقبائل من عاقبة محاربة الدعاة.

٥. فيها انتصار للدعوة أمام المشركين.

القسم الرابع: الوسائل الأخلاقية:

«الخُلق هو الدين، والطبع، والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها»(١)، «وفي عُرف العلماء هو مَلَكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف»(٢).

وقد كان الرسول ﷺ من أحسن الناس أخلاقاً، فقد زكَّى الله ﷻ نبيه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٣)، يقول الشيخ السعدي: «كان له ﷺ منها - من الأخلاق - أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها في الذروة العليا، فكان ﷺ سهلاً ليناً قريباً من الناس مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يحرمه ولا يرده خائباً»(٤).

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: خلق، ١٠/٨٧.

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، ١/٧٦٢.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٠٣٧.

وقد حث الرسول ﷺ على مكارم الأخلاق في مواضع عدة، فقد قال ﷺ: «**إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً**»[1]، وقال ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم**»[2].

فالأخلاق هي من خصائص هذا الدين ومن يتبعه؛ لأن من أساس الأخلاق إرضاء الله ﷻ، وانتظار ثوابه، واتقاء عقابه، يقول الزحيلي: «إن مكارم الأخلاق هي صلاح الدنيا والدين والمعاد»[3].

وقد انتشرت الدعوة الإسلامية في كثير من البلدان الإسلامية عن طريق التعامل والأخلاق الإسلامية، والتي جعلت كثيراً من الشعوب يعتنقون الإسلام بسبب ما رأوا من أخلاق المسلمين.

وقد استخدم الصحابة ﷺ الأخلاق كوسيلة لتبليغ الإسلام وإيصاله للمدعوين، ومن الوسائل الأخلاقية في دعوتهم:

١. الإيثار على النفس.

٢. الحلم.

٣. العفو.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم ٦٠٣٥، ص١٠٥٤.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم ٤٧٩٨، ص٦٧٩. حديث صحيح (الألباني، المشكاة، رقم ٥٠٨٢، ٣/١٤٠٩).

(٣) التفسير المنير، وهبة مصطفى الزحيلي، المجلد الخامس عشر، الجزء التاسع والعشرون، ص٥٠.

وهذه الوسائل الأخلاقية التي استخدمها الصحابة كوسيلة كان لها الأثر الكبير والسريع في نفوس المدعوين مما دفعهم لاعتناق الإسلام دون تردد، وهنا سوف نتكلم عن كل وسيلة على حدة.

أولاً: الإيثار على النفس:

«الإيثار هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ من قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة»[1]، يقول شيخ الإسلام في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2]: «أما الإيثار مع الخصاصة فهو أكمل من مجرد التصدق مع المحبة»[3]، وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[4].

وقد كان رسول الله ﷺ من المؤثرين على أنفسهم وذلك في مواقف كثيرة منها ما ذكره البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة، فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها، فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه فاكسنيها، فقال: «**نعم**»، فلما قام النبي ﷺ

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثالث، المجلد التاسع، ص٢١٥.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٣) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ٤/١٧٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئاً فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أكفن فيها[1].

وقد اكتسب صحابة رسول الله ﷺ الإيثار منه واتبعوه في ذلك، وكان لإيثارهم في الدعوة إلى الإسلام أثر وفائدة، فهذه أم سليم تؤثر إسلام أبي طلحة على متعة الدنيا وهي زواجها منه، بل جعلت إسلامه هو مهرها منه، وكذلك قصة الحارث بن مسلم التميمي عندما أرسلهم رسول الله ﷺ في سرية، قال: فلما بلغنا المغار[2] استحثثت فرسي فسبقت أصحابي وتلقانا الحي بالرنين[3] فقلت لهم: قولوا: لا إله إلا الله تحرزوا، فقالوها، فلامني أصحابي فقالوا: حرمتنا الغنيمة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه بالذي صنعت فدعاني فحسَّن لي ما صنعت وقال: «**أما إن الله قد كتب لك من كل إنسان منهم كذا وكذا**»[4].

ويقسم ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ درجات الإيثار إلى ثلاث درجات منها: «إيثار رضا الله على رضا غيره، وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطول

(١) صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم ٦٠٣٦، ص١٠٥٤.

(٢) المغار: موضع الغارة أو هي الإغارة نفسها.

(٣) الرنين: الصوت.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم ٥٠٨٠، ص٧١٤. حديث ضعيف (الألباني، ضعيف سنن أبي داود، رقم ٥٠٨٠، ص٤١٥).

والبدن»[1]، ونجد أن صحابة رسول الله ﷺ قد آثروا رضا الله ﷻ على رضا غيره سواء من أنفسهم أو من غيرهم فقدموا الآخرة على الدنيا.

«فالإيثار هو من أفضل درجات مكارم الأخلاق»[2]، وهو مرتبة راقية من مراتب البذل ومنزلة عظيمة من منازل العطاء؛ لذا أثنى الله على أصحابه ومدح المتحلين به وبين أنهم المفلحون في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

خصائص الإيثار في دعوة الصحابة ﷺ للمشركين:

١. بيان بأن هدفهم الأول هو رضا الله.

٢. علو الهمة لدى الصحابة.

٣. حسن الظن بالله.

٤. رحمة الصحابة للمشركين من شركهم.

٥. أن رسالة الإسلام هي طلب ما عند الله لا ما عند الناس.

٦. الدعوة هي همهم الأول وقبل كل شيء.

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/٣١١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

ثانياً: الحلم:

«الحلم هو الطمأنينة عند سورة الغضب»(١)، «وهو واسطة بين إفراط الغضب وعدمه، فالحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب»(٢)، ويقال: «إن الحلم هو أن تكون النفس مطمئنة لا يحركها الغضب بسهولة، ولا تضطرب عند إصابة المكروه»(٣).

يقول الماوردي: «الحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد»(٤).

«والله تبارك وتعالى هو الحليم، وهو الذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو منتهٍ إليه»(٥)، ويقول الغزالي: «الحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾(٦)»(٧). وقد وردت آيات عديدة في ذكر أن الحلم من أسماء الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ

(١) التعريفات، الجرجاني، ص٩٨.
(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص١٥٧، ٢٦١.
(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، حرف الحاء، ١/٧٠٦.
(٤) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص٢٦١.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص٢٣٠.
(٦) سورة النحل، الآية: ٦١.
(٧) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الغزالي، ص٩٤.

ﵟٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞﵞ(١)، وقوله: ﵟقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞﵞ(٢)، وقوله سبحانه: ﵟوَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞﵞ(٣)، وقوله: ﵟلَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞﵞ(٤).

وقد وصف الله سبحانه بعض خلقه بالحلم كوصفه لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﵟإِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞﵞ(٥)، وأيضاً وصفه سبحانه لإسماعيل عليه السلام عندما بُشِّر به إبراهيم فقال تعالى: ﵟفَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖﵞ(٦).

وكان رسول الله ﷺ حليماً على قومه، ففي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وبعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله**

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.
(٤) سورة الحج، الآية: ٥٩.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٤.
(٦) سورة الصافات، الآية: ١٠١.

وحده ولا يشرك به شيئاً»[1].

فمن حلمه ﷺ أنه لم يأمر ملك الجبال بإهلاك قومه، وهو قادر بإذن من الله سبحانه، كما أنه ﷺ له مواقف كثيرة تدل على حلمه، وقد كان يستطيع أن ينفذ غضبه إلا أنه ﷺ كان همه هداية الناس ودعوتهم.

وقد استمد صحابة رسول الله ﷺ الحلم من سيرته وأخلاقه واتباعاً لهديه، قال ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[2]، وقد قال ﷺ لأشج عبدالقيس: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[3].

«فالحلم من محاسن خصال العباد»[4]، وفضيلة من فضائل الأخلاق التي تكسب الفرد محبة الله ومحبة الناس، ولما لهذا الخلق من تأثير فقد استفاد منه الصحابة رضي الله عنهم في مجال دعوة الناس وترغيبهم في الإسلام، فكم من أذية قُصدوا بها، وكم جهل وقع عليهم ولم يردوا عليه إلا بالحلم والإحسان، ومن هذا ما وقع من الطفيل بن عمرو الدوسي عندما دعا قومه فلم يستجيبوا له فقدم الطفيل وأصحابه إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، إن دوساً عصت

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذ قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم ٣٢٣١، ص٥٣٩.

(٢) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم ٦١١٤، ص١٠٦٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه، رقم ٢٦، ص٣١.

(٤) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الغزالي، ص٩٤.

وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، قال ﷺ: «**اللهم اهد دوساً وأت بهم**»[1]، ثم قال له الرسول ﷺ: «**ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم**»، فرجع ودعاهم ورفق بهم حتى نزل المدينة ومعه سبعون أو ثمانون بيتاً من دوس[2]، وفي قصة عروة بن مسعود رضي الله عنه من الحلم ما كان سبباً في الصلح بين قومه وإسلام عشيرته الأقربين، وذلك أنه لما أسلم عروة رضي الله عنه استأذن الرسول ﷺ أن يرجع إلى قومه فقال رسول الله ﷺ: «**إني أخاف أن يقتلوك**»، قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني، فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلى قومه مسلماً فقدم عشاءً فجاءته ثقيف فدعاهم إلى الإسلام وآذوه ونالوا منه فحلم عنهم، فخرجوا من عنده يأتمرون عليه حتى طلع الفجر فقام في داره فأذن فخرجت ثقيف إليه فرماه أحدهم فأصابه في أكحله ولم يرقَ دمه، فلبس قومه السلاح وحشدوا وطلبوا الثأر له، فلما رأى عروة بن مسعود ما يصنعون قال: لا تقاتلوا فيَّ، قد تصدقت بدمي على صاحبه، لأصلح بذلك بينكم، فهي كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ قد أخبرني أنكم تقتلوني، ثم طلب أن يدفن مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عن الطائف، وبسبب ذلك لحق ابنه أبو مليح بن عروة وابن أخيه قارب بن الأسود بالرسول ﷺ وأسلما[3].

فالحلم كان وسيلة لتبليغ الدعوة منذ وصوله إليهم وحتى مماته رضي الله عنه فدعا قومه وأصلح بينهم وأسلم نفر من عائلته، وكل ذلك بخلق كريم ألا وهو الحلم.

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، رقم ٢٩٣٧، ص٤٨٥.

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٣٥٤.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/٥٠٣- ٥٠٤.

خصائص الحلم في دعوة الصحابة رضي الله عنهم للمشركين:

١. استشعار أن هذه الصفة من صفات الله تبارك وتعالى.

٢. فيه بيان لمقدرة الصحابة؛ لأنه لا يكون إلا مع القدرة.

٣. دليل على كمال العقل والأخلاق لدى الصحابة.

٤. بيان أخلاق الإسلام.

٥. فيه كسب لقلوب المدعوين والتأثير عليها.

ثالثاً: العفو:

قال الفراهيدي: «العفو: تركك إنساناً استوجب عقوبة فعفوت عنه»[1]، وقال الكفوي: «العفو: ترك ما يستحق الذنب من العقوبة، ومحو الذنب، والإعراض عن المؤاخذة»[2]، والله تبارك وتعالى هو العفوُّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[4]، وقد ذكر الرسول ﷺ اسم الله العفوّ في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفوّ كريم تحب العفو فاعف عني**»[5]، كما أمر

(١) العين، الفراهيدي، باب العين والفاء و(واي) معهما، ٢/٢٥٨.

(٢) الكليات، الكفوي، فصل العين، ٣/٢٤٠.

(٣) سورة الحج، الآية: ٦٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٩.

(٥) جامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل سؤال العافية والمعافاة، رقم ٣٥١٣، ص٨٠١. حديث صحيح (الألباني، المشكاة، رقم ٢٠٩١، ١/٦٤٦).

الله الرسول ﷺ بالعفو، قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٢)، وقد بيّن الرسول ﷺ فضل العفو فقال ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»(٣).

وقد عفا الرسول ﷺ عمن أساء في مواضع عدة، منها ما كان منه ﷺ مع ثمامة بن أثال رضي الله عنه عندما أسرته سرية من سرايا الرسول ﷺ وأتت به إلى المدينة فربط في المسجد فكان رسول الله ﷺ يمر عليه فيقول له: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فيقول: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فيتركه الرسول ﷺ ويعود عليه من الغد ويسأله ويرد بمثل قوله، ولما كان بعد غد سأله ﷺ ورد بمثل قوله الأول، فقال الرسول ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**»، فانطلق واغتسل وأسلم(٤)؛ فكان لعفو الرسول ﷺ أثر في إسلام ثمامة رضي الله عنه، كما أن عفو رسول الله ﷺ عن أهل مكة بعد الفتح كان له الأثر الكبير في إسلامهم، وغير ذلك من المواقف التي تجلى فيها عفو رسول الله ﷺ الذي كان بياناً لصحابته، ودرساً يستمدون منه التعاليم النبوية، ومنها خلق العفو، الذي جعلوه من أخلاقهم؛ فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «كل الناس مني في حل»(٥).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم ٦٥٩٢، ص١١٣١.

(٤) انظر الحديث في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، رقم ٤٣٧٢، ص٧٤١.

(٥) الآداب الشرعية، ابن مفلح، ١/٨٨.

وقد استخدم الصحابة رضي الله عنهم هذا الخلق كوسيلة لإيصال الدعوة الإسلامية، وأن الإسلام هو دين تسامح وعفو وأخلاق، ولا يهدف إلى الانتقام والتشفي؛ فقد أظهر علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلق العفو عندما أرسله الرسول ﷺ إلى أرض مذحج ولقي جمعاً منهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموه في أصحابه فحمل عليهم فتفرقوا وانهزموا فكف عنهم ودعاهم ثانية إلى الإسلام فأجابوا وبايعوا وأدَّوا صدقاتهم، ولم يحاسبهم على ما فعلوا؛ فعفوه رضي الله عنه عنهم أدَّى إلى دخولهم في الإسلام. وكذلك عفو عروة بن مسعود رضي الله عنه عمن أصابه وتصدقه بدمه عليه كان له الأثر في إسلام أقاربه وعدم إثارة الفتنة بينهم وبين قبيلته التي أسلمت لاحقاً. وهذا أبو عامر الأشعري رضي الله عنه يعفو ويكف عن قتال رجل عندما قال أبو عامر: اللهم اشهد عليه، فقال الرجل: اللهم لا تشهد، فكفَّ أبو عامر عن قتاله، فأفلت الرجل وكان أبو عامر قد قتل قبله تسعة من إخوته، ثم أسلم الرجل فحسن إسلامه، فكان الرسول ﷺ إذا رآه قال: هذا شريد أبي عامر.

فهذه الوسيلة الأخلاقية كان لها في دعوة الصحابة رضي الله عنهم دور كبير أدَّى إلى نشر الإسلام وبيان تعاليمه وأنه دين تسامح ورحمة.

خصائص العفو في دعوة الصحابة ﷺ:

١. بيان أن قلوبهم نقية من الانتقام والتشفِّي.

٢. إظهار رسالة الإسلام أنها رسالة عفو وتسامح.

٣. كسب قلوب المشركين واستمالتهم للإسلام.

٤. إعطاء المشركين الفرصة للدخول في الإسلام.

٥. طلب ما عند الله مقابل العفو في الدنيا.

القسم الخامس: الوسائل العملية (بالفعل):

هي كل وسيلة تقوم على عمل يوصل دعوة الصحابة إلى المشركين ويبلغ رسالة الإسلام ودعوة التوحيد، وهو فعل، والصحابي هو الفاعل، والفعل: «هو الهيئة العارضة للمؤثر في غيره بسبب التأثير أولاً»[١]، «وهو التأثر من جهة مؤثر، وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان بعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصد»[٢].

فكان من وسائل دعوة الصحابة إجراءات عملية فعلية قام بها بعضهم بقصد الدعوة، فكانت حاملة لموضوع الدعوة وموصلة لرسالة الإسلام إلى المشركين ومؤدية إلى دخول بعض المشركين في الإسلام بسببها.

---

(١) التعريفات، الجرجاني، ص١٧٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، كتاب الفاء، ص٣٨١.

فالوسائل العملية لدى الصحابة أكثر ما كانت تخاطب الجانب العقلي لدى المدعوين لما فيها من إثارة للتفكير بالواقع، إضافة إلى الجانب الحسي من التنبيه للواقع وما هو حاصل بالفعل.

وقد استعملت الوسائل العملية في الغالب في أماكن كان للإسلام فيها شوكة وقوة ولم يكن ضعيفاً فيها، وذلك من بعد الهجرة إلى المدينة.

ومن هذه الوسائل العملية ما يأتي:

أولاً: البعوث والرسل:

كان الأنبياء عليهم السلام هم أول البعوث والرسل التي تدعو إلى الله سبحانه وتعالى، فقد أرسلهم سبحانه إلى البشر لينذروا ويدعوا، قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2]، وقد أرسل سليمان عليه السلام الهدهد مبعوثاً إلى سبأ، وأرسل عيسى عليه السلام الحواريين إلى ملوك الأرض مبعوثين[3]. وأرسل الرسول ﷺ الرسل والبعوث إلى الملوك والرؤساء والقبائل ليدعوهم إلى الإسلام، وكانت عادة الملوك والرؤساء إرسال الرسل والبعوث لتبليغ مرادهم وإيصال أخبارهم،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥- ٤٦.

(٣) انظر: فتوح مصر والمغرب، ابن عبدالحكم، ص٦٦.

كما بعثت القبائل الوفود إلى رسول الله ﷺ، وكل ذلك من أجل إيصال أمر أو أخذ علم، وأيضاً لما في المبعوثين من فوائد تختلف عن الرسائل المكتوبة؛ فالرسل يستطيعون أن يفاوضوا ويناقشوا ويتحسسوا، والفطِن منهم يستطيع أن يُقنع من أُرسل إليه، وأن يقربوا وجهات النظر، فهم رسائل ناطقة، ولديها إحساس واعٍ يقيِّم الوضع وينطق بما هو مناسب للمقام الذي فيه المبعوث.

لذلك كان لا يرسَل المبعوث إلا بعد أن تتوافر فيه مميزات المناقش الجيد والمحاور الفطن والعالم بما هو ذاهب إليه، فهو وسيلة موثوقة، وأداة فعالة ومتجاوبة لكل الظروف التي تطرأ، وتستطيع التفاعل والتعامل مع المتغيرات، فمن هنا استفاد الخلفاء والقادة من الصحابة من هذه الوسيلة العملية وقاموا باستخدامها في دعوة الناس والقادة والملوك إلى الإسلام.

فقد بعث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وفداً إلى يزدجرد يدعونه إلى الإسلام منهم النعمان بن مقرن والمغيرة بن زرارة الأسدي وعاصم بن عمرو[1]، وقد نقلوا له رسالة الإسلام وأوصلوا إليه بلاغ الدعوة، إلا أنه تكبر وأبى. ومن البعوث أيضاً ربعي بن عامر عندما ذهب إلى رستم قائد الفرس فذكر له عدل الإسلام وموعود الله. وكذلك بعث سعد بن أبي وقاص حذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة لمناقشة الفرس وإبلاغهم الدعوة[2].

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ٣/٨٩-٩٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٣/٩٣-٩٤.

خصائص البعوث والرسل في دعوة الصحابة رضي الله عنهم:

١. العناية باختيار الداعي.

٢. عرض الإسلام بطريقة مباشرة على المدعو.

٣. الإجابة على أسئلة المدعوين في حينها.

٤. اتفاق جميع البعوث على الدعوة وذلك بدون تنسيق بينهم.

ثانياً: استثارة العقل للتفكير والتدبر:

منح الله سبحانه وتعالى الإنسان نعمة العقل ليميز بها الأمور ويزنها، وقد اختص بها الإنسان دون المخلوقات المحسوسة، فكان واجباً على الإنسان استخدام هذه النعمة والفضل في التفكر والتدبر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[2]، ففي الآيات حث للعقل على التفكير في الخلق لمعرفة الخالق سبحانه، وقد أرسل سبحانه وتعالى المعجزات مع أنبيائه ليستثير عقول المدعوين إلى التفكير، مثلما حصل مع موسى عليه السلام عندما ألقى عصاه فأصبحت تلقف ما ألقى السحرة، قال تعالى: ﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[3]، فتحركت عقول

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٤٥-٤٨.

السحرة من الجمود وتحررت من قيود الشيطان فعلموا أنهم على خطأ وضلال فآمنوا. وللرسول ﷺ معجزات كثيرة كانشقاق القمر والإسراء والمعراج ووصف بيت المقدس لقريش، والقرآن نفسه معجزة لأنه ليس بكلام بشر، يقول الشيخ حافظ الحكمي: «الدليل على ذلك -على إعجاز القرآن- نزوله في أكثر من عشرين سنة متحدياً به أفصح الخلق وأقدرها على الكلام وأبلغها منطقاً وأعلاها بياناً قائلاً: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴾[1]، وقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[2]، وقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾[3]، فلم يفعلوا ولم يجربوا ذلك مع شدة حرصهم على رده بكل ممكن مع كون حروفه وكلماته من جنس كلامهم الذي به يتحاورون وفي مجاله يتسابقون ويتفاخرون، ثم نادى عليهم ببيان عجزهم وظهور إعجازه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[4]»[5].

ولأن كل إنسان يملك هذا العقل والتفكير إلا من أخذه الله منه كالمجنون، فإنه يستطيع تحريكه كما قال الأعرابي: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، أفلا تدل على اللطيف الخبير؟!

(١) سورة الطور، الآية: ٣٤.

(٢) سورة هود، الآية: ١٣.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٥) ٢٠٠ سؤال في العقيدة، حافظ أحمد آل حكمي، ص٥٤.

وقد قام الصحابة ﷺ في دعوتهم بحثِّ العقل وتحريك الجمود واستثارة الفكر لدى المشركين لإيصال الدعوة الإسلامية إلى قلوبهم، فمن هذه المواقف ما قام به معاذ بن جبل ومعاذ بن عمرو بن الجموح ومعهم شباب من الأنصار من طرح صنم عمرو بن الجموح في حفرة فيها عذرة الناس وربطه بكلب ميت، فما كان من ذلك إلا أن جعل عمرو بن الجموح يعمل على تحكيم عقله الذي كان غائباً عنه طوال حياته فيكتشف أنه لا ينفع نفسه فكيف ينفع غيره، فأسلم ﷺ. وأيضاً تكسير عبدالله بن رواحة ﷺ لصنم أبي الدرداء مما جعله يفكر في نفسه ويحرك جمود عقله مما أوضح له خطأ معتقده، فكان سبباً في معرفة الله وإسلامه.

وأيضاً عندما أرسل الرسول ﷺ عمرو بن العاص ﷺ إلى هدم سواع فكان عمرو بن العاص يقول: انتهيت إليه وعنده السادن فقال: ما تريد؟ قلت: هدم سواع، فقال: مالك وله؟! فقلت: أمرني رسول الله ﷺ، قال: لا تقدر، قلت: لِمَ؟ قال: يمتنع، قال عمرو: حتى الآن وأنت في الباطل؟! ويحك، هل يسمع أو يبصر؟ قال عمرو: فدنوت إليه فكسرته، ثم قال للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله[1].

فكان حث العقل لتحريك جمود الفكر في التفكُّر والتأمل وسيلة في دعوة المشركين وإيضاح محاسن الإسلام ونور الحقيقة وبيان مساوئ الكفر وظلمة الجهل.

(١) انظر: المغازي، الواقدي، ص٥٨٣.

خصائص التفكر والتدبر في دعوة الصحابة ﷺ للمشركين:

١. أن تدبر العقل مرة واحدة كفيل بالتدبر دائماً.

٢. عدم احتياج الداعي إلى مجهود كبير لإقناع المدعو.

٣. معرفة الخطأ من خلال المدعو نفسه دون أي تأثير.

٤. سرعة الاستجابة لدى المدعو.

٥. وضوح الحق بمجرد حث العقل على التفكير.

ثالثاً: اغتنام المواقف والأحوال:

يعدُّ اغتنام المواقف والأحوال من الفرص التي يجب على كل داعٍ إلى الله أن يسعى إليها؛ لكي يكسب المدعوين ويعرض عليهم الإسلام، وبهذا يكون اغتنم هذه الفرصة لإيصال الدعوة، فهو إذاً وسيلة من الوسائل العملية التي يقوم بها الداعي من أجل الوصول إلى هدفه، وهو دخول الناس إلى الإسلام. ولأن المواقف والأحوال قد تكون مؤقتة ومحدودة بزمن أو مكان فإن اغتنامها قبل فوات الأوان مهم لا ينبغي للداعية أن يفرط فيه. ومن الأمثلة على اغتنام الفرص ما قام به نبي الله يوسف عليه السلام من دعوة أصحابه في السجن عندما سألوه عن الرؤيا فاغتنم ذلك ودعاهم إلى الله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1]، فاغتنم عليه السلام فرصة

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٣٩- ٤٠.

وجودهم في السجن وحالتهم بتذكيرهم بالله ودعوتهم إلى التوحيد. كما كان الرسول ﷺ قد استثمر كل موقف ودعا إلى الله فيه، فكان إذا جاء أحد إلى مكة من غير أهلها يدعوه، وعند وفود الناس للحج كان يغتنم وجودهم فيعرض نفسه عليهم ويدعوهم، ولم يتوقف على هذه الحالة بل ذهب إلى اجتماعات العرب في المواسم كاجتماعهم في ذي المجاز وعكاظ ففيها من الفرص ما لا يوجد في غيرها. ولأن كثيراً من المواقف والأحوال تجعل من الأشخاص أكثر عقلانية وتحكيماً للحق فإن هذه الفرصة تؤتي نتائجها مثلما حصل مع العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه وأبي سفيان، عندما نزل الرسول ﷺ بمر الظهران في فتح مكة، وذهب العباس رضي الله عنه على بغلة رسول الله ﷺ يلتمس أحداً يأتي مكة فيخبرهم بمكان الرسول ﷺ فيخرجون إليه ويستأمنونه قبل أن يدخلها عنوة، فوجد أبا سفيان فقال له: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله ﷺ في الناس، وأصباح قريش والله، قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك، قال: فركب خلفي ورجع صاحباه، إلى أن قال له: ويحك، أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك، فأسلم أبو سفيان[1]، فهنا كان موقف أبي سفيان وقريش عامة من الخوف والضعف سبباً في أن يطيع أبو سفيان العباس رضي الله عنهما فيما قال له دون تردد؛ لأنها مرحلة عقل وحكمة. وفي وقت مراجعة النفس فرصة الداعي لعرض الدعوة وترغيب المدعو كما عمل

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٣٤٠- ٣٤١.

خباب بن الأرت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عندما قرأ الصحيفة التي فيها سورة طه، وقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؛ فكانت فرصة لخباب أن يدعو عمر ويرغبه بالإسلام؛ لأنه أحسَّ أن عمر بن الخطاب قد راجع نفسه في ذلك الموقف، فخرج إلى عمر وقد كان مختبئاً فقال له: والله يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوة نبيه ﷺ؛ فإني سمعته أمس وهو يقول: «**اللهم أعزَّ الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب**»، فالله الله يا عمر، فقال عمر عند ذلك: فدُلَّني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم[1]. ولأن المواقف والأحوال يحصل فيها تغيير في نفوس البشر من إعادة تفكير وتدبر كما أن فيها من التحرر من أفكار قديمة أو اعتقادات متأصلة في النفس، ولأن هذه الحالات تكون مؤقتة، فإن اغتنامها قبل فواتها وسيلة عملية لإيصال الدعوة وتبليغها، ومن هذه الأمثلة في سيرة الصحابة الكثير من المواقف.

خصائص اغتنام المواقف والأحوال:

١. تمييز الداعي للمواقف المناسبة.
٢. المواقف التي يمر بها المدعو والأحوال التي تؤثر فيه تكون حافزاً للداعي.
٣. تعرض المدعو لمواقف معينة يجعله سهل الدعوة.
٤. حرص الداعي على عدم تفويت الفرص.
٥. معرفة الكيفية المناسبة للدعوة من خلال معرفة أحوال المدعو.

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٣٢٠- ٣٢١.

المطلب الثاني: العوامل المتوافرة في وسائل دعوة الصحابة رضي الله عنهم

لما كانت وسائل دعوة الصحابة رضي الله عنهم هي الوعاء الحامل لدعوتهم لإيصالها للمدعوين من المشركين فإنه كان من الضروري وجود عوامل تقوم عليها هذه الوسائل وتتوافر فيها، وذلك لتحقيق النجاح في الدعوة والتعامل مع المدعوين وقبول هذه الرسالة منهم رضي الله عنهم.

وقد تعددت هذه العوامل، إلا أنه في تتبع سيرة الصحابة رضي الله عنهم من خلال نماذج من دعوتهم نستطيع أن نحصرها في مجموعة من العوامل التي وإن لم تكن شاملة لجميع العوامل إلا أنها هي الغالب، والتي قد تكون هي الأساسية في وسائل دعوتهم رضي الله عنهم، وهذه العوامل هي:

أ) **الإباحة.**

ب) **الملاءمة.**

ج) **المعقولية.**

د) **الإمكانية.**

وسيتم الحديث عن كل عامل على حدة، وتبيين مدى تأثيره في الوسائل التي قام بها الصحابة.

أولاً: الإباحة:

لما كانت الدعوة إلى الله هي دعوة الحق، فإنها لا تقبل إلا حقاً، ولأن الإسلام لا يفصل في الحكم بين الوسيلة والغاية فإن للوسائل حكم الغايات، يقول ابن القيم: «لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها، معتبرة بها؛ فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات إباحتها والأذن فيها بحسب إفضائها إلى غاياتها. فوسيلة المقصود تابعة للمقصود»[1]. وقد حرص الصحابة ﷺ في دعوتهم على استخدام الوسائل المباحة لنشر الإسلام والابتعاد عن الوسائل المحرمة، وحيث إن الأصل في الأشياء الإباحة إلا أنه هناك وسائل وردت أدلة على تحريمها والنهي عنها، كالخداع والكذب والخيانة والنفاق وغيرها، وهذه الوسائل قد ابتعد عنها الصحابة ولم يستخدموها، بل العكس استخدموا وسائل وردت أدلة باستخدامها كالجهاد والقول والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشعر والإيثار وغيرها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[4]... وغيرها من الأدلة.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، ٣/١٣٥.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٣.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

ولأن المقصد من استخدام هذه الوسائل هو تبليغ الإسلام فإنه لابد من استخدام وسائل مباحة حتى توافق هذا المقصد، وقد اقتدى الصحابة بالرسول ﷺ في توظيف الوسائل المباحة والمتاحة في وقته، وكان إسهامهم في ذلك بيِّناً وجلياً واضحاً، فكانوا حريصين كل الحرص على ما يرضي الله ﷻ وعدم اتباع خطوات الشيطان، ولو كان ذلك فيه نفع للدعوة في الظاهر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(١).

ثانياً: الملاءمة:

الملاءمة: الموافقة، «وإذا اتفق الشيئان فقد التأما»(٢). فتوافق الوسائل وانسجامها مع أركان الدعوة يؤدي إلى نجاح الدعوة، وفيه فوائد كثيرة، منها:

١. سهولة استخدام الداعي لها.

٢. تقبل المدعو لها.

٣. تبسيط عرض الدعوة.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقومون باستخدام الوسيلة الملائمة؛ وذلك بتمييز كل مقام وما يناسبه من وسيلة، وهو ما كان سبباً في تعدد وسائل الصحابة في الدعوة وتنوعها بحسب الحال والمقام، وأيضاً إمكانيات الداعي ووضع المدعو،

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: لأم، ١٢/٥٣١.

جميعها كان لها تأثير في ملاءمة الوسيلة واختلافها من موقف إلى آخر، فما يصلح لموقف معين قد لا يصلح في موقف آخر، وهنا يتبين مدى تمييز الصحابة في اختيار الملائم من غيره، وقد قالت العرب: لكل مقام مقال[1].

ولأن المدعوين يختلفون في تفكيرهم ومكانتهم وقدرتهم فإن الصحابة قد راعوا ملاءمة الوسيلة في ذلك للحصول على النجاح المرجو، فقبول الوسيلة من المدعو يعد قبولاً للدعوة من الداعي واستماعاً إليها وإن لم يدخل الإسلام.

ثالثاً: المعقولية:

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[2].

لقد راعى الصحابة ﷺ مخاطبة الناس ودعوتهم بما يدركونه ويعقلونه، ولم يخرجوا عن دائرة المعقول لدائرة اللامعقول؛ لأن في ذلك نوعاً من الصد عن الاستماع للحق، وقد قال علي ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسوله»[3]، ولأن الكلام بشيء لا تقبله عقول المدعوين قد يتسبب بتكذيب الله ورسوله، كما قال علي بن أبي طالب ﷺ، فإن الصحابة وأولهم

(١) هذه المقولة في بيت لطرفة بن العبد يقول فيه:

تصدق علي هداك المليك ... فإن لكل مقام مقالا

(شرح ديوان طرفة بن العبد، الأعلم الشنتمري، ص١٨٠).

(٢) صحيح مسلم، مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ص٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا، رقم ١٢٧، ص٢٧.

علي ﷺ حرصوا على ذلك وفطنوا له، فكانت دعوتهم لا تخرج عن إمكانية تصور عقول المجتمع في ذلك الوقت، ولم يحاولوا إدخال أحاديث الخرافة في الدعوة، وذلك من ميزات هذا الدين الذي يتميز به عن غيره من الأديان التي تعتمد على الخرافات التي هي فوق طاقة العقل، ومِن تميُّز هذا الدين بذلك تَميَّز أتباعه، ومن أفضل اتباعاً لهذا الدين بعد الرسل غير الصحابة ﷺ؟ فهم أحق بأن يكونوا قدوة في طريقة دعوتهم من خلال طرح موضوعات الدعوة بوسائل لها القبول العقلي لدى المدعوين، وخصوصاً أن الله ﷻ خاطب المشركين في أكثر من موضع باستخدام "العقل" كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[2].

رابعاً: الإمكانية:

إن إمكانية استخدام الوسيلة من أهم العوامل التي راعاها الصحابة ﷺ في دعوتهم، فإمكانية توفر وسيلة دون غيرها يساعد على استغلال الوقت، ويساعد على قدر من النجاح في الدعوة؛ لأن بعض الوسائل لا يتمكن الداعي من استخدامها، فمحاولته في ذلك فيه تفويت لفرص لا تتكرر، وضياع الوقت مع تقليل فرص النجاح والوصول للهدف، فكانت إمكانية استخدام الوسيلة وتطبيقها من قِبل الداعي من المطالب المهمة لدى الصحابة، وذلك أن الإمكانات قد تكون

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٦.

مادية كالرسائل والبعوث، أو معنوية كما هو في الوسائل الأخلاقية، أو عملية كما هو في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من الإمكانات، وهذه الإمكانات قد يتوافر بعضها لصحابي دون الآخر، وفي وقت دون وقت، وقد يناسب استخدامها في أمر دون الأمر الآخر، فمن هنا كان للصحابة دور في الاختيار والتمييز بين الإمكانيات وتقدير إمكانية تطبيقها من عدمه استناداً على المواقف وقدرة الصحابي نفسه، وليس بأمثل من دعوة الرسول ﷺ، فلما كان في مكة ولم تكن له دولة وشوكة كان يدعو بقدر إمكانياته ﷺ وإن كان الله سبحانه قادراً على تمكينه من كل أمر، وعندما هاجر إلى المدينة تغيرت الإمكانات فكان ﷺ يدعو بما أعطاه الله له من إمكانات.

المَبحَثُ الثَّاني

منهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالأساليب

تمهيد:

عند البحث في أساليب الصحابة في الدعوة نجد أن أساليبهم تعددت واختلفت باختلاف الظروف والأحوال، سواء من المدعو نفسه أو من الداعي أو حتى من الجو العام المحيط بأركان الدعوة (المدعو، الداعي، الدعوة)، إلا أن أساليبهم لم تتعدَّ ثلاثة محاور تدور في فلكها وهي: (العقلي، الحسي التجريبي، العاطفي)، بل إن هناك بعض الدعاة قد استخدم أكثر من محور في دعوة شخص واحد، وذلك ما سوف يتضح من خلال طرح هذه الأساليب ضمن المحاور الثلاثة السابقة، وسوف نسميها بمحاور أسلوب الدعوة، وذلك لأنه ينطبق عليها تعريف الأسلوب بأنه "طريقة للتأثير"، فتصبح ثلاثة محاور تدور حولها أساليب الدعوة، وهذه المحاور هي:

١. المحور العقلي.
٢. المحور الحسي التجريبي.
٣. المحور العاطفي.

وبناءً على هذه المحاور سيُبحَث كل أسلوب مع ما يناسبه من هذه المحاور؛ لأنه قد يتوافر في الأسلوب الواحد أكثر من جانب من هذه المحاور يستخدمه الداعي للتأثير على المدعو.

ولأن بعض الباحثين ناقشوا هذه الجوانب على أنها "مناهج الدعوة" وذلك خلال كتابتهم عن منهج الدعوة، إلا أنها هنا عُدَّت أساليب وليست مناهج وذلك لعدة أسباب منها:

أ) أن منهج الدعوة واحد ولا يمكن أن يكون متعدداً، وقد ذكر الله ﷻ ذلك في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1]، والشرعة والمنهاج هما بالإفراد وليس بالجمع، أي لا يمكن تعددهما من منظور الإسلام، ومنهج الدعوة هو الإسلام.

ب) أن المناهج (العقلي، الحسي، العاطفي) هي مناهج تنطبق على بعض العلوم المدنية التطبيقية إلا أنها لا تنطبق على العلوم الشرعية؛ لأن مصدرها الكتاب والسنة، ومنهجها ثابت.

ج) أن المناهج (العقلي والحسي والعاطفي) تعتمد على صفات بشرية وقدرات إنسانية تتباين من شخص لآخر، ومنهج الدعوة هو منهج إلهي محكوم بضوابط شرعية لا تخضع للمنهج العقلي كالفلاسفة، ولا للمنهج الحسي كالدهريين، ولا للعاطفة التي تسيطر عليها الرغبات وتختلف بين البشر.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

د) أن ما كتب عن هذه المناهج هي أساليب يقوم بها الدعاة أنفسهم وتختص بهم وبالمدعوين، وتدخل ضمن منهج الدعوة، وهي جزء من العملية الدعوية التي تدور داخل إطار منهج الدعوة.

هـ) أنه من مفهوم منهج الدعوة ومفهوم أسلوب الدعوة نجد أن تعريف الأسلوب ينطبق على تعريف هذه المناهج، وأنه مشمول ضمن تعريف منهج الدعوة. فالمنهج أشمل من أن يحصر في العقل أو العاطفة أو الحس والتجربة.

و) كثير ممن عرف "المنهج" أطلق عليه كلمة "أسلوب"، وقد يكون هذا سبباً في الخلط؛ لأن هذه التعريفات كانت مصادرها علوماً أخرى غير شرعية، فكان اللبس هو تسمية الأسلوب بالمنهج؛ مما حرف معنى هذا المصطلح إلى غير معناه.

عوداً على بدء، فإن البحث في الأساليب هنا سوف يتطرق إلى أساليب الصحابة التي استخدموها في دعوتهم، وما الجوانب التي اشتملت عليها هذه الأساليب بشكل عام ومدى علاقتها بالناحية العقلية والحسية والعاطفية، وماذا توافر فيها من هذه المحاور.

محاور الأساليب الدعوية ومفهومها:

المحور الأول: الأساليب العقلية:

١. مفهوم الأساليب العقلية:

الأساليب العقلية في الدعوة هي ما يستعين بالدلالات العقلية لإثارة العقل ليتأكد من صحة الدعوة الإسلامية، «وقد أعدّ الله العقول بصفة عامة لإدراك ما هو مطلوب شرعاً، وأعد لها ما يسددها فيه من الفطرة التي لم تفسدها الأهواء، والآيات الظاهرة في الأنفس والآفاق، ثم أكمل بالشرع المتمثل بالكتاب وناطق السنة»(١).

وحيث إن المصدر الرئيس للدعوة هو القرآن والسنة النبوية، فقد خاطبا العقل بدون تناقض معه؛ لأن من أنزل القرآن وأوحى إلى الرسول ﷺ هو خالق العقل ﷻ، وقد قال شيخ الإسلام إنه: «كلما خالف الكتاب والسنة فإنه مخالف أيضاً لصريح العقول، فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح»(٢).

وقد أظهر الله سبحانه كثيراً من الحجج العقلية للمشركين ليبين لهم خطأ معتقدهم، فمنها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، مقدمة المحقق، ١/١٦.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٧/٦٦٥.

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[(١)]، يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: «إن هذا دليل عقلي قاطع على أن كل مَنْ سِوى الله فعبادته باطلة»[(٢)].

وقد كان للأسلوب العقلي تأثير قوي مع المشركين، يقول الدكتور محمد النبهان: «إن ظاهرة الوحي لدى المشركين لم تكن مرفوضة، بل كانوا يراقبون هذه الظاهرة بدقة وبمعيار عقلي واضح رغم محاربتهم لما جاء به الوحي»[(٣)].

ولأنه لا يستطيع أحد أن ينكر الحجج العقلية حتى وإن كانت غير موافقة لهواه، فإن تأثيرها يبقى في قلب وعقل من أنكرها استكباراً، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[(٤)].

وقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الإقناع العقلي في كثير من المواقف، ومنها حديث الشاب الذي أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال له ﷺ: «**ادنُ**»، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**»، قال: «**أتحبه لابنتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه**

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٦١٩.

(٣) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، ص٣٩، (بتصرف).

(٤) سورة النحل، الآية: ١٤.

لأخواتهم»، قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله، وجعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

فكان إقناع الرسول ﷺ لهذا الشاب بواسطة الأسلوب العقلي متمثلاً في استخدام هذا الأسلوب ومدى تأثيره على عقول الناس وسرعة الاستجابة، فهذا الشاب كان مسلماً من الصحابة إلا أنه لم يقتنع بتحريم الزنى حتى أقنعه الرسول ﷺ بالأسلوب العقلي، وتبيان بعض الحكمة من هذا التحريم، كما أن في تبسيط الأسلوب إلى الحد الذي يمكن أن تستوعبه عقلية المدعو ضماناً لوصول المعلومة وسرعة الاستجابة والاقتناع بها.

٢. أبرز استخدامات الأساليب العقلية:

أ) المقايسات العقلية:

هو أن يجعل الداعي من عقل المدعو حكماً على تصرفات نفسه، وذلك بإثارة العقل للتفكير وحثه على التفكر في حال نفسه، وما يقوم به من عبادة أو تصرفات، وذلك في الأمور الغائبة عن العقل، حتى يستحضرها ويجعلها أدلة

(١) المسند، أحمد بن حنبل، سادس مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، الصدي بن عجلان بن عمر بن وهب الباهلي عن النبي ﷺ، حديث رقم ٢٢٢٥٦، ٤٠٧/٧. حديث صحيح (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الأول، القسم الثاني، رقم ٣٧٠، ص٧١٢).

على الحق، من خلال تدبره لما حوله وما وقع منه، وبالاستنتاجات العقلية والمنطقية من منطلق الفطرة التي فطر الله بها خلقه، وهي عبادة الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه**»(١).

«والدلائل التي تحرك هذه الفطرة وتشير إلى وجود الله تعالى أكثر من أن تحصى، إنها تنبعث من كل شيء على وجه الأرض، بل ومن كل شيء في السماء، أضف إلى ذلك النظام البديع والدقة المتناهية في صنع هذه المخلوقات، والترتيب في سيرها وحركتها، فيدرك الإنسان بعقله وبصيرته أن هذا النظام وذلك الإبداع لا يمكن أن يحدث من غير مُحدث أو يوجد من غير مُوجِد؛ لأن تلك المخلوقات عاجزة عن إيجاد ذلك النظام الدقيق والترتيب المحكم من تلقاء نفسها»(٢).

قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣)، ومن المعلوم أن كل كائن من الكائنات الحية له فطرة فطره الله عليها إلا أن الله تبارك وتعالى ميز الإنسان بالعقل عن سائر الكائنات.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم ٦٧٥٨، ص١١٥٨.

(٢) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود أحمد الرحيلي، ١/٣٣٦.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

وقد تبنى القرآن الكريم الأسلوب العقلي في مخاطبة المشركين وإفحامهم في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾(2)، كما أن دعوة الرسل عليهم السلام تضمنت أسلوب المحاكاة العقلية في الدعوة، ومن ذلك قصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود بن كنعان والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾(3).

وقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب التحكيم العقلي في عدة مناسبات، كالشاب الذي أراد الزنى، وأيضاً فيما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ولد لي غلام أسود، فقال: «**هل لك من إبل؟**» قال: نعم، قال: «**ما ألوانها؟**» قال: حمر، قال: «**هل فيها من أورق؟**» قال: نعم، قال: «**فأنى ذلك؟**» قال: لعله نزعه عرق، قال: «**فلعل ابنك هذا نزعه عرق**»(4)؛

(١) سورة النمل، الآية: ٦٠.

(٢) سورة عبس، الآيات ٢٤-٣١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا عرَّض بنفي الولد، رقم ٥٣٠٥، ص٩٤٨.

فخاطب الرسول هذا الرجل بأسلوب يحكم فيه عقله بما يمكن أن يستوعبه، وهو أنه يملك إبلاً، فكان أقرب إلى فهمه، فقرره بأسلوب عقلي بسيط. وقد كان لأسلوب المحاكمات العقلية أثر واضح في دعوة الصحابة ﷺ، فعندما حضر سعد بن معاذ إلى مصعب بن عمير متشتماً دعاه مصعب إلى الاستماع إليه، ثم قرأ عليه أول سورة الزخرف[1]، فُعرف في وجهه الإسلام عند استماعه إلى هذه السورة، وبداية هذه السورة مخاطبة للعقل في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

ففي هذه الآيات دعوة إلى العقل وأصحابه، وذلك في قوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فأثارت عقل سعد بن معاذ حتى أسلم في الحال رضي الله عنه. وكما في دعوة فاطمة بنت الخطاب لأخيها عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، بإعطائه الصحيفة وفيها سورة طه حتى قرأ فيها ما جعله الله سبباً ليحرك عقله ويستثيره ليحكم على الحق ويتبع طريق الرشاد[3]، ففي سورة طه قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[4]. ففي هذه

(١) انظر: دلائل النبوة، البيهقي، ٣١٧/٢.

(٢) سورة الزخرف، الآيات: ١-٣.

(٣) يذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أنه قرأ من أول سورة طه حتى قوله تعالى (فتردى) الآية: ١٦، ويقول البيهقي في الدلائل إنه قرأ إلى الآية: ١٤ من سورة طه، وكذلك قال الذهبي في تاريخ الإسلام.

(٤) سورة طه، الآيات: ٣-٨.

الآيات ما يدعو إلى الفكر والتدبر والتأثير بواسطة الأسلوب العقلي لكل من لديه عقل، وذلك ما كان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومثل هذه الأمثلة في دعوة الصحابة الكثير من استخدام أسلوب المحاكمات العقلية.

ب) ضرب الأمثال:

«ضرب الأمثال هو تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، وأحد المحسوسين بالآخر، واعتبار أحدهما بالآخر»[1]، يقول الدكتور سعيد بن علي ثابت: «إن أسلوب ضرب الأمثال هو تقريبٌ لما يجب أن تنفعل به النفوس من المعاني، وتجسيد للمعاني والأفكار في شكل محسوس حتى يزداد المتلقي أنساً بها»[2]. ففي ضرب الأمثال توصيل بين العقل واللامحسوس بربطه بأمور يستوعبها العقل، وتشبه ما ضرب به المثل في أحد جوانبه أو جميعها. فمتى ما كان المثل قريباً للأفهام ومعروضاً في قالب حسن يبرز فيه المعنى بصورة يستوعبها العقل كان له الوقع في النفس والتأثير القوي، فالأمثال لها أهمية كبرى في الدعوة وتأثير على المدعوين، «فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً؛ فالأمثال شواهد المعنى المراد ومزكية له، فهي ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، ٢/ ٢٧٠.

(٢) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، سعيد بن علي ثابت، ص٢٧٠.

﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾[1] وهي خاصة العقل ولبه وثمرته»[2]، وقد ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز للتذكر والتفكر والعظة، قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

ومن الأمثال في القرآن ما يأتي:

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾[5].
- قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾[6].
- قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[7].

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، ٢/٤٢٥.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٥.
(٤) سورة الحشر، الآية: ٢١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٣٢.
(٧) سورة النحل، الآية: ٧٦.

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1].

واستخدم الرسول ﷺ الأمثال في الدعوة والتبليغ، وكان ذلك في أول دعوته ﷺ، فعن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمر قالا: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2]، قال: انطلق النبي ﷺ إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادى: «**يا بني عبد مناف، إني نذير، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه**»[3]، فكان المثل في أول إنذار منه ﷺ لعشيرته، فمثل نفسه بمن ينذر قومه من العدو، وسنورد من الأمثال في السنة النبوية بعضها لأنه لا يتسع المبحث لجميعها ومنها:

- قوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»[4].
- قوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[5].
- قوله ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير**»[6].

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، رقم ٥٠٧، ص١٠٨- ١٠٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، رقم ٢٤٤٦، ص٣٩٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، رقم ٦٥٨٦ ص١١٣١.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم ٥٥٣٤، ص٩٨٤.

- قوله ﷺ: «**مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب**»[(1)].

هذا وهناك كثير من الأمثلة في القرآن والسنة تدل على ضرب الأمثال للمدعو لتقريب الدعوة إلى الأذهان وتبسيطها على الأفهام.

وقد لجأ الصحابة رضي الله عنهم إلى هذا الأسلوب ليقيسوا ما هو مجهول لدى المدعو بما هو معلوم محسوس فيسهل التصور فيكون أدعى لقبول ما يعرضونه على المدعو؛ وذلك لتقبُّل النفس له واقتناع العقل به.

ومن المواقف التي استخدم الصحابة فيها ضرب الأمثال دعوة ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم عندما قال له: «إنَّ الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها» فضرب له مثل الدنيا الضيقة والدنيا الواسعة بالكفر والإيمان.

وفي دعوة الصحابة لعبدالله بن حرام عندما قالوا له: «إنا لنرغب بك أن تموت على ما أنت عليه فتكون لهذه النار غداً حطباً»، فشبهوا المشركين بالحطب الذي توقد منه النار ليسهل تصور الوضع يوم القيامة. وأيضاً عندما قام ابن مسعود رضي الله عنه يتلو سورة الرحمن على مسامع قريش عند المقام تحت الكعبة، ففيها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[(2)]، فذكرهم وضرب لهم المثل بذكر الآيات، «وهو

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، رقم ٥٠٢٠، ص٩٠٠.
(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ١٤- ١٥.

أن الإنسان كالطين اليابس والجن من اللهب الذي يكون في طرف النار إذا ألهبت، وهو اللهب الأصفر والأخضر»[١].

يقول الدكتور سعيد القحطاني: «إن ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يُرَدُّ به على الوثنيين في إبطال عقيدتهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم»[٢].

ج) القصص والعبرة:

منذ أن وجد الإنسان والقصص موجودة وملازمة له ومرتبطة بحياته، فكان هو من يضعها، وهو من يحدث بها، وهو من يستمع إليها، وذلك استثارة بوقائعها وتجديداً لأحداثها[٣]، وكان للقصة عند العرب أهمية، فقد سجلوها وحفظوها وتناقلوها واعتبروا بها؛ لأنها كانت تحمل تاريخهم وأمجادهم فتثيرهم وتؤثر فيهم وتشد انتباههم ليعيشوا معها، وقد عرفت القصص بأنها: «القدرة على مخاطبة الناس وتذكيرهم بالاعتماد على الأحاديث والسير الماضية»[٤]، «والعبرة هي ما يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد»[٥]، «وهي

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٠/٥٤٥- ٥٤٨.
(٢) كيفية دعوة الوثنيين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص١٥.
(٣) انظر: الدعوة الإسلامية، أحمد أحمد غلوش، ص٢٨٦.
(٤) وسائل الدعوة، عبدالرحيم محمد المغذوي، ص١١٦.
(٥) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، كتاب العين، ص٣٢٠.

مما يتعظ به الإنسان ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره»(1).

والقصة لون من ألوان الأدب قديماً عند الشعوب والأمم المختلفة، وقد وضعت الملاحم لتروي قصص وحكايات الشعوب.

وقد كان أفضل وأصدق القصص ما جاء به القرآن الكريم، والقصة في القرآن الكريم متميزة عن سائر أنواع القصص بأنها منزهة عن أي نقص في شكلها ومضمونها، ومنزهة عن الخيالات والأوهام والأساطير والأباطيل، وهي عفيفة الأسلوب، طاهرة اللفظ والمعنى، حيية السياق والعرض، بارعة التركيب، سامية القصد، حسنة الهدف، وهي تضم إلى جانب الإيضاح والتعليم والنصح جوانب الإقناع الذهني والنفسي والعلمي والأدبي، وتضم إلى جانب عرض الحقائق الدينية الحقائق التاريخية والاجتماعية والثقافية(2). وقد ذكر في القرآن الكريم الكثير من القصص، منها قصص الأنبياء ومنها غير ذلك، وقد أشار الله تعالى إلى أهمية القصص في الاعتبار والتفكر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(3)، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(4). وكان الرسول ﷺ يقص على الناس القصص

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف العين، باب العين مع الباء، ص٥٧٣.
(2) انظر: أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، أبو المجد سيد نوفل، (مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ٥٢، شهر شوال، ذو القعدة - ذو الحجة، ١٤٠٢هـ).
(3) سورة يوسف، الآية: ١١١.
(4) سورة النمل، الآية: ٧٦.

ليتعظوا، وقد أمره الله بذلك، قال تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(١)].

وقد اتبع الصحابة رضي الله عنهم الرسول في قص القصص على المدعوين من القصص القرآني الذي جاء من عند الله تبارك وتعالى، ومن ذلك الصحيفة التي أعطتها فاطمة بنت الخطاب لأخيها عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وفيها سورة طه، حيث ورد فيها قصة موسى عليه السلام عندما كان في الوادي المقدس، فعندما قرأها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم. فمن أفضل أساليب الوعظ استعمال الأسلوب القصصي؛ لأن النفس البشرية مجبولة على محبة القصة، والميل إليها، وربطها بالواقع، وحفظها أكثر من غيرها من الأساليب، وبمجرد سردها تقبل الأسماع عليها، وتتأثر بمضامينها تأثراً عظيماً؛ فالنفوس مولعة بمتابعة القصة، وتهتز لها عند سماعها، وتقبل عليها[(٢)]، وذلك ما حصل مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأيضاً في قراءة مصعب بن عمير رضي الله عنه بداية سورة يوسف على عمرو بن الجموح[(٣)]، وفيها قصة يوسف عليه السلام.

ومن التذكير بالقصص للعبرة دعوة النجاشي لعمرو بن العاص عندما قال له: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده؛ فذكره بقصة موسى عليه السلام وفرعون. وأيضاً ما ذكره عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه لقومه عن العرب فقال: «كانوا يجمعون بين الأختين، والتراث في الشهر الحرام، ويخلف الرجل على امرأة أبيه».

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٢) انظر: البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز فرحان العنزي، ص ١٠٤.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١/١٩٤.

وهكذا كان للصحابة اهتمام في استعمال القصة للتذكير بالله تعالى ومخاطبة العقول بتشويقها وتحميسها للاستماع للحق وتقريبها إلى الله وحثها على اتباع الإسلام.

المحور الثاني: الأساليب العاطفية:

١. مفهوم الأساليب العاطفية:

العاطفة لا تتعدى (البر والشفقة والرقة والميل والحنان والمحبة والغضب والحزن والرحمة)، هذه الكلمات مجتمعة داخل النفس البشرية، وهي أيضاً «استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية خاصة، والقيام بسلوك معين حيال شخص أو جماعة أو فكرة معينة»[١]، «وهي مصدر الانفعالات»[٢]، وفي علم الاجتماع تعرف العاطفة بأنها «حالة نفسية قائمة تشتمل على مركب من المشاعر والأحاسيس، وتتميز بأن مصدرها داخلي»[٣].

والأساليب العاطفية هي تلك الأساليب التي تستخدم لإثارة الحالة النفسية لدى الفرد لتحرك أحاسيسه ومشاعره تجاه موضوع معين، أو فكرة معينة، يترتب عليها القيام بسلوك معين.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ٢/١٥١٦.

(٢) المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص٤٠٦.

(٣) قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، ص١٤٠.

«وبهذا تكون هذه الأساليب موجهة إلى الحس الداخلي للأشخاص، فهو منشط للسلوك وموجه للأحكام التي يتخذها الشخص تجاه الأشخاص والجماعات والأفكار والأشياء»[1].

ومن هذا نجد أن العاطفة لها دور كبير وفعال في تصرفات البشر، وقد ذكر الله ﷻ عواطف البشر في مواضع عدة، فمنها العاطفة الأبوية لدى نبي الله نوح عليه السلام عندما نادى ابنه ليركب معهم في السفينة، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

يقول الإمام الشوكاني: «قيل: حملته شفقة الأبوة على ذلك»[3]، أي على دعائه ابنه، وهو يعلم أنه كافر، ويقول ابن عاشور: «إن استخدام كلمة "يا بني" وهي تصغير لكلمة "ابن" هو تصغير شفقة ورحمة»[4]، والشفقة هي من العاطفة التي جعلت نوحاً عليه السلام يخاف على ابنه من الغرق كافراً.

كذلك أم موسى عليه السلام فقد وصف الله ﷻ عاطفتها على ولدها فقال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، «ففراغ الفؤاد هو الخوف والإشفاق»[6]،

(١) معجم المصطلحات الحديثة، سمير سعيد حجازي، ص٢١٩، (بتصرف).

(٢) سورة هود، الآية: ٤٢.

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ٢/٣٦٣.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد الخامس، الجزء الثاني عشر، ص٧٦.

(٥) سورة القصص، الآية: ١٠.

(٦) التفسير الكبير، الرازي، المجلد الثاني عشر، الجزء الرابع والعشرون، ص١٩٦.

وهذا من العاطفة التي كادت أن تتسبب بالقيام بفعل وهو قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ﴾، «أي كانت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد»[1].

وقد ظهرت عاطفة رسول الله ﷺ عند وفاة ابنه إبراهيم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين وكان ظفراً لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يا ابن عوف إنها رحمة**»، ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[2]، فعاطفة الرسول ﷺ برزت هنا لتدلل على أن الإسلام دين رحمة وعاطفة، وأنها مقبولة في مناسبتها ووقتها.

إن استخدام الأسلوب العاطفي في الدعوة هو من الأساليب المهمة للداعي لتأثيره في الناحية الذهنية للمدعو مما يستثير المدعو لإصدار الأحكام والقيام بسلوك معين، فمتى وظَّف الداعي هذا الجانب التوظيف الصحيح والأمثل بما يوافق الأخلاق الإسلامية كان لهذا الأسلوب تأثير أكبر وأقوى من الأسلوب العقلي.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٠/٤٤٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، رقم ١٣٠٣، ص٢٠٨.

وقد كان للأساليب العاطفية في دعوة الصحابة دور واضح أدَّى إلى إسلام الكثير من المشركين.

٢ . أبرز استخدامات الأساليب العاطفية:

أولاً: أسلوب الترغيب:

«الرغبة في الشيء هي الإرادة له»[١]، «ورغب يرغب رغبة، أي: حرص على الشيء وطمع فيه»[٢]، وبذلك يكون الترغيب هو «الحث على فعل الخير وتشويق المدعوين به واستجابة مقبولة بنفس راضية راغبة إليه»[٣].

وقد جبلت النفس البشرية على الرغبة في الحصول على ما تحب فتضعف عند ذلك مقاومتها؛ لوجود لذة تأتي بمجرد الحصول على الرغبات، وهو الدافع وراء كل رغبة.

ولما في الترغيب من تحريك للعواطف داخل الأشخاص فإن استخدامه كأسلوب في الدعوة له من الأهمية ما يدعو إلى عدم إهماله من قبل الدعاة، والترغيب يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف التي تتعلق بالمدعوين.

والترغيب نوعان، فهناك ترغيب بما في الدنيا من خير، والآخر الترغيب بما في الآخرة من مغفرة وجنة، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأنواع كما ذكرها

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، كتاب الراء، باب الراء والغين وما يثلثهما، ٢/٤١٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: رغب، ١/٤٢٣.

(٣) منهجية علم الدعوة، محمد قاسم الشوم، ص١١٤.

الرسول ﷺ في أحاديثه وسيرته، وسوف نتحدث عن كل نوع على حدة، وما أساليب الترغيب التي استخدمها الصحابة ﷺ في دعوتهم للمشركين.

أ) الترغيب بخير الدنيا:

النفس البشرية تواقة إلى الحصول على كل ما في الدنيا من خير، وهذا دافع لها لاتخاذ السبل الموصلة إلى هذه الخيرات، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٢]، والله ﷻ هو خالق البشر، وأعلم بهم، وبما تتوق له أنفسهم في هذه الدنيا؛ لذلك جعل لهم مقابل كثير من الأعمال مكافآت دنيوية كالوعد بالحياة الطيبة في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[٣]، كما رغبهم في شكر النعم بأن فيها زيادة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٤]، وزيادة الأموال والأبناء والخيرات مقابل الاستغفار، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

﴿جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾[1]. وأيضاً ما ورد في السيرة من أن مشركي قريش عندما طلبوا من أبي طالب عم الرسول ﷺ أن يكلم لهم ابن أخيه ليكف عنهم ويكفوا عنه، فأرسل إليه أبو طالب وهم حضور فتكلموا حتى فرغوا فقال لهم ﷺ: «**إن أعطيتكم ما سألتم أمعطيَّ أنتم كلمة واحدة لكم فيها خير تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم**»، فقال أبو جهل وهو مستهزئ: نعم لله أبوك كلمة نعطيكها وعشرة أمثالها، فقال: قولوا: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له**»[2]، فقد رغبهم الرسول ﷺ في الإسلام مقابل ملك العرب ورضوخ العجم لهم.

وصور ترغيب الصحابة للمشركين عدة منها ما يأتي:

(١) تأمين أبي ذر الغفاري رضي الله عنه لحويطب بن عبدالعزى في فتح مكة، وذلك عندما هرب حويطب من أبي ذر لما رآه، فقال له أبو ذر: يا أبا محمد، لا خوف عليك، أنت آمن بأمان الله عز وجل، فكان ذلك سبباً في إسلام حويطب على يد أبي ذر رضي الله عنهما، وهنا رغب أبو ذر الغفاري حويطباً بالأمان في الدنيا، وأنه لن يقتل ولن يتعرض له أحد لعلمه أن حويطباً محتاجٌ لذلك الأمان، وراغبٌ فيه، فكان ذلك أسلوبه في دعوة حويطب، كما رغبه أيضاً في موقف لاحق بقوله له: فاتك خير كثير وبقي خير كثير.

(١) سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢.

(٢) السيرة النبوية، ابن إسحاق، ص٢٦٧.

فالترغيب في الخير الباقي له معنى في نفس حويطب بأنه سوف يحصل عليه ما إن يسلم، وقد حصل له ذلك بعد غزوة حنين؛ فقد أعطاه الرسول ﷺ من غنائم حنين مائة بعير[1].

(٢) الوليد بن الوليد رضي الله عنه يستخدم أسلوب الترغيب مع أخيه خالد بن الوليد، وذلك عندما أرسل إليه كتاباً يدعوه فيه، فذكر له فيه سؤال الرسول ﷺ عنه وقوله ﷺ: «**لو كان جعل نكايته وجدَّه مع المسلمين كان خيراً له، ولقدمناه على غيره**»، فذكر الوليد لهذا القول وإرساله به إلى أخيه خالد بن الوليد فيه ترغيب دنيوي، وهو قوله ﷺ: «**لقدمناه على غيره**»، ولأن النفس البشرية تحب التقدير والتقديم وخصوصاً أمام الناس، فكان في ذلك ترغيب له بما سيكون عليه وضعه في الدنيا بين المسلمين وأنه لن يكون مهمشاً، وقد أسلم خالد رضي الله عنه وكان كما قال ﷺ؛ فقد أرسله في عدة سرايا وقدمه على كثير من المسلمين وسماه "سيف الله"[2].

(٣) عندما أسلم عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه استأذن الرسول ﷺ أن يبعثه إلى قومه ليدعوهم فأذن له الرسول ﷺ، وعندما أتى قومه كان أول ما قال لهم هو ترغيبهم في الإسلام بما فيه من فضائل في الدنيا، فقد قال لهم فيما قال: «وآمركم بحقن الدماء وصلة الأرحام»، وهاتان الخصلتان

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ١٧٥/٢.

(٢) انظر: المغازي، الواقدي، ص٥٩٠.

يحبهما العرب، ويفضلونهما بسبب ما عانوه من الحروب وقطع الأرحام، فخاطبهم بها ورغبهم فيها لمعرفته بقومه وما يثير عواطفهم، خصوصاً وأنه هو ابن سادن لصنم كان يعبده قومه، ففي هذا أيضاً ترغيب ضمني لكون ابن السادن يترك دين أبيه الذي له مكانة ووجاهة اجتماعية، بالإضافة إلى القرابين التي تدخل إلى بيت مال ذلك الصنم، فيرفض كل ذلك ويتبع ديناً غير دينه، إلا أن فيه ما هو أفضل، وقد تبعه قومه ولم يتخلف عنهم إلا رجل واحد.

(٤) يرغب بجير بن زهير بن أبي سلمى أخاه كعباً في الإسلام عن طريق ترغيبه في الحياة والنجاة من القتل، وكان رسول الله ﷺ قد أهدر دم كعب بن زهير، فقال ﷺ: «**من لقي كعباً فليقتله**»، وذلك بسبب أبيات قالها في رسول الله ﷺ عندما أسلم أخوه بجير، فبعد إهدار دمه أرسل بجير رسالة إلى أخيه كعب يرغبه في الإسلام بواسطة ترغيبه في الحياة فيقول في رسالته: اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك، فإذا جاءك كتابي فأسلم وأقبل. فإيضاحه أن الرسول يقبل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فيه ترغيب لأخيه بالنجاة والسلامة من القتل، فكان له ذلك فأسلم وقال قصيدته المشهورة في رسول الله والتي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

(٥) وفي رسائل قادة الجيوش الإسلامية ومبعوثيهم إشارة إلى ترغيب المشركين في الفوز بالدنيا وعدم التعدي عليهم أو أذيتهم، وأنهم من المسلمين، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، كما ورد في كتاب خالد بن الوليد ﷺ إلى مرازبة أهل فارس، ودعوة سلمان الفارسي ﷺ لأهل فارس في قوله: فإن أسلمتم فلكم مثل الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا. وفي هذا إيضاح أن الإسلام لم يأت ليقتل أو ليستبيح الدماء، إنما جاء لنشر العدل وهو ليس دين انتقام؛ كما كان يحدث في ذلك الوقت من أن الدولة التي تنتصر على دولة تبيدها، وتقتل كل من انتمى إليها، ومن يعش منهم يعش في ذل واحتقار، إلا أن دعوة الصحابة استخدمت أسلوب الترغيب بالحياة الكريمة وعدم التعدي على أحد في ظل الإسلام، وتحت رايته بعكس ما يتوقعون.

ب) الترغيب بخير الآخرة:

للدنيا حظ لدى البشر، ومحبة لها، وما فيها من خير، إلا أن الأساس هو الفوز بالآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾(١)، وقد جعل الله ﷻ جوائز الآخرة هي الجوائز الباقية، فقد وعد الله سبحانه من آمن من بني آدم بخير كثير في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾(٢)،

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧- ١٠٨.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[1]، وقد وعد الرسول ﷺ الخزرج بالجنة إذا هم وفوا بعهدهم معه.

وقد كانت أكثر دعوة الصحابة بالترغيب بالآخرة، وما عند الله فيها، وأن هذه الدنيا زائلة، وأن النعيم هو النعيم الدائم، ومن هذه النماذج الدعوية لأسلوب الترغيب بما في الآخرة من خير ما يأتي:

(١) في دعوة عمر بن مرة الجهني لقومه ترغيب في الجنة، ومما قال لهم: «يا بني رفاعة ثم يا بني جهينة، إني رسول الله إليكم أدعوكم إلى الجنة»، فكانت دعوته إلى الجنة هي البداية التي من خلالها استفتح خطابه لهم، فرغبهم بالجنة لكي يحرك عواطفهم قبل أن يدعوهم للإسلام، وكما ذكرنا سابقاً أنهم أسلموا جميعاً إلا رجلاً واحداً.

(٢) في النقاش الذي دار بين المغيرة بن شعبة ورستم قائد الفرس، أشار المغيرة رضي الله عنه إلى أن الآخرة هي المطلب، والفوز بها هو الفوز، وذلك في قوله: «إنما همنا وطلبنا الآخرة، فأوضح لرستم مدى فضل الآخرة للمسلم، ومدى شوقه لها، مما جعل رستم يعجب به وبردوده، مما دعاه يذكر الإسلام لقادته ورؤساء قومه»[2].

(١) سورة الدخان، الآيات: ٥١-٥٤.
(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، المجلد الرابع، الجزء السابع، ص٣٨.

(٣) يعرض ربعي بن عامر الإسلام على رستم وهو بين حاشيته ويذكر لهم بعض محاسن الإسلام ثم يوضح أن النهاية هي موعود الله، وعندما سُئل ما هو موعود الله قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى. فأوضح أن الرغبة بالجنة هي الغاية، وأن من أسلم كانت الجنة هي موعوده بخلاف من لم يسلم.

(٤) عندما دعا عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه قومه فآذوه ونالوا منه ورموه بقوس أصاب أكحله، وقبل أن يموت كاد القوم أن يقتتلوا، فقال لهم عروة رضي الله عنه: لا تقتتلوا، فهذه كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ. ففي هذا المقال إيضاح لما ينتظر الشهيد من الكرامة في الآخرة، فقد بينها لهم، وأوضحها قبل وفاته رضي الله عنه، وقد قال عنه الرسول ﷺ: «**مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه**».

ثانياً: أسلوب الترهيب:

مثلما أن الترغيب يجلب النفوس إلى ما تحب فإن الترهيب يخيفها ويردعها، فالترهيب من الرهبة وهي «الخوف والفزع»[1]، وهو أسلوب فيه نوع من الشدة، فأسلوب الترهيب في الدعوة هو «تذكير المدعو بكل ما يخيفه، وتهديده بالعذاب إن عاجلاً أو آجلاً، إن خالف ما أمر به الله، وارتكب ما نهى عنه؛ لأن النفس كما تستجيب عن طريق الترغيب تنقاد عن طريق الترهيب خوفاً أو طمعاً»[2].

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: رهب، ١/٤٣٧.
(٢) منهجية علم الدعوة، محمد قاسم الشوم، ص١١٤.

والترهيب كان من أساليب الرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾[2]، وقد أنذر الرسول ﷺ الناس من النار، فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنذركم النار، أنذركم النار، أنذركم النار**»[3].

وقد أُستخدم الترهيب للتنفير من الأعمال السيئة والمعاصي، وذلك إما أن يكون بالترهيب من عاقبة في الدنيا أو مآل في الآخرة، وهذا الأسلوب يتعامل مع النفس البشرية بإثارة عاطفة الخوف في داخلها، وذلك لتراجع ما تقوم به، وليبعث فيها النفس اللوامة حتى تنجو من عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة. ولأن نفوس البشر تألف الشهوات فكان الترهيب أداة إنذار وتحذير وإيقاظ للتخويف من عواقب الأمور وخواتيمها، ولأن بعض النفوس لا تأتي بالترغيب فيكون الترهيب هو الأسلوب الأمثل، ومن خلال التربية النبوية للصحابة نجدهم لا يقومون بأي عمل أو أسلوب إلا اتباعاً لما عرفوه من سنة الرسول ﷺ، فكان ترهيبهم بالخوف من غضب الله وعقابه في الدنيا والآخرة هو الأسلوب المتبع لديهم، وسوف يتضح لنا ذلك من عرض بعض مواقف الترغيب والترهيب لديهم رضي الله عنهم، وكيفية استخدام هذا الأسلوب، ومع من يستخدم:

(١) سورة نوح، الآية: ١.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢١.

(٣) صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الخوف والتقوى، الحديث رقم ٦٤٣، ٢/ ١٤. حديث صحيح (الألباني، المشكاة، رقم ٥٦٨٧، ٣/ ١٥٨٣).

أ) عندما نزل الرسول ﷺ بمر الظهران قبل دخوله مكة قام العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه بدعوة أبي سفيان، وكان ذلك بأسلوب الترهيب من عاقبة الأمور في الدنيا، فلما التقيا قال العباس: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله، قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك.

ففي بداية حديث العباس مع أبي سفيان رضي الله عنهما كان إشارة إلى الهلاك الدنيوي فقوله: "واصباح قريش والله" كانت إرهاباً وإرعاباً لأبي سفيان، مما جعله يسأل عن الحيلة والحل، فكان في الثانية أيضاً ترهيب من القتل في قوله: "والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك"، فكان في البداية تخويف من هلاك القبيلة كاملة، وبعد ذلك تخويف من هلاكه بنفسه، وقد أثمر ذلك الأسلوب عن ذهاب أبي سفيان مع العباس رضي الله عنهما إلى الرسول ﷺ وإسلامه.

ب) حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر رسول الله ﷺ والمدافع عن الإسلام بشعره، يرسل أبياتاً لابن الزبعرى يخوفه فيها من وضعه وحالته التي هو عليها، وذلك بعد هروبه من الرسول ﷺ في فتح مكة ولجوئه إلى حصن في نجران، وكان قد آذى الرسول ﷺ بشعره فقال له حسان في أبياته:

لا تعدمن رجلاً أحلك بُغضُه ... نجـرانَ في عيش أحـذَّ لئيمِ
بُليت قناتك في الحروب فأُلفيت ... خمانـةً جوفـاء ذات وصومِ
غضب الإلـه على الزبعرى وابنه ... وعذاب سوء في الحياة مقيمِ

وفي هذه الأبيات تخويف لابن الزبعرى من وضعه الحالي في نجران، والعيش اللئيم، بالإضافة إلى ترهيبه من غضب الله عليه في الآخرة، وسوء الحياة في الدنيا، وأنه سيبقى معذباً فيها، فكان لذلك وقع في نفس ابن الزبعرى مما جعله يعود إلى الرسول ﷺ ويعلن إسلامه ويقول عنه الرسول ﷺ عندما رآه مقبلاً: «**هذا ابن الزبعرى ومعه وجه فيه نور الإسلام**».

جـ) في قصة بجير بن زهير مع أخيه كعب بن زهير رضي الله عنهما ترغيب وتحبيب في العفو، وفيها أيضاً ترهيب من القتل وتبيان ذلك له، فقد أخبر بجير أخاه كعباً في كتابه له أن الرسول ﷺ قد أهدر دمه، وقال له: «النجاء وما أراك تفلت»، فذكر إهدار الدم فيه من الرهبة والخوف ما يكفي، وخصوصاً أن المسلمين قد ظهروا على المشركين وفتحوا مكة، ثم ألحق التهديد الأول بتهديد آخر يبين فيه عدم إمكانية النجاة؛ لأن المسلمين أصبحوا في كل مكان، ودانت لهم العرب، فحرك ذلك الشعور بالرهبة من القتل، والرغبة كما ذكرنا سابقاً بالنجاة، فكان خليطاً من الرغبة والرهبة مما جعله يسلم ويعتذر للرسول ﷺ، وأوضح مدى الرهبة والرغبة في قصيدته التي قال فيها:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ ... ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل

د) ولقد جمع خالد بن الوليد رضي الله عنه في كتبه إلى الفرس عدة أساليب من أساليب الدعوة، ومن هذه الأساليب الموجودة في كتبه أسلوب الترهيب والذي كان فيه نوع من إبراز عزة الإسلام والمسلمين، وأنهم أقوياء بالله، ولم يقل إن قوته بنفسه، فمن الشواهد في كتبه على التهديد والتخويف كتابه إلى رستم ومهران وملأ فارس الذي ذكره الطبراني في "المعجم الكبير"، ويقول فيه: «فإن معي قوماً يحبون القتل في سبيل الله كما تحب فارس الخمر».

وفي كتابه لأهل المدائن الذي ذكره الطبري وفيه يقول خالد بن الوليد: «وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة»، فكان خالد قائد جيوش المسلمين يرهب المشركين من الفرس بقوة المسلمين ومحبتهم للموت في سبيل الله على الحياة، مما جعل أهل المدائن عندما قرؤوا هذا الكتاب يتعجبون منه.

هـ) من أعظم أساليب الترهيب في الدعوة التي استخدمها الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين هو ما قام به أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ من إنفاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه في وقت كانت القبائل العربية ترتد عن الإسلام، بالإضافة إلى معارضة بعض الصحابة لذلك، إلا أن إنفاذ الجيش كان فيه نوع من استعراض القوة حتى يتبين للمشركين ومن ارتد أن الدولة الإسلامية لا يزال لها هيبة ومنعة وقوة ولم تضعف، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ

عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[1]، كما أن في كتابه ﷺ الذي أرسله مع قادة الجيوش إلى قبائل العرب شيئاً من الترهيب لمن ارتد وأصبح من المشركين وذكر فيه: «وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام»[2].

فكانت دعوته ﷺ بالترهيب مما سوف يحصل إن لم يرجعوا إلى الإسلام، وكان لذلك دور كبير في عودة الكثير إلى الإسلام، ومن لم يسلم برهبة الكتاب أسلم برهبة الجيوش.

و) من أساليب الترهيب التي استخدمت في الدعوة ما قام به الأنصار من دعوتهم لعبدالله بن عمرو بن حرام أبي جابر عندما واعدهم رسول الله ﷺ العقبة أوسط أيام التشريق، فكان من دعوتهم له ما ذكره كعب بن مالك أنهم قالوا له: «إنا لنرغب بك أن تموت على ما أنت عليه فتكون لهذه النار غداً حطباً»، وعرضوا عليه الإسلام فأسلم وحضر بيعة العقبة.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/٢٥٨.

فمن علمهم أن الناس صائرون إلى جنة أو نار أرادوا أن يذكروا عبدالله بن عمرو بن حرام بالنار ويخوفوه منها، ومن أن يكون لها حطباً بعد موته، فكان لهذا الأسلوب دور في إسلام عبدالله بن عمرو بن حرام ﷺ أجمعين.

ثالثاً: أسلوب المدح:

«المدح هو حسن الثناء»[1]، وقيل «هو وصف المحاسن بكلام جميل»[2]، يقول الفيومي: «مدحته مدحاً: أثنيت عليه بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية»[3]، ويقول الكفوي في "الكليات": «والمدح هو الثناء باللسان على الجميل مطلقاً سواء كان من الفواضل أو من الفضائل، وسواء كان اختيارياً أو غير اختياري»[4].

ويقول الراغب الأصفهاني: «الحمد أخص من المدح وأعم من الشكر، فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، ومما يقال منه وفيه بالتسخير، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلا في مقابل نعمة، فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكراً، وكل حمد مدح، وليس كل مدح حمداً»[5].

---

(١) العين، الفراهيدي، حرف الحاء، باب الثلاثي الصحيح، باب الحاء والدال والميم معهما، ٣/١٨٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، كتاب الميم، باب الميم والدال وما يثلثهما، ٥/٣٠٨.

(٣) المصباح المنير، الفيومي، كتاب الميم، ص٢٩٢.

(٤) الكليات، الكفوي، فصل الميم، ٤/٢٧٧.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، كتاب الحاء، ص١٣١.

والمدح نوعان: مدح مباح، ومدح مذموم، فالمدح المباح هو ما توافرت فيه الأمور الآتية:

١. الصدق بما مدحه به.

٢. عدم المبالغة ومجاوزة الحد.

٣. الأمن من فتنة الممدوح.

أما المدح المذموم فهو ما انعدمت فيه ضوابط المدح المباح، فانعدم فيه الصدق أو صاحبَه النفاق أو اتخذه مهنة للتكسب، وزاد الممدوح بطراً وتكبراً وظلماً ورياءً[١]، وهو ما نهى عنه الرسول ﷺ في حديث أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده رجل فقال رجل: يا رسول الله، ما من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل منه في كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «**ويحك، قطعت عنق صاحبك**»، مراراً يقول ذلك[٢].

أما المدح المباح فقد مَدَح الرسول ﷺ أصحابه في كثير من المواقف، فذَكَرَ فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وموقف الشيطان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال عن عثمان «**ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم**» وغيرها.

لقد جبل الله سبحانه وتعالى الأنفس على حب المدح، يذكر الإمام الغزالي أن حب القلوب للمدح يقع لأربعة أسباب[٣]:

(١) انظر: دعوة النبي ﷺ للأعراب، حمود بن جابر الحارثي، ص٢٤١-٢٤٣، ٢٤٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح، رقم ٧٥٠٢، ص١٢٩٦.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ص١٢٤٢- ١٢٤٣.

السبب الأول: شعور النفس بالكمال، وهو الأقوى، فإن الكمال محبوب وإدراكه لذيذ، وتندفع هذه اللذة إذا علم الممدوح أن المادح كاذب.

السبب الثاني: أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح، وملك القلوب محبوب، والشعور بحصوله لذيذ، وتذهب هذه اللذة إذا كان يعلم أن المادح لا يعتقد ما يقول.

السبب الثالث: أن ثناء المُثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه، وهذا مختص بثناء يقع على الملأ، فإن كان على انفراد تسقط هذه اللذة.

السبب الرابع: أن المدح يدل على حشمة الممدوح، واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالمدح سواء عن طوع أو عن قهر، فإن الحشمة لذيذة لما فيها من القهر والقدرة، وتبطل هذه اللذة إن كان ذلك عن طريق اللعب وليس عن طريق الخوف.

ولأن النفوس تحب المدح؛ فإن استخدامه كأسلوب من أساليب الدعوة من خلال المدح المباح لمخاطبة مشاعر وعواطف المدعوين، له تأثيرٌ في كسر الحدة والجفوة، وفيه فتح باب للحوار والنقاش وعرض الإسلام؛ لأن النفوس تكون قد اطمأنت وذهب عنها روعها، وأمنت للداعي إذا سمعت الثناء والمدح، يقول الإمام النووي: «إن كان يحصل بذلك -المدح- مصلحة كنشطة للخير والازدياد منه أو الدوام عليه والاقتداء به، كان مستحباً والله أعلم»[1].

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، المجلد الثاني، الجزء الثامن عشر، رقم ٣٠٠٠، ص٤١٧.

«فالعدل في المدح يُعد أسلوباً مؤثراً من أساليب الدعوة، فعندما يذكر المرء أو القوم بصفاتهم الحسنة وخلالهم الجميلة حتى وإن كانوا كفاراً فإنه مما يدعوهم لحب المادح، وقبول المبادئ التي يدعو إليها»[(١)].

وقد مدح الرسول ﷺ بعض الكفار فيما هو من صفاتهم الحميدة، فقد مدح بني شيبان عندما عرض نفسه عليهم وسمع ردهم فقام من عندهم وقال لأبي بكر رضي الله عنه: «**أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها، يدفع الله بها بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم**»[(٢)].

وقد اتخذ بعض الصحابة رضي الله عنهم هذا الأسلوب في دعوة المشركين إلى الإسلام، ومن هذه النماذج ما يأتي:

أ) عندما ذكر عثمان بن عفان رضي الله عنه قبل أن يسلم قصة خالته وما قالته له عن الرسول ﷺ لأبي بكر الصديق، فكان رد أبي بكر رضي الله عنه فيه نوع من المدح لعقل عثمان بن عفان رضي الله عنه وحزمه، فقد قال له: «ويحك يا عثمان! إنك رجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل».

فوصف أبي بكر لعثمان رضي الله عنهما أنه حازم فيه مدح له في عقله وفي تصرفاته، وقد أسلم عثمان رضي الله عنه في ساعته، وذهب إلى النبي ﷺ مع أبي بكر وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

(١) دعوة النبي ﷺ للأعراب، حمود بن جابر الحارثي، ص٢٥٠.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي، باب عرض النبي نفسه على قبائل العرب وما لحقه من الأذى في تبليغه رسالة ربه، حديث أبان عن عبدالله البجلي في عرض رسول الله ﷺ نفسه على قبائل العرب، رقم ٧٢٨، ٢/٣١٣.

ب) عندما قابل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المشرك عمرو بن عبد ود في غزوة الخندق وقبل أن يعرض عليه الإسلام امتدحه بأنه رجل له كلمة لا يتراجع عنها، وذلك في قول علي رضي الله عنه: «لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها»، وفي هذه إشارة إلى أن عمرو بن عبد ود رجل صاحب كلمة ومبدأ، فتذكير علي رضي الله عنه له بها فيه تقدير لمقالته واحترام له لأنه رجل ممن تحسب كلماتهم، إلا أن ذلك لم يكن له فائدة مع من كُتب عليه الشقاء مثل عمرو بن عبد ود حيث قتله علي كافراً.

جـ) في كتاب الوليد بن الوليد رضي الله عنه الذي أرسله إلى أخيه خالد بن الوليد رضي الله عنه والذي ذكرناه سابقاً، بالإضافة إلى أسلوب الترغيب فيه مدح له ولعقله، فقد قال له في كتابه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك، ومثل الإسلام جهله أحد؟!».

وفي قوله: "وعقلك عقلك" أي وأنت صاحب العقل الراجح الذي يميز، وهذا مدح له ولما لديه من التمييز والعقل الراجح وكأنه يقول له: "يا صاحب العقل الراجح"، ففيها استمالة لنفس أخيه بمدحه لكي يعلم قدره عند الداعي وأنه له قيمة ومكانة.

د) بعد عودة عمير بن وهب رضي الله عنه إلى مكة من عند رسول الله ﷺ ذهب إلى صفوان بن أمية في الحجر عند الكعبة وكان قد أرسله صفوان لقتل الرسول ﷺ فقال له عمير: «أنت سيد من ساداتنا، أرأيت الذي كنا

عليه من عبادة حجر وذبح له، أهذا دين؟!»[1]، فقد بدأ عمير رضي الله عنه صفوان بالثناء عليه وذكر مكانته في قريش وأنه سيد من السادة، وفي هذا تهدئة للنفوس من الاشتحان بسبب إسلام عمير رضي الله عنه؛ وذلك حتى يستمع له، ويلقي له باله، وقد استمع له حتى انتهى من كلامه، ولم يجبه بكلمة إلا أنه استطاع تبليغ دعوته إلى صفوان في تلك الساعة بأسلوبه الذي كان فيه تقدير وثناء له بما هو فيه، وإن كان عمير رضي الله عنه سعى في إسلام صفوان لاحقاً وكان له الفضل في ذلك.

هـ) عندما ذهب العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه إلى المنذر بن ساوى العبدي في البحرين بكتاب رسول الله ﷺ قال له فيما قال: «يا منذر، إنك عظيم العقل في الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة... ولست بعديم عقل ولا رأي..»[2]. وكان المنذر بن ساوى هو صاحب البحرين، وقد مدح العلاء عقله وأثنى على رأيه وهو يدعوه إلى الإسلام حتى إنه أسلم وأرسل وفداً إلى النبي ﷺ يخبره فيه بإسلامه وإسلام قومه.

رابعاً: أسلوب الرحمة والمودة:

الرحمة في اللغة هي «الرقة والعطف والرأفة»[3]، ويقول الجرجاني: «هي إرادة إيصال الخير»[4]، ويقول الكفوي: «إن الرحمة هي حالة وجدانية تعرض غالباً لمن

(١) المغازي، الواقدي، ص١٢٠.

(٢) الروض الأنف، السهيلي، ٧/٥١٩- ٥٢٠.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، كتاب الراء، باب الراء والحاء وما يثلثهما، ٢/٤٩٨.

(٤) التعريفات، الجرجاني، باب الراء، ص١١٥.

به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان»[1]، وقال الجاحظ عن الرحمة: «إنها خلق مركب من الود والجزع، والرحمة لا تكون إلا لمن تظهر منه لراحمه خلة مكروهة، إما نقيصة في نفسه وإما محبة عارضة، فالرحمة هي محبة للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رُحم»[2].

والله تعالى هو الرحمن الرحيم، فالرحمة هي من صفات الله تعالى، وللإمام الغزالي كلام جميل في ذلك يكفي عن أي كلام، قال رحمه الله: «"الرحمن الرحيم" اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة تستدعي مرحوماً، ولا مرحوم إلا وهو محتاج، وهو الذي ينقضي به حاجة المحتاج من غير قصد وإرادة وعناية، فالمحتاج لا يسمى رحيماً، والذي يريد قضاء حاجة ولا يقضيها فإن كان قادراً على قضائها لا يسمى رحيماً؛ إذ لو تمت الإرادة لوفى بها وإن كان عاجزاً، فقد يسمى رحيماً باعتبار ما اعتوره من الرقة ولكنه ناقص.

وإنما الرحمة التامة إضافة الخير على المحتاجين وإرادته لهم، عناية بهم، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحمة الله تامة عامة، أما تمامها: فمن حيث أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها، وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق، وعم الدنيا والآخرة، وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجية منها فهو الرحيم المطلق حقاً»[3].

(١) الكليات، الكفوي، فصل الراء، ٢/٣٧٧.
(٢) تهذيب الأخلاق، الجاحظ، ص٢٤.
(٣) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الغزالي، ص٦١.

وقد كان الرسول ﷺ نبي الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[(١)]، وقال ﷺ: «**أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة**»[(٢)].

أما المسلمون فهم رحماء، والرحمة خلق من أخلاق المسلم؛ إذ منشأ الرحمة صفاء النفس وطهارة الروح، والمسلم بإتيانه الخير وعمله الصالح وابتعاده عن الشر واجتنابه المفاسد هو دائماً في طهارة نفس وطيب روح، ومن كان هذا حاله فإن الرحمة لا تفارق قلبه، ولهذا كان المسلم يحب الرحمة ويبذلها ويوصي بها ويدعو إليها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾[(٣)(٤)].

والداعي رحيم بدعوته؛ لأنه يعمل ليخرج الناس من طريق الهلاك إلى طريق النجاة، فمن شفقته عليهم يدعوهم للإسلام، ولأن الدعوة من مهام الرسل فكان من واجب الدعاة أن يتمثلوا بأخلاقهم والتي منها "الرحمة"، فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**»[(٥)].

والرحمة في الدعوة تكسر الحدة لدى المدعو، والغلظة والجفوة، وتكسبه السكينة والمودة تجاه الداعي، وفضل الرحمة عظيم ومنزلتها من الدعوة كبيرة،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، رقم ٦١٠٨، ص١٠٣٥.

(٣) سورة البلد، الآيتان: ١٧- ١٨.

(٤) انظر: منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، ص١١٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، رقم ٧٣٧٦، ص١٢٦٩.

وسوف نقوم بذكر مواقف الصحابة التي تندرج تحت مجال الرحمة والمودة:

أ) عندما هرب عكرمة بن أبي جهل من مكة يوم الفتح خوفاً من أن يقتله الرسول ﷺ قامت زوجته أم حكيم رضي الله عنها بطلب الأمان له من رسول الله ثم خرجت في طلبه حتى لحقته وقد ركب السفينة يريد أن يفر، فلما رأته قامت تلح عليه وتقول: «يا ابن عم، جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك»، فوقف لها حتى أدركته فكلمته وعاد معها وأسلم.

ففي هذه القصة تتبين لنا رحمة أم حكيم رضي الله عنها في عدة مواقف، فالموقف الأول هو لحاقها به ومكابدة عناء السفر من أجل أن تنقذه وهي امرأة، والثاني قولها له: "يا ابن عم"، ففي هذا تودد وتلطف وإظهار المحبة المقرونة بالرحمة؛ لأنها لو نادته باسمه مجرداً لما كان في ذلك أي جانب من العاطفة، أما بالكنية فهي تجمع احترام الزوج وإيضاح قربه منها وتلطفها وبيان رحمتها له لأنه قريب، الثالث: قولها له: "لا تهلك نفسك"، ففي ذلك بيان رحمتها له من الهلاك وأن حياته لها قيمة لديها.

كل ذلك كان مدعاة لاستجابة عكرمة بن أبي جهل لزوجته رضي الله عنهما.

ب) في تأمين أبي ذر الغفاري لحويطب بن عبدالعزى رضي الله عنهما جوانب من الرحمة التي كانت سبباً في إسلام حويطب، فبعد أن كان حويطب خائفاً وقد تشتت أبناؤه، إذ واجه أبا ذر رضي الله عنه فهرب منه فقال له أبو ذر: يا أبا

محمد، قال فقلت: لبيك، قال: مالك؟ قلت: الخوف، قال: لا خوف عليك أنت آمن بأمان الله عز وجل، ثم قال له بعد أن أمنه وعاد إلى منزله وأمن أبناءه: «يا أبا محمد، حتى متى وإلى متى؟».

فلو نظرنا إلى بداية اللقاء نجد أن أبا ذر رضي الله عنه كان هو الأقوى والمنتصر وبإمكانه استخدام الجفوة والغلظة مع حويطب، وأيضاً لم يكن بحاجة أن يدعوه، ولكنه في البداية ناداه بكنيته رحمة منه، وحتى يهدئ من روعه، والأمر الثاني قال له: "لا خوف عليك"، وذلك لما وجده عليه من رعب وخوف فرحمه من ذلك، وبعد أن اطمأن وعاد إلى أهله قال له أبو ذر مرة أخرى: «يا أبا محمد، حتى متى وإلى متى؟». وفيها من عاطفة الرحمة الكثير؛ فنداؤه بالكنية هو رحمة، وخصوصاً إذا كان ذلك من الأعز للأذل في ذلك الوقت، والأمر الآخر قوله: «حتى متى وإلى متى؟» فيها رحمة لحاله وما هو عليه في الدنيا وما سينتهي به المآل في الآخرة، فرحم الله أبا ذر وحويطباً رضي الله عنهما.

جـ) الرحمة أكثر ما تكون تجاه ذوي القربى وأكثر ما تكون تجاه الوالدين والأبناء، فهذا طليب بن عمير رضي الله عنه عندما أسلم دخل على أمه أروى بنت عبدالمطلب ودعاها إلى الإسلام رحمة بها ومحبة لها، فأسلمت، وكذلك دعوة الطفيل بن عمرو الدوسي لوالده وزوجته فأسلما، ودعوة مصعب بن عمير لأمه، وأبو ذر أيضاً دعا أمه فأسلمت.

فدعوة الوالدين والأبناء لا تكون إلا من مودة ورحمة من الداعي؛ لأنه لا يوجد مبرر أقوى من ذلك، وذلك لقربهم ومحبتهم وعدم وجود مصالح أخرى يرجوها منهم أكثر من المحبة والرحمة، فلو نظرنا إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه يدعو أمه وهي من حبسه وعاداه وأعرض عنه وآذاه إلا أنه رحمة بها لازال يدعوها، ولولا الرحمة لاعتزلها وابتعد عنها، ولكنها رحمة الابن بالوالد وأمر الله سبحانه بالإحسان، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1].

د) من رحمة العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه بأهل مكة خروجه على بغلة رسول الله ﷺ عندما كان الرسول في مر الظهران قبل دخول مكة، فذهب يبحث عن أحد يخبر أهل مكة فيستأمنون الرسول ﷺ، فوجد أبا سفيان بن حرب فجاء به إلى رسول الله ﷺ وأسلم أبو سفيان وأمّنه، وأمّن أهل مكة، فمن رحمته خروجه في الليل وخوفه على قومه وحب الإسلام لهم.

هـ) من رحمة الصحابة رضي الله عنهم حب الإسلام للناس على حب الدنيا لأنفسهم، ومن ذلك ما قام به الحارث بن مسلم التميمي عندما قدم هداية القوم المشركين على الغنيمة عندما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله وحده تحرزوا، فقالوا وأسلموا فحسَّن الرسول ﷺ ما صنع وقال له: «**أما إن الله قد كتب لك من كل إنسان منهم كذا وكذا**».

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

فمن رحمته ﷺ بالناس تقديمه هدايتهم على الغنيمة في الدنيا، وإظهار هذه الرحمة للمدعوين، مما كان له أثر في قبولهم الإسلام، فما سبق أصحابه إلا لكي لا يقتلوا أهل الحي، ويأخذوا أموالهم، فقوله لهم: "قولوا لا إله إلا الله وحده" لكي يعصم دماءهم وأموالهم فكان ذلك.

و) لقي أبو عامر الأشعري ﷺ يوم أوطاس عشرة من الإخوة فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه للإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامر ثم حمل عليه الآخرون واحداً تلو الآخر وهو يدعوهم للإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، حتى قتل تسعة منهم، وعندما حمل عليه العاشر دعاه للإسلام وقال: اللهم اشهد عليه، فقال الرجل: اللهم لا تشهد عليَّ، فكف عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم فحسن إسلامه، وأسماه الرسول ﷺ "**شريد أبي عامر**". فكانت رحمة أبي عامر معه حتى في القتال، فمن رحمته بهؤلاء من أن يموتوا على الشرك أخذ يدعوهم حتى استجاب له أحدهم فتركه رحمة به من النار فأسلم.

المحور الثالث: الأساليب الحسية:

- مفهوم الأساليب الحسية:

«الحس أو الحاسة هي القوة التي بها ندرك الأعراض الحسية، وأحسسته فحقيقته أدركته بحاستي، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾[1]

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.

فتنبيه أنه قد ظهر منهم الكفر ظهوراً بان للحس فضلاً عن الفهم، وكذا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾[2]، أي: هل تجد بحاستك أحداً منهم»[3].

«والإحساس: العلم بالحواس، وهي مشاعر الإنسان كالعين والأذن والأنف واللسان واليد»[4].

«والإحساس: الوجود، ومعنى أحس: علم ووجد، ويقال: أحسست صاحبك؟ أي: هل رأيته؟ وهل أحسست الخبر؟ أي: هل عرفته وعلمته»[5].

ومن التعريفات السابقة نجد أن الأساليب الحسية هي كل ما يستخدمه الداعي من أدوات تثير الحس الطبيعي لدى المدعو إلى ما حوله من محسوسات وأخبار ومعلومات على أرض الواقع سواء حاضرة أو غائبة، وهذه لا تكون إلا إذا كان لدى المدعو تجارب وخبرات قديمة أو أخبار منقولة له يقوم بواسطة حواسه بمقارنتها وتحكيمها فيما يطرح إليه، وهذه الأساليب قد تكون أقوى من الأساليب العقلية والعاطفية؛ لأنها تعتمد على شيء يعايشه المدعو بحواسه، وبذلك تؤثر على العقل والعاطفة حتى يؤيدان الحس.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٢.
(٢) سورة مريم، الآية: ٩٨.
(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، كتاب الحاء، ص١١٦.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف الحاء، باب الحاء والسين، ص٢٠٦.
(٥) لسان العرب، ابن منظور، مادة: حسس، ٦/٥٠.

وقد خاطب القرآن الكريم الحس البشري في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ (٢١) وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾[1]. وقد استخدم الأنبياء عليهم السلام الأسلوب الحسي في دعوتهم وذلك بكثير من المعجزات، كعصا موسى عليه السلام، وإحياء الموتى وإبراء الأعمى والأكمه لعيسى عليه السلام، وانشقاق القمر للنبي ﷺ، كلها آيات حسية تدل على صدق دعوتهم.

ومن المعجزات للنبي ﷺ عندما جاءه الأعرابي فدعا له "السمرة"[2] فأقبلت تخدُّ الأرض خدَّاً حتى كانت بين يديه[3]، وفي دعوته لعذق النخلة حتى نزل وسقط بين يديه[4]، وغير ذلك من المعجزات الحسية.

وتستخدم هذه الأساليب مع الأشخاص الذين يعتدُّون بقولهم، المعاندين بعواطفهم، فلا يستمعون إلا لما هو واقع أمامهم من أمور محسوسة متجاهلين ما غير ذلك، فاستخدام الأساليب الحسية مع هؤلاء مدعاة لتسليمهم وتصديقهم، إلا من عاند وأبى تكبراً على الحق، كما أن هذا الأسلوب له تأثير

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٢٠-٢٣.

(٢) السمر: ضرب من شجر الطلح الواحدة سمرة. (انظر: العين، الفراهيدي، حرف السين، باب السين والراء والميم معهما، ٧/٢٥٥).

(٣) انظر الحديث في صحيح ابن حبان، المجلد السادس، الجزء الثالث والتاسع، باب المعجزات، ذكر شهادة الشجر للمصطفى ﷺ بالرسالة، رقم ٦٥١٤، ص١١٧. حديث صحيح (الألباني، المشكاة، رقم ٥٩٢٥، ٣/١٦٦٦).

(٤) انظر الحديث في جامع الترمذي، أبواب المناقب، باب في حنين الجذع، رقم ٣٦٢٨، ص٨٢٧. حديث صحيح (الألباني، المشكاة، رقم ٥٩٢٦، ٣/١٦٦٦).

عميق في النفوس؛ لأن الخبر ليس كالعيان، وليس من سمع كمن رأى، فكل منهم له درجته في الإحساس ودرجته في التأثير.

وقد استخدم الصحابة ﷺ هذه الأساليب في كثير من مواقف الدعوة، وذلك لتقريب المدعو من الواقع وتسهيل إيصال المعلومة لديه بشيء يستطيع إدراكه مهما كان مستوى المدعو الفكري أو الاجتماعي أو العلمي، فالجميع أمام المحسوس متساوون.

وسوف نتطرق هنا إلى بعض الأساليب الحسية التي استخدمها الصحابة ﷺ في دعوتهم للمشركين.

أولاً: بيان خطأ المعتقد بالحس:

إن من أقوى الأساليب تأثيراً في أصحاب الاعتقادات الخاطئة هو نقض ذلك الاعتقاد بالحس الواضح لدى من يعتقده، كما فعل إبراهيم عليه السلام مع الأصنام وتكسيرها، وإثبات عجزها وعدم قدرتها مقارنة بمن يعبدونها، فكيف يعبدون من هم أقوى وأقدر منهم، بل ويستطيعون التعبير والأصنام لا تستطيع ذلك.

فاستخدام الحس مقابل هذه الاعتقادات هو بمثابة مزيل للغشاوة والتلبيس التي فرضها إبليس على حواس بني آدم ليضلهم عن عبادة الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

وقد استخدم الرسول ﷺ الأسلوب الحسي في إثبات كثير من الأمور العقدية، فمثلاً في إثبات البعث: عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «**أما مررت بوادي أَهْلِكَ مَحْلاً؟**» قال: بلى، قال: «**ثم مررت به يهتز خضراً**» قال: بلى، قال: «**فكذلك يحيي الله الموتى، وذلك آيته في خلقه**»[1].

فوصف البعث غير المدرك من قبل البشر بالأرض الميتة عندما تخضرُّ وهي محسوسة تستوعبها حواس البشر، وهو أسلوب حسي لإثبات عقيدة البعث.

ومن الشواهد التي أثبت بها الصحابة بالأسلوب الحسي خطأ ما يعتقده المشركون في بعض الأمور ما سنورد ذكره هنا:

أ) بعدما عرض مصعب بن عمير الإسلام على عمرو بن الجموح، وقرأ عليه القرآن خرج من عنده دون أن يسلم، بل عاد إلى صنم عنده ليشاوره في الأمر، فعند ذلك علم ابنه معاذ بن عمرو ومعاذ بن جبل أن عمرو بن الجموح لن يفلح معه إلا الأسلوب الحسي، وذلك بإثبات خطأ معتقده في إلهه الذي يعبد ويستشير، فلجؤوا إلى إلقاء ذلك الصنم في حفرة فيها عذرة للناس منكساً على رأسه، فيبحث عنه عمرو بن الجموح فيجده في هذه الحفرة فيأخذه فيغسله ويطيبه ولا يزال ينظر إليه أنه إله له، ومع

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب الأهوال، رقم ٨٨٦٠، ص٤٥٨. حديث حسن (الألباني، صحيح الجامع، رقم ١٣٣٤، ١/٢٨٤).

تكرار ذلك علق السيف عليه وقال له: "امتنع فهذا السيف معك"، ثم جاؤوا فأخذوا السيف وقرنوا الصنم بكلب ميت وألقوه في بئر فيها عذرة، فلما بحث عنه عمرو وجده منكساً وقد قرن بكلب ميت، فكان في ذلك إحساس بعدم قدرة هذا الإله وأن شأنه أهون مما كان يعتقد فأسلم وحسن إسلامه، ولولا أن يسَّر الله له ابنه معاذاً ومعاذ بن جبل وآخرين معهم بهذه الفكرة التي تثير إحساس عمرو بن الجموح ليتعلم خطأ ما كان يعتقد فيه وما يعبد لما عرف الحق.

ب) كان عبدالله بن رواحة أخاً لأبي الدرداء في الجاهلية، وكان يدعوه إلى الإسلام، إلا أن أبا الدرداء يأبى أن يستجيب حتى كان آخر أهل بيته إسلاماً، ومع كثرة دعوة ابن رواحة له لم يغير ذلك من تعلقه بصنم عنده، وقد وضع عليه منديلاً من شدة اهتمامه به، وتقديسه له، فعند ذلك لم يجد ابن رواحة بدًّاً من استعمال الأسلوب الحسي الذي يستطيع به أن يغير اعتقاد أبي الدرداء في إلهه هذا، فقام في أحد الأيام لما رأى أبا الدرداء خرج من منزله فخالفه عليه وقام بتكسير صنمه بالقدُّوم حتى قدَّده فلذاً فلذاً ثم خرج، وعندما عاد أبو الدرداء أخبرته امرأته بما فعل ابن رواحة فغضب غضباً شديداً ثم فكر في نفسه فقال: "لو كان عند هذا خير لدفعه عن نفسه"، وانطلق إلى رسول الله ومعه ابن رواحة وأسلم، فالنظر إلى الصنم مكسراً ولم يستطع أن يدافع عن نفسه فيه

بيان لصاحب العقل، فلا يقبل التردد أن هذا الصنم لا يصلح أن يكون إلهاً يُعبد، ولولا إثبات ذلك أمام ناظريه كسبب يحيي قلبه ويخرجه من ظلماته وجهله لما تبين له خطأ رأيه.

ج) من بيان خطأ الاعتقاد في الأصنام ما قام به الطفيل بن عمرو الدوسي عندما أمر زوجته بأن تغتسل من حمى ذي الشرى وهو ماء حمى لصنم دوس ذي الشرى، وقد كانوا يخشون على أنفسهم من أن يعتدوا على حمى إلههم؛ لأن ذلك يغضبه ويتسبب لهم بالسوء، إلا أن الطفيل بن عمرو رضي الله عنه قال لها: "أنا ضامن لك"، فاغتسلت فكان ذلك أول ما انكسر من اعتقادها بذي الشرى، ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت. فاغتسالها وعدم إصابتها بسوء أثبت خطأ اعتقادها؛ لأنها وجدت أن كل ما كانت تعتقده غير صحيح، وذلك لما لمسته وأحست به بما أعطاها الله من حواس.

د) ضمام بن ثعلبه رضي الله عنه هو أفضل وافد قوم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، فعندما خرج من عند رسول الله ﷺ إلى قومه وقدم عليهم كان أول ما تكلم به أن قال: "بئست اللات والعزى"، واللات والعزى هما آلهتهم التي يعبدون ويخشون، فما كان منهم إلا أن قالوا له: مه يا ضمام، اتق البرص والجذام واتق الجنون، فقال لهم: ويلكم، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، فبيان ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه لقومه أن اللات والعزى لا يضران ولا ينفعان وأن ما كانوا يعتقدونه فيها من أنها سوف تصيبه بالبرص والجذام والجنون هو أمر

غير صحيح، وذلك أنها لم تصبه بشيء وهو يسبها، فكان ذلك مرئياً من جميع قومه دون استثناء مما جعلهم يسلمون من يومهم ذلك.

ثانياً: ربط إحساس المدعو بالواقع في البيئة المحيطة:

إن من أهم الأمور الدعوية هو إعادة تنبيه المدعو إلى واقع الحال من خلال البيئة المحيطة به، سواء القريبة المشاهدة أو المنقولة له بالأخبار الموثوقة؛ لأن البشر أحياناً يكونون غافلين عما حولهم، ويحتاجون من يذكرهم وينبههم من غفلتهم حتى يستطيعوا أن يحسوا بما هو حولهم وما هو واقع في البيئة المحيطة بهم أو البعيدة عنهم من أحداث، وما هي مقبلة عليه الأمور.

فهذا الأسلوب الحسي وهو ربط الواقع بالحس من الأساليب التي تجعل المدعو يعيد حساباته ويغير اقتناعاته بناءً على المعطيات التي تعرض عليه من قبل الداعي، فيجب على الداعي أن يعرف ما الأمور والأحداث المحيطة به، التي لها تأثير على المدعو حتى يستطيع أن يسخِّرها لدعوته ويستخدمها في جلب إحساس المدعو للتواصل معها وتمييزها.

وللصحابة رضي الله عنهم مواقف عدة في استخدام هذا الأسلوب سوف نتطرق إلى بعض منها:

أ) عندما قدم العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه على المنذر بن ساوى في البحرين كان من نقاشه معه ودعوته له قوله: «إن هذه المجوسية شر دين ليس فيها

تكرُّم العرب، ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتكرَّم من أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة».

فنرى هنا تفصيل العلاء ﷺ حال الواقع الذي فيه المجوس ومن يدينون بدينهم وما هم عليه من رذائل قد يكون المنذر غافلاً عنها، إلا أن إثارة الحواس بما هو محسوس يؤدي إلى تفاعل من قبل المدعو لوجود واقع لا يمكن إنكاره، وذلك ما حصل مع المنذر بن ساوى حيث أسلم وأسلم معه قومه.

ب) دعوة عمر بن مرة الجهني ﷺ لقومه فيها لفت نظر إلى واقع العرب في الجاهلية والعادات السيئة التي لديهم، وذلك في قوله لهم: «وبغَّض إليكم في جاهليتكم ما حبَّب إلى غيركم من العرب، فإنهم كانوا يجمعون بين الأختين، والغزاة في الشهر الحرام، ويخلف الرجل على امرأة أبيه».

فبعرض الواقع أمام المدعوين وتذكيرهم به ولفت نظرهم إليه تحريك لإحساسهم تجاه هذا الواقع لكي يعوا ما هم عليه ويتنبه إحساسهم إليه فيكون لدعوته تأثير على من يدعو، فباستخدام عمرو ﷺ لهذا الأسلوب الحيِّ الذي يمسُّ واقع قومه أثَّر ذلك فيهم مما جعلهم يطيعونه ويسلمون.

جـ) في قصة هروب ابن الزبعرى إلى نجران والتي سبق ذكرها وقصيدة حسان بن ثابت ﷺ التي أرسلها إليه عرض للواقع وما هو حال ابن الزبعرى في نجران ودعوته له للتأمل في نفسه ووضعه.

فوصف له أن بغضه لرسول الله ﷺ ألجأه إلى العيش في نجران عيشة لؤم ومهانة وكسافة، وأن ما كان يحارب به الرسول ﷺ من سلاح أصبح ضعيفاً رديئاً، وأنه سوف يعيش حياة سوء وعذاب مستمرين في الدنيا، فعندما جاء ابنَ الزبعرى شعرُ حسان أحس بما حوله وخرج من نجران وعاد إلى الرسول ﷺ وأسلم.

د) استخدم العباس بن عبدالمطلب أسلوب الإحساس بالواقع وذلك في دعوته لأبي سفيان بن حرب رضي الله عنهما، فعندما قال له العباس: «ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله»، فكأن العباس يقول لأبي سفيان: انظر إلى الواقع وما سوف يصيبكم في مكة ولا تكابر، فإن هذه الجيوش ما أتت إلا لتدخل مكة، فأسلموا أو استسلموا وارضوا بحكم الإسلام؛ لأن واقع الحال لا يقبل غير ذلك، فكان ذلك فأسلم أبو سفيان واستأمن لأهل مكة من رسول الله ﷺ، وما ذلك إلا بفضل الله ثم بفضل الأسلوب الذي استخدمه العباس رضي الله عنه.

ثالثاً: أسلوب القدوة والسيرة الحسنة:

إن حسن سيرة المؤمن واستقامته ومعاملته الحسنة يعكس أخلاق الدين الإسلامي أمام كل من يرى ذلك المؤمن، فيجذب إليه الأفئدة، وتجتمع عليه القلوب، فيكون ذلك مدعاة للتأثير في المدعوين والاقتداء بالداعي، فكان واجب كل داعٍ أن يعلم أنه لن يستطيع التأثير في المدعوين إن لم يكن هو نفسه قد تأثَّر بالإسلام، ومن ثَمَّ قد يكون سبباً في نجاح الدعوة أو في فشلها.

فمن أبلغ ما يؤثر به في الناس هو القدوة الحسنة؛ «فالنفس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه، ولا ينتفع به؛ ولأجل هذه النفرة قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾[1]، فكم من داعية أثَّر على الناس بعلمه وبحاله من دون أن يعظهم ويذكرهم، فسيرته تستنطق الأفواه بالتسبيح، وكم من أمم دخلت في دين الإسلام بسبب القدوة الصالحة»[2].

ولأن هذا الأسلوب هو تطبيق عملي مرئي من المدعوين فإن له نفعاً في إقناعهم وجذب أحاسيسهم للتأمل والتدبر من خلال ذلك القدوة، وما يقوم به، وبذلك يكون هذا في ذاته دعوة إلى الإسلام بدون نطق.

وقد حث القرآن الكريم على أن يكون الإنسان المسلم قدوة حسنة ومثالاً يُحتذى به، وألَّا يكون مثل بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[3].

وقد حرص الصحابة على أن يكونوا هم أول من يتَّبع ما يدعون إليه، ومن ذلك مواقف كثيرة وعديدة، فأحياناً يتَّبعون الأمر ثم يدعون إليه، وأحياناً تكون أخلاقهم وسيرتهم هي الداعي إلى اتباعهم، ومن هذه المواقف ما يأتي:

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز فرحان العنزي، ص ١٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

أ) إن من أبلغ الشواهد في سيرة الصحابة على القدوة والسيرة الحسنة هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان رجلاً مؤلَّفاً لقومه، محبَّباً سهلاً ذا خلق، ومعروف، وكان قومه يأتونه ويألفونه لحسن مجالسته[1]، فكان لذلك تأثير على دعوته وعلى استجابة المدعوين له؛ لما يرونه فيه من سيرة تجعلهم يؤمنون أن من تتوافر فيه هذه الخصال لا يدعو إلَّا لحق، فقد أسلم على يديه كثير من كبار الصحابة، بالإضافة إلى ما كان يفعله من شراء العبيد وإعتاقهم. ومن دعوته رضي الله عنه بالعمل دون الكلام ما فعله من بناء مسجد في داره فكان يصلي فيه فيما ذكر ابن هشام من كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكى، فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته[2].

فقيامه للصلاة وقراءته القرآن وبكاؤه كان لها تأثير على من يراه من الصبيان والنساء والعبيد، وهذه دعوة غير مباشرة وصامتة لكل من يراقبه.

ب) ومن أسلوب عرض القدوة الحسنة ما قاله العلاء بن الحضرمي للمنذر بن ساوى من ضمن حديثه معه حيث قال: «هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدقه، ولمن لا يخون أن لا تأمنه، ولمن لا يخلف أن لا تثق به»، وكان يقصد بذلك النبي ﷺ.

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٢٣٩.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٤٤.

ففي هذا المثال يبين العلاء أن الرسول ﷺ قدوة في الصدق، وقدوة في الأمانة، وقدوة في إعطاء الوعود، فعرض هذه الصفات على المنذر بن ساوى استجلاب لحواسه لكي يميز عن طريقها ما مدى كون هذا النبي قدوة في مكارم الأخلاق والسيرة الحسنة التي لا تصدر إلا من شخص يستحق أن يتَّبَع ويُصَدَّق فيما أتى به؛ مما جعله يقول: «ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده».

جـ) عندما ذهب عروة بن مسعود ليدعو قومه وكان لديهم ذا قدر ومكانة حتى إنه قال لرسول الله ﷺ: «إنهم لو وجدوني نائماً ما أيقظوني»، فعندما أتاهم ودعاهم وآذوه تركهم وأراد أن يريهم الإسلام بالطريقة العملية، فقام في صلاة الفجر وصعد على غرفة له فأذن بالصلاة لكي يدعوهم بطريقة غير مباشرة حتى يتعرفوا على الإسلام، إلا أن الشقاء في ذلك الوقت غلب عليهم فرماه أحدهم بسهم أصاب أكحله، فنزف دمه حتى مات ﷺ، ولكن قبل مماته أراد أن يبلِّغهم الإسلام بأخلاقه، وذلك حتى آخر ساعة من حياته، فعندما أرادوا أن يقتتلوا بسببه نهاهم وتصدَّق بدمه على قاتله وقال: «هي كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله لي»، فأيُّ إيمان وأخلاق يتصف به عروة ﷺ الذي أوصل رسالة الإسلام لقومه بحسن الخلق وطيب الشمائل!

د) من القدوات الذين دعوا أقوامهم للإسلام أشخاص كان لهم عند أقوامهم مكانة ومنزلة رفيعة، ويرى أقوامهم أنهم أصحاب رأي سديد، فيثقون

بهم، وبما يعملون، وما يتخذون من مواقف، ومن هؤلاء سعد بن معاذ عندما دعا قومه فأجابوه لأنه محل ثقة ورأي لديهم، وكذلك ضمام بن ثعلبة عندما أرسله قومه إلى الرسول ﷺ وعاد إليهم مسلماً، فما كان منهم إلا أن أسلموا؛ لأنهم لم يرسلوه إلا وهو ثقة بينهم، وأيضاً الطفيل بن عمرو الدوسي فقد كان شريفاً في قومه وشاعراً لبيباً.

جميع هؤلاء لم يدعوا قومهم إلا وقد سبق إسلامهم فكأن لسان حالهم يقول: لولا أنه أمر فيه خير لما اتخذناه لأنفسنا قبل أن ندعوكم إليه.

رابعاً: أسلوب الدعوة بالقوة الفعلية:

الأسلوب الفعلي هو أسلوب يركز إحساس المدعو إلى واقع الحال، وما هو حاصل، وما سوف يقوم به الدعاة من استخدام القوة باختلاف درجاتها، من هذه الأساليب الجهاد، وتغيير المنكر باليد، واستخدام القوة، وكل ما من شأنه أن يكون دعوة للإسلام باستخدام القوة.

وقد استخدم النبي سليمان عليه السلام هذا الأسلوب مع ملكة سبأ عندما أرسل لها الهدهد، وأمرها أن تأتي هي وقومها مسلمين، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[1]، وعندما تأخروا عليه وأرادوا أن يسترضوه بالهدايا أرسل إليهم كما في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ

(١) سورة النمل، الآية: ٣١.

لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[1]، فقد عرض سليمان عليه السلام الإسلام على أهل سبأ بالقوة الفعلية؛ مما جعلهم يأتونه مسلمين، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

وقد استخدم الرسول ﷺ القوة في الدعوة في مواقف كثيرة منها: خيبر عندما أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه إليهم وأمره أن يدعوهم، ومنها إرسال السرايا وأهمها فتح مكة عندما دخلها ﷺ فاتحاً وذلك بالقوة.

فالقوة والتلويح بها في الدعوة أسلوب وارد، وما قامت الفتوحات الإسلامية والجهاد إلا لنشر الإسلام بين البشرية، ولأن طبيعة بعض البشر تحتاج إلى القوة حتى تتنازل عن عنادها وتفكر بعقلها كان أسلوب القوة هو الأسلوب الأمثل في التعامل مع هؤلاء.

وقد استخدم الصحابة هذا الأسلوب في الدعوة وخصوصاً أثناء إرسال الرسول للسرايا ومن خلال الفتوحات الإسلامية بعد ذلك، ومن هذه المواقف والشواهد على استخدام ذلك الأسلوب ما يأتي:

أ) في غزوة خيبر أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[3]، فما كان من علي رضي الله عنه إلا أن دعاهم بالقوة.

(١) سورة النمل، الآية: ٣٧.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، رقم ٣٠٠٩، ص٤٩٧.

وكذلك في السرية التي بعث الرسول ﷺ بها إلى اليمن في ثلاثمائة فارس حيث كانت هي أول خيل دخلت تلك البلاد، فلما لقيهم جمع من مذحج دعاهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلهم فانهزموا وتفرقوا فكف عن طلبهم ثم دعاهم إلى الإسلام فسارعوا وأجابوا[1]، فهؤلاء القوم لم يسلموا إلا بالقوة، وبعد أن رأوا بأعينهم واقع الحال وقوة المسلمين.

ب) في الجيوش التي أرسلها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لنشر الإسلام استخدام للقوة، وقد أوصى قادة الجيوش بوصيته المشهورة والتي قال فيها: «عليكم بتقوى الله، اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، فإن الله ناصر دينه، ولا تغلُّوا ولا تمثِّلوا، ولا تجبنوا ولا تفسدوا في الأرض، ولا تعصوا ما تؤمرون، فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوهم إلى ثلاث خصال، فإن أجابوكم فاقبلوا منهم وكُفُّوا عنهم، ادعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوكم فاقبلوا منهم وكُفُّوا عنهم... وإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم وقاتلوهم إن شاء الله»[2]، وفي هذا دعوة لتبليغ الإسلام بالقوة دون ظلم أو ابتداء أو إفساد في الأرض، وهذه هي أخلاق الإسلام، وهو في هذه الوصية مُتَّبع لوصية رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية والتي وردت في صحيح مسلم من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه[3].

(١) انظر: المغازي، الواقدي، ص٧١٠.

(٢) الأموال، ابن زنجويه، ٢/٤٧٨.

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم ٤٥٢٢، ص٧٦٨.

ج) خالد بن الوليد ﷺ قائد الجيوش الإسلامية في العراق كان يدعو الأقوام قبل قتالهم، وذلك بإرسال الكتب لهم التي تبيِّن لهم أنهم إن لم يسلموا قاتلهم المسلمون حتى ينزلوا لحكم الإسلام، فقد أرسل إلى قادة الفرس كرستم ومهران وهرمز، وأرسل كذلك إلى ملأ فارس وعوامهم، وجميع كتبه كانت تبيِّن أنه يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال. ومن بعض كتبه ما جاء فيه: «فإنا ندعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم فإن معي قوماً يحبون القتل في سبيل الله كما تحب فارس الخمر». فالجهاد كان هو الأسلوب الأخير في الدعوة لدى خالد بن الوليد، وأنه أسلوب مطروح لاستخدامه في أي وقت كانت الحاجة إليه.

د) كان من سلمان الفارسي ﷺ والذي جعله المسلمون داعية أهل فارس وذلك لعلمه بلغتهم، دعوة إلى الإسلام تضمنت دعوة بالقوة والجهاد، وعرض ذلك على المدعوين حتى يعلموا أن القوة هي الخيار الثالث، وذلك كان في دعوته لأهل القصر الأبيض، من مدن فارس وغيرها، وقد قال لهم: «إن أسلمتم فلكم مثل الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا، وإن أبيتم إلا دينكم تركناكم عليه وأعطيتمونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم نابذناكم على سواء». وقد دعاهم إلى ذلك ثلاثة أيام ثم انهدُّوا إليهم ففتحوا الحصن بالقوة. وكان من ذلك أن دخل كثير ممن في الحصن في الإسلام، ودخلت مدن أخرى في الإسلام دون قتال لما رأوا من حال من قبلهم.

هـ) في هدم الأصنام التي أرسل الرسول ﷺ الصحابة ﷺ لهدمها بيان للقوة والدعوة إلى الله وإثباتها بإظهار القوة، فقد أسلم سادن سواع عندما هدم عمرو بن العاص ﷺ الصنم، وهدم خالد بن الوليد ﷺ للعزى التي بنخلة وذي الكفين صنم دوس، وهدم المغيرة بن شعبة الطاغية في الطائف، وهدم جرير بن عبدالله البجلي ذا الخلصة، وهدم علي بن أبي طالب بفلس صنم طيئ، وغيرها من الأصنام التي هدمها الصحابة، في ذلك نوع من القوة لبيان الحق وإثبات الإسلام ودحر الباطل وإزالته.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

منهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالموضوعات

تمهيد:

«الموضوع هو محل العرض المختص به، وقيل: هو الأمر الموجود في الذهن، وموضوع كل علم: ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية كبطن الإنسان لعلم الطب وكالكلمات لعلم النحو»[1]. وقيل: إن الموضوع: «هو المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه»[2].

ولما كان موضوع دعوة الصحابة هو الأمر الموجود بذهن كل واحد منهم، ويبحث في عوارض الدعوة الذاتية، وهي ما يبني عليه الصحابة ﷺ دعوتهم، فإن جميع ذلك لا يعدو أن يكون الإسلام بجميع جوانبه هو موضوع دعوة الصحابة بل وموضوع الدعوة بشكل عام لكل داعٍ إلى الله.

---

(١) التعريفات، الجرجاني، ص٢٥٦.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص١٠٤٠.

فكان الإسلام بمعناه الشامل من عقيدة وشريعة وأخلاق ومن أمر الدنيا والآخرة هو موضوع الدعوة، وهو الذي بلّغه النبي ﷺ بأمر من ربه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

ومن هنا نجد أنه لا خيار للداعي في موضوع الدعوة الرئيس، ولا يسعه جهله إلا أنه يستطيع الدعوة إلى أحد الموضوعات التي يشتمل عليها الإسلام، ومن مميزات الإسلام أنه أرشد الناس وعلمهم جميع شؤون حياتهم الشخصية والاجتماعية والاقتصادية، وعلمهم ما فيه سعادتهم وفوزهم الأبدي الدائم في الآخرة. من هذا نجد أن موضوعات الدعوة تتناول هذه الجوانب، وما تؤدي إليه في النهاية، وذلك مقصد الدعوة والغاية منها والهدف المرجو.

ولأن الدعوة إلى الله هي لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا النقل لا يتم إلا من خلال تغيير ما بأنفسهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2]، «وتغيير ما بالنفوس معناه إحلال معانٍ صحيحة محل معانٍ فاسدة»[3]، فلابد أن تكون هذه المعاني موافقة لما جاء به الكتاب والسنة؛ لذلك كانت هذه المواضيع التي تبنى عليها هذه المعاني، وهي لا تتعدى الموضوعات الرئيسة للإسلام مثل:

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٣) الدعوة إلى الله الواقع والأمل، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص٤١.

أ) العقيدة (التوحيد والإيمان).

ب) الشريعة (المعاملات والعبادات).

جـ) الأخلاق (الآداب والسلوك).

وهذه هي الموضوعات التي تطرق إليها الصحابة ﷺ في منهجهم في الدعوة، وسوف نتحدث عن كل موضوع وطريقة الصحابة في التطرق لهذه الموضوعات.

المطلب الأول: مواضيع العقيدة في دعوة الصحابة ﷺ للمشركين من غير أهل الكتاب

إن أصول العقيدة الإسلامية هي أركان الإيمان الستة والتي وردت في حديث جبريل: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1]، وهذه الأصول هي:

١. الإيمان بالله.

٢. الإيمان بالملائكة.

٣. الإيمان بالكتب.

٤. الإيمان بالرسل.

٥. الإيمان باليوم الآخر.

٦. الإيمان بالقدر خيره وشره.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم ٩٣، ص٢٤.

وقد دعا الصحابة ﷺ إلى هذه الأصول في موضوعات دعوتهم سواء بطريقة مباشرة أو بطرق غير مباشرة، إلا أنها تدل وتشير إلى أحد هذه الأصول، وذلك حسب الموقف والمكان والمدعو ومجال الدعوة، ومن هذا المنطلق سوف نذكر هنا كل أصل من هذه الأصول الستة على انفراد، ونضرب له مثلاً من دعوة الصحابة، وتطرقهم لهذا الأصل والدعوة إليه.

١. الأصل الأول: الإيمان بالله:

«الإيمان هو تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح»[١]. أما الإيمان بالله فيعرفه الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله: «أما معنى الإيمان بالله هو أن تعتقد بأن الله هو الإله المعبود وحده دون سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم»[٢].

وقد حرص الصحابة ﷺ على هذا الأصل، وقاموا بالدعوة إليه والاهتمام به، ونبذوا كل ما هو معارض له، ومن ذلك دعوة أبي بكر الصديق ﷺ لعثمان بن عفان ﷺ عندما أتاه عثمان وذكر له ما سمع من خالته[٣]، فقال له أبو بكر ﷺ: «ما يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأوثان التي يعبدها قومنا؟ أليست من حجارة؟ صُمٌّ لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع، قال عثمان: بلى

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٧/٣٨٨.
(٢) مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة، محمد بن عبدالوهاب، ص١١٩.
(٣) سعدى بنت كريز.

والله إنها كذلك، قال: فقد والله صدقتك خالتك، هذا رسول الله ﷺ محمد بن عبدالله قد بعثه الله تعالى برسالته إلى خلقه».

وقد أوردت هذا الشاهد دون غيره؛ لأن فيه بيان الاعتقاد بالله وحده والتخلص من عبادة غيره.

فقوله رضي الله عنه: «هذا رسول الله ﷺ محمد بن عبدالله قد بعثه الله تعالى برسالته إلى خلقه» فيه اعتقاد بأن من أرسل هذا الرسول هو الإله المعبود الواحد وإلا لما كان أرسل الرسول إلى الخلق، وقوله: «ما هذه الأوثان التي يعبدها قومنا؟ أليست من حجارة؟ صُمٌّ لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع» فيه تخلُّص من جميع أنواع العبادة التي لغير الله فكان في قوله (إخلاص وتخلُّص).

٢. الأصل الثاني: الملائكة الكرام:

«الملائكة هم عالم غيبي خلقهم الله عز وجل من نور: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾[(١)]، يقومون بأمر الله ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[(٢)]»[(٣)]. «ومعنى الإيمان بالملائكة هو الإقرار الجازم بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله مربوبون مسخَّرون ولا يسأمون ولا يستحسرون»[(٤)].

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.
(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ٣/١٦٠.
(٤) ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة، حافظ بن أحمد آل حكمي، ص٤٢.

«والإيمان بالملائكة يكون أولاً بأن نؤمن بأسماء من علِمْنا اسمه منهم، وثانياً بأوصاف من علمنا وصفه، وثالثاً بأعمال من علمنا عملهم»(١).

وقد أشار الصحابة في دعوتهم إلى الإيمان بالملائكة، وذلك من خلال ذكر الآيات التي ذكرت الملائكة وأنهم عباد الله، كما في قراءة مصعب بن عمير ﷺ أوائل سورة الزخرف على سعد بن معاذ ﷺ وفيها ذكر للملائكة قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾(٢)، وقد كان العرب يؤمنون بوجود الملائكة، وقد جعلوهم إناثاً، ومنهم من قال إنهم بنات الله، إلا أن الإسلام ينقض ذلك ويبين لهم أنّ الملائكة عباد الله، وقد سأل قيس بن نشبة الأسلمي ﷺ الرسول ﷺ عندما جاء إليه بعد الخندق، وهو لم يسلم بعد، فقال: إني رسول من ورائي من قومي وهم لي مطيعون، وإني سائلك عن مسائل لا يعلمها إلا من يوحَى إليه، فسأله عن السموات السبع وسكانها وما طعامهم وما شرابهم، فذكر له السموات السبع والملائكة وعبادتهم...، فأسلم ورجع إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا(٣)، فمن البديهي أنه عندما عاد إليهم أخبرهم بما أخبره به رسول الله ﷺ ومنه الإيمان بالملائكة بما ذكر له الرسول من صفاتهم وأخبارهم.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص١٦٠.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٣) انظر: أسد الغابة، ابن الأثير، ٣/٥١٣.

٣. الأصل الثالث: الكتب السماوية:

الكتب: جمع كتاب، بمعنى مكتوب، والمراد بها: «الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق وهداية لهم ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة»[١].

«والإيمان بهذه الكتب هو الإيمان بما سمَّى الله تعالى منها في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور، وأن نؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى»[٢]، ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري: «يؤمن المسلم بجميع ما أنزل الله تعالى من كتب وآتى بعض رسله من صحف، وأنها كلام الله أوحاه إلى رسله ليبلغوا عنه شرعه ودينه، وأن القرآن الكريم أعظم هذه الكتب والمهيمن عليها والناسخ لجميع شرائعها وأحكامها»[٣]، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾[٤].

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور[٥]:

أ) الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، محمد بن صالح العثيمين، ص٩٤.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ٢/٧٦.
(٣) منهاج المسلم، أبو بكر الجزائري، ص١٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.
(٥) انظر: شرح الأصول الثلاثة، محمد بن صالح العثيمين، ص٩٤.

ب) الإيمان بما علمنا اسمه كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور، أما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

جـ) تصديق ما صحَّ من أخبارها كأخبار القرآن وأخبار ما لم يبدَّل أو يحرَّف من الكتب السابقة.

د) العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾(1).

وقد علم الصحابة ﷺ أهمية الإيمان بهذه الكتب، وقد أدخلوها ضمن دعوتهم إلى الله سبحانه؛ لأنها من الإيمان، فكان منهم أن بينوا أن هناك أهل كتب سماوية أنزلت عليهم من الله، ومن ذلك ما ذكره العلاء بن الحضرمي للمنذر بن ساوى رضي الله عنهما عندما كان يدعوه مذكِّراً له بـ "علم أهل الكتاب"، ففي ذلك بيان للإيمان بالكتب وأن لها أتباعاً وهم أهل الكتاب.

٤ . الأصل الرابع: الرسل عليهم السلام:

الرسل جمع رسول، «وهو من أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه»(2)، لذا كان من الإيمان برسالته ﷺ الإيمان بجميع الرسل عليهم السلام، والإيمان بهم هو

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) شرح الأصول الثلاثة، محمد بن صالح العثيمين، ص٩٥.

«التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده والكفر بما يُعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدَّقون بارُّون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الطاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيَّدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به لم يكتموا ولم يغيروا ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين»[1]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[2]، وهؤلاء الرسل جميعهم يدعون إلى توحيد الله ﷻ، ولا تعارض فيما يدعون إليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلَّات، أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد**»[3]، وأن هؤلاء الرسل ما هم إلا بشر كسائر البشر إلا أن الله فضَّلهم على خلقه برسالته، قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[4].

وقد آمن الصحابة بذلك فدعوا إلى التصديق برسول الله ﷺ، ففي قصة ضمام بن ثعلبة مع قومه مثال على ذلك، عندما قال لهم: إن الله قد بعث رسولاً.

وفي التصديق ببقية الرسل ما قرأه مصعب بن عمير على عمرو بن الجموح

(١) ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة، حافظ بن أحمد آل حكمي، ص٤٩.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، رقم ٣٤٤٣، ص٥٨٠.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

من سورة يوسف، وفيها ذكر ليوسف وأبيه يعقوب وإخوته عليهم السلام أجمعين. وكذلك ذكر موسى عليه السلام في سورة طه عندما قرأها عمر بن الخطاب عند أخته وزوجها، فكل ذلك بيان للإيمان بالأنبياء وعدم إنكارهم عليهم السلام.

٥. الأصل الخامس: اليوم الآخر:

«اليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يُبعث الناس فيه للحساب والجزاء، وسُمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم»[١].

والإيمان باليوم الآخر يدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد، والصراط والميزان والحساب والجزاء، ونشر الصحف بين الناس، والحوض المورود، والجنة والنار، ورؤية المؤمنين ربهم وتكليمه إياهم، وغير ذلك مما جاء في القرآن والسنة الصحيحة[٢].

وقد كان المشركون لا يؤمنون باليوم الآخر ولا بالبعث والحساب، وقد أنكروا ذلك واستهزؤوا به، وقال الله فيهم: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾[٣].

وقد جاء أبي بن خلف إلى الرسول ﷺ بعظم حائل قد بلي فقال: يا محمد،

(١) شرح الأصول الثلاثة، محمد بن صالح العثيمين، ص١٠٠.

(٢) انظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ص١٦.

(٣) سورة النازعات، الآيات: ١٠-١٤.

أترى الله يحيي هذا بعدما قد رمَّ؟ فقال: «**نعم ويبعثك ويدخلك النار**»[(١)]، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[(٢)]، وبهذا كان الإيمان باليوم الآخر والدعوة إليه من الأصول المهمة في دعوة الصحابة، وإن كان كل أمور العقيدة مهمة، وقد دعا الصحابة إلى الإيمان بالجنة والنار والبعث، ومن ذلك ما قاله عمرو بن مرة الجهني لقومه عندما دعاهم للإسلام فكان مما قال: «فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار.... تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة»؛ فذكر الجنة والنار وكرامة الآخرة، وهي دعوة إلى الإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه مما ذكره الشيخ ابن باز رحمه الله سابقاً.

٦. الأصل السادس: الإيمان بالقدر:

«القدر بفتح الدال: تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق علمه واقتضته حكمته»[(٣)]، «وأنه لا يقع شيء في الوجود حتى أفعال العباد الاختيارية إلا بعد علم الله وتقديره، وأنه تعالى عدل في قضائه وقدره، حكيم في تصرفه وتدبيره، وأن حكمته تابعة لمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به تعالى»[(٤)]، قال تعالى: ﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[(٥)]، ويتضمن الإيمان بالقدر أموراً أربعة[(٦)]:

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي، ص٣٧٩.
(٢) سورة يس، الآية: ٧٨.
(٣) شرح الأصول الثلاثة، محمد بن صالح العثيمين، ص١١١.
(٤) منهاج المسلم، أبو بكر الجزائري، ص٣٤.
(٥) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٦) انظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ص١٧- ١٨.

الأول: أن الله ﷻ قد علم ما كان وما يكون وأحوال العباد وأرزاقهم وآمالهم وأعمالهم ولا يخفى عليه من ذلك شيء سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

الثاني: كتابته سبحانه لكل ما قدَّره وقضاه كما قال سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[2].

الثالث: الإيمان بمشيئته النافذة فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3].

الرابع: خلقه سبحانه لجميع الموجودات لا خالق غيره ولا رب سواه، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[4].

فالإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان التي يجب أن يؤمن بها كل مسلم، ومن هنا يجب أيضاً أن يدعو إليه بكل أسلوب سواء كان أسلوباً مباشراً أو غير مباشر، وأن يستخدم كل وسيلة صالحة لكي يوصل فكرة الإيمان بالقدر، وذلك ما قام به عروة بن مسعود ﷺ عندما دعا قومه فقتلوه فقال لهم قبل أن يموت: هي كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله لي، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ قد أخبرني بهذا أنكم تقتلوني.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٢.

(٢) سورة يس، الآية: ١٢.

(٣) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

فنجد أنه مؤمن بالقدر وقد عدَّه كرامة وشهادة، كما بيَّن أن ذلك مقدَّر له من قبل بإخبار الرسول ﷺ له أنهم سوف يقتلونه فكان ما قُدِّر له.

المطلب الثاني: مواضيع الشريعة في دعوة الصحابة ﷺ للمشركين من غير أهل الكتاب

كان الناس قبل مبعث النبي ﷺ تحكمهم شرائع الأقوى، وأنظمة المستبدِّ، فكل ما تولَّى قوم على قوم حكَّموا شرائع يضعها المنتصر، وتخدم مصالحه، فقد طبَّق الفرس شرائعهم على البلاد والأقوام التي تحت سيطرتهم، كالعراق والبحرين واليمن وبعض قبائل العرب التابعة لهم، وأما الروم فطبَّقوا شرائعهم على الشام ومصر ومن والاهم من العرب، كما مارس أهل الديانات الأخرى شرائع ضالة ومضلة، منها ما هو محرَّف عن شرائع سماوية، ومنها ما هو شرائع وضعية، ومع ذلك لم تأت هذه الشرائع إلى البشر بما يتكفَّل بأمور الإنسان الكاملة، ولم تشبع حاجاته الدنيوية والأخروية؛ لذلك كان يسهل عليه أن يتنقل من شريعة إلى أخرى حسب الظروف المحيطة، ولكن بعد ظهور الإسلام وبعثة النبي ﷺ أتى بشريعة الله التي تشمل جميع مناحي الحياة، وتحيط بجميع جوانبها، وأخرج الناس من اتباع أهواء بعضهم إلى اتباع أمر الله ﷻ وشريعته: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وفي هذا أمر للنبي ﷺ ومن تبعه باتباع شريعة الله، والابتعاد عن شرائع البشر، ومن هذا كان الصحابة يستمدون دعوتهم إلى الشرائع من الوحي الرباني الذي أوصى به

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٨.

الله رسوله ﷺ. فكما كان للعقيدة نصيب في دعوة الصحابة فإن الشريعة كان لها نصيب أيضاً في دعوتهم، وذلك «أن الشريعة التي تتمثَّل في العبادات بأنواعها، والمعاملات، وأنظمة الاقتصاد، والحكم، والسياسة، والأسرة، والجماعة، والأمة، ما هي إلا ترجمة العقيدة، وثمرة من ثمراتها، وممارسة عملية لأركانها»[1]، ومن هنا تطرق الصحابة ﷺ إلى عدد من مجالات الشريعة، ودعوا إليها المشركين، وهو ما سوف نتحدث عنه في هذه الفقرة.

١. دعوة الصحابة ﷺ إلى الطهارة:

«الطهر، ضد الدنس، طهر الرجل فهو طاهر، والطهارة اسم ومصدر للطاهر»[2]، «وقوم يتطهرون، أي: يتنزَّهون من الأدناس، ورجل طاهر الثياب، أي: متنزِّه»[3]، «وهي عبارة عن النظافة»[4].

أما في الاصطلاح فالطهارة «هي إزالة حدث أو نجس أو ما في معناهما وعلى صورتهما»[5]، «وقيل: هي: النظافة من النجاسة»[6]، يقول الجرجاني: «إن الطهارة في الشرع عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة»[7].

(١) دعوة النبي للأعراب، حمود بن جابر الحارثي، ص١٠٤.
(٢) جمهرة اللغة، ابن دريد، ٢/٧٦١.
(٣) الصحاح، الجوهري، حرف الطاء، ٢/٧٢٧.
(٤) التعريفات، الجرجاني، باب الطاء، ص١٣٦.
(٥) المجموع، النووي، ١/١٢٣.
(٦) اللباب في شرح الكتاب، عبدالغني الغنيمي، ١/٥.
(٧) التعريفات، الجرجاني، باب الطاء، ص١٣٦.

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالطهارة بجميع أشكالها، ومنها طهارة الجسد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[2].

وقد وردت الطهارة في مواضع كثيرة في القرآن والحث عليها، وفي السنة عن النبي ﷺ كانت الطهارة مدار كثير من الأحاديث، فمنها قوله ﷺ: «**البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب**»[3]، وقوله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض...**»[4].

وبهذا كانت الطهارة من الأهمية بمكان ما جعلها لا تصح صلاة إلا بها، ففيها تطهير للبدن، وللنفس، وقد حرص الصحابة رضي الله عنهم أن يدعوا المشركين إليها في دعوتهم إلى شرائع الإسلام، وذلك تطبيقاً للمنهج السليم في الدعوة. ومن هذه الأمثلة ما كان من دعوة مصعب بن عمير لأسيد بن الحضير وسعد بن معاذ عندما أرادا أن يدخلا في الدين، فبيَّن لهما أن يغتسلا ويطهِّرا ثيابهما، وكذلك ما فعلته فاطمة بنت الخطاب عندما طلب منها أخوها عمر رضي الله عنهما أن

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٣) جامع الترمذي، أبواب الأدب، باب ما جاء في لبس البياض، رقم ٢٨١٠، ص٦٣٣. حديث صحيح (الألباني، صحيح الجامع، رقم ١٢٣٥، ١/٢٦٧).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم ٥٣٤، ص١١٤.

يقرأ القرآن من الصحيفة، فقالت له: إنه لا يمسُّه إلا المتطهِّرون، فقام واغتسل وأعطته الصحيفة، ودعوة الطفيل بن عمرو الدوسي لأبيه وزوجته أن يغتسلا وأن يتطهَّرا، وغيرهم كثير.

وفي هذا إشارة إلى أن هذا الدين هو دين دعوة إلى الطهارة والنقاء والنظافة بجميع أشكالها، سواء الجسدية أو الروحية.

٢. دعوة الصحابة ﷺ إلى الصلاة:

الصلاة من أهم العبادات التي دعا إليها الإسلام لعظم قدرها، وسموِّ مكانتها. ولما كانت الصلاة عبادة يتحقق فيها التجرد لله وحده، وتربية النفس على المعاني الإيمانية التي تُعِدُّ المؤمن لحياة كريمة في الدنيا وسعادة سرمدية في الآخرة، كانت سنة متتابعة عبر الرسالات وصلة بخالق الأرض والسماوات، وزاداً يعين النفس على التزام الطاعات والبعد عن المحرمات[١]. وقد أمر الله بها عباده، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»[٣].

(١) انظر: الصلاة، عبدالله بن محمد الطيار، ص٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾، رقم ٢٥، ص١٤.

وقد فرض الله الصلاة على النبي ﷺ قبل الهجرة بثلاث سنين، وأمر بها أصحابه، ودعا إليها، فكانت أساسية في دعوة الصحابة، فهذا مصعب يدعو أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ ويشرح لهما الصلاة، وذلك عند بداية دخولهما للإسلام.

كما أن عروة بن مسعود رضي الله عنه قام بالأذان بالصلاة وذلك على غرفة له، لكي يوضِّح أمر الصلاة لقومه، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يصلي في داره، وكانت النساء والأطفال ينظرون إليه حتى إن قريشاً غضبت لذلك.

ومن الدعوة للصلاة أيضاً كتب القادة من المسلمين ومنها كتاب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أهل المدائن الذي قال فيه: «وأنه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا»[1].

فكانت الصلاة من الموضوعات الأساسية في الدعوة إلى الشريعة عند الصحابة رضي الله عنهم.

٣. من دعوة الصحابة رضي الله عنهم إيضاح ما يحرِّم الله من الطعام:

من شريعة هذا الدين بيان ما يحل وما يحرم من الأطعمة، وتم إيضاح ذلك في القرآن والسنة، كما أنه كان من الأنبياء عليهم السلام قبل النبي ﷺ أن يبينوا لأقوامهم ما يحل لهم ويحرم من الطعام، فلكل أمة شريعة تتبعها، وحرم عليها ما لم يحرم على غيرها، وأحل لها ما

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ٣٠٨/٢، (استمد خالد بن الوليد رضي الله عنه هذا القول من كتب الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى وإلى أهل اليمن، ومن حديث أنس بن مالك في البخاري، وأدرجها ضمن كتبه لمن قاتلهم).

لم يحل لغيرها، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾(1).

كما أن المشركين حرموا على أنفسهم من تلقاء أنفسهم أنعاماً أحلها الله لهم، وجعلها رزقاً ورحمة ليتمتعوا بها وينتفعوا، إلا أنهم حرموا أنفسهم منها، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(2).

فأنزل الله ﷻ قرآناً ووحياً إلى نبيه ﷺ يبين له تفنيد مزاعم هؤلاء المشركين، ويبين لهم ما حرم عليهم، وما أحل لهم، وأنَّ ما هم فيه إنما هو من جاهليتهم، فقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾(3)، وحرم الله من الشراب الخمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(4). والأدلة على تحريم بعض

---

(1) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.

(2) سورة الأنعام، الآيتان: ١٣٨- ١٣٩.

(3) سورة المائدة، الآية: ٣.

(4) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

الأطعمة والأشربة موجودة في القرآن والسنة، وليس مجالنا هنا ذكر ما حرم من الطعام، إنما ذكر دعوة الصحابة إلى تحريم ما حرم الله سبحانه من المأكل والمشرب.

فهذا أبو أمامة الباهلي ﷺ، يأتي قومه يعرض عليهم الإسلام، فجاؤوا بقصعتهم فوضعوها واجتمعوا حولها وأكلوا ودعوا أبا أمامة ﷺ فقال لهم: إنما أتيتكم من عند من يحرم هذا عليكم إلا ما ذكَّيتم، كما أنزل الله، قالوا: وما قال؟ قال أمامة: نزلت هذه الآية فقرأ عليهم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾[1].

وقد بيَّن خالد بن الوليد ﷺ أيضاً أن من الإسلام أكل ذبيحة المسلمين، وذلك في كتابه لأهل المدائن السابق ذكره.

ونجد هنا أن الصحابة ﷺ لم يتجاوزوا في دعوتهم الأكل والشرب إنما دعوا إلى ما أحل الله من الطعام وما حرم، وفي ذلك بيان لشريعة من شرائع الإسلام، قاموا بإبلاغها للناس ودعوتهم إلى اتباعها.

٤. دعوة الصحابة ﷺ إلى صلة الأرحام:

صلة الرحم من الأمور المهمة التي حث عليها الإسلام، حتى إن الله ﷻ ربطها باسمه، ووصل من وصلها، وقطع من قطعها، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك**

(١) انظر: المعجم الكبير، الطبراني، رقم ٨٠٧٤، ٦/ ٢١١١.

من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك»(١).

وقد قطعت الرحم في الجاهلية وأهينت، بل إن الرجل ليقطع رحمه من أجل الدنيا ويخلف والده على امرأته بعد وفاته، وذلك ما أشار إليه عمرو بن مرة ﷺ في دعوته قومه. ومن الدعوة إلى صلة الرحم بقاء الصحابة ﷺ على اتصال بأرحامهم مع أذيتهم لهم، ومحاربتهم إياهم كمصعب بن عمير مع والدته.

٥. دعوة الصحابة ﷺ إلى تحريم زواج المحارم:

وضع الإسلام شرائع ونظماً تحدد زواج الأقارب ما يحل زواجه وما يحرم، وورد ذلك في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، رقم ٥٩٨٧، ص١٠٤٨.
(٢) سورة النساء، الآيتان: ٢٢- ٢٣.

ومن هذا استمد صحابة رسول الله ﷺ دعوتهم إلى تحريم زواج المحارم، وتحديد الحلال من الحرام في هذا الأمر، وكان من ذلك دعوة عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه عندما دعا قومه فكان فيما قال لهم: «إن الله جعلكم خيار من أنتم منه، وبغَّض إليكم في جاهليتكم ما حبَّب إلى غيركم من العرب، فإنهم كانوا يجمعون بين الأختين ويخلف الرجل على امرأة أبيه»، وفي هذا استنكار لما تقوم به العرب وبيان لما يدعو إليه الإسلام من تحريم الزواج من الأخت وامرأة الأب.

وأيضاً ما ذكره العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه للمنذر بن ساوى عندما قال له عن دين المجوسية: «وينكحون ما يستحيا من نكاحه»، وكان المجوس يحلون زواج الأخ بالأخت، وفيه بيان أن الإسلام يحرم نكاح الأخت، وبذلك كانت دعوتهم رضي الله عنهم إلى إثبات شريعة الزواج في الإسلام، وإيضاح حلاله من حرامه.

٦. دعوة الصحابة رضي الله عنهم إلى تحية الإسلام بدلاً من تحية الجاهلية:

"السلام عليكم ورحمة الله" هي تحية بني آدم، وتحية الإسلام، وتحية أهل الجنة التي أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ باتباعها، واستبدال تحية الجاهلية بها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلِّم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله**»[1]، وقد ذكر الطبراني في "المعجم الكبير" في قصة عمير بن وهب الجمحي

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، رقم ٣٣٢٦، ص٥٥٢.

عندما ذهب إلى المدينة ليقتل رسول الله ﷺ ودخل عليه المسجد فقال للرسول ﷺ: أنعموا صباحاً، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير؛ السلام تحية أهل الجنة**»[1].

وقد دعا عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه قومه ثقيفاً إلى الإسلام، وكان من أول ما دعاهم إليه إنكاره لتحية الجاهلية، وأمرهم بتحية أهل الجنة: السلام، فآذوه ونالوا منه، ولم يمنعه رضي الله عنه وجوده بينهم من أن يدعوهم إلى شريعة من شرائع الإسلام التي جعلها الله سبحانه تحية أهل الجنة وتحية آدم وذريته منذ بداية الخلق وإلى دخول الجنة، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[3].

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٥٨٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٤.

المطلب الثالث: مواضيع الأخلاق في دعوة الصحابة ﷺ للمشركين من غير أهل الكتاب

الأخلاق هي الموضوع الثالث من موضوعات دعوة الصحابة للمشركين، وهي مترابطة مع الموضوعات الأخرى (العقيدة، الشريعة) ومتداخلة معها، فهي مستمدة من عقيدة هذا الدين ومتداخلة مع شرائعه، فالأخلاق التي لا تنبع من عقيدة إسلامية صافية لا تنفع صاحبها عند الله، ويستوي فيها المسلم والمشرك، كما أنها إن لم ترتبط بتطبيق الشرائع والحث عليها فهي أخلاق سلبية لم تؤدِّ واجبها تجاه هذا الدين؛ لذلك نجد أن الأخلاق متصلة بالدعوة ومتوافقة معها، فبالأخلاق يدعو المسلم وإلى الأخلاق يدعو، ومن هنا سوف نبحث في هذا المطلب عن دعوة الصحابة ﷺ إليها.

وقد استمد الصحابة دعوتهم من دعوة رسول الله ﷺ، فكان للأخلاق فيها نصيب كبير، وذلك من خلال الدعوة إليها أو الدعوة بها أو الاتصال بها، فلم تكن تخلُ دعوة أحد من الصحابة من هذه الحالات، ولأن الأخلاق لها تأثير في المدعوين لذلك كان لها أثر في الاستجابة والقبول من الآخرين، فكانت الدعوة إلى الأخلاق صراحة أو ضمناً أو بالقدوة، ومن دعوة الصحابة إلى الأخلاق وبالأخلاق ما يأتي:

١. اللطف واللين في دعوة الصحابة ﷺ:

كان للطف مكان في دعوة الصحابة ﷺ؛ حيث اشتملت دعوتهم على التلطُّف والتودُّد للمدعو؛ مما كان له الأثر الواضح في الاستجابة للدعوة، وقد

أوضح الله ﷻ أثر اللطف واللين في تأليف قلوب الناس، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1]، ففي هذه الآية بيان أنَّ اللين واللطف هو من الرحمة التي أعطاها الله العباد، وأن ذلك سبب في التفاف الناس حول الدين، كما أن الرسول ﷺ قال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[2]. وقال ﷺ: «**من يحرم الرفق يحرم الخير**»[3]، فربط الرفق بالخير، وأي خير كاستجابة المدعو لدعوة الداعي.

وهنا نجد أن الصحابة استخدموا اللين والرفق في الدعوة؛ ليبينوا أن الإسلام دين رفق ولين ولطف، فقد وضح ذلك في مواقف كثيرة منها موقف مصعب بن عمير عندما أتاه أسيد بن الحضير حاملاً حربته متشتماً فما كان من مصعب رضي الله عنه إلا أن ألان له القول وقال له: «أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره»، فكان لردة فعل مصعب تأثير على أسيد رضي الله عنه، وفيها بيان أن هذا الدين يدعو إلى الرفق واللين وحسن الخطاب وعدم الشدة والقسوة.

٢. الرحمة في دعوة الصحابة رضي الله عنهم:

في الرحمة مراعاة لحاجات النفس البشرية واستمالتها، وذلك حتى لا تنفر عن الخير وتبتعد عنه، ومن أخلاق هذا الدين الرحمة التي يدعو إليها، فقد

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب الرفق، رقم ٦٠٢، ص١١٣٣.
(٣) المرجع السابق، رقم ٦٥٩٨، ص١١٣٢.

قال ﷺ: «**ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء**»[1]، وقد رغَّب في الرحمة فجعل لها فضلاً كبيراً، كيف ونبي هذه الأمة هو نبي الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، فأمر أصحابه بالرحمة بالعباد كما أمرهم برحمة البهائم وذلك في مواقف متعددة، ولا يوجد دين يأمر أتباعه بالرحمة ويحثهم عليها ويرغِّبهم بالتخلق بها والتعامل بينهم على أساسها كما وجد في الإسلام، كما حذر من القسوة وعدم الرحمة بجميع المخلوقات بشراً كانوا أو من البهائم، مؤمنين أو كفاراً، فنهى عن التمثيل والضرب والتعذيب والترويع.

وقد حرص صحابة رسول الله ﷺ على أن يجعلوا للرحمة موضعاً في دعوتهم سواء بالدعوة إليها أو الدعوة بها والتحلي بها، فقد رحم أبو ذر رضي الله عنه حويطب بن عبدالعزى وأظهر له الرحمة في إجارته وإجارة أبنائه يوم فتح مكة وأمَّنهم حتى اجتمعوا؛ مما كان له أثر في إسلام حويطب رضي الله عنه، وكذلك رحمة الحارث بن مسلم التميمي للقوم الذين كادوا أن يكونوا غنيمة له ولأصحابه إلا أنه دعاهم إلى "لا إله إلا الله" لكي يعصموا دماءهم ويدخلوا في الإسلام ولا يراق لهم دم ففعلوا ونجوا من القتل والسبي في الدنيا ومن عذاب النار في الآخرة.

ولو تتبعنا قصص الصحابة لوجدناها تزخر بمواضيع الرحمة وما يتعلق بها من رحمة الأب بابنه والابن بوالده والقريب بقريبه والصديق بصديقه والمسلم بالمشرك

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم ٤٩٤١، ص٦٩٦. حديث صحيح (الألباني، صحيح سنن أبي داود، رقم ٤٩٤١، ٣/٢١٢).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

وغيرهـم، فالرحمة موضوع متداخـل مع كثير مـن المواقـف والحوادث الدعويـة.

٣. العفو في دعوة الصحابة رضي الله عنهم:

العفـو لا يكـون إلا من قـادر؛ فـلا يعفـو مـن لا يقـدر، والله تعالى هـو العفـو الغفـور الـذي يعفـو عـن خلقـه، وقـد جعـل هـذه الصفـة خُلقـاً يتخلق بها عباده، والعفـو «هـو التجـاوز عـن الذنـب وتـرك العقـاب عليـه»(١).

وقد أمر الله بالعفـو وجعـل لـه أجراً عظيمـاً، فقـال تعـالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢)، يقـول الشيـخ السعدي في هـذه الآيـة: «جعـل أجـر العـافي على الله مـا يهيـج على العفـو وأن يعامـل العبـد الخلـق بمـا يحـب أن يعاملـه الله بـه، فكـما يحـب أن يعفـو الله عنـه فليعـف عنهـم، وكـما يحب أن يسـامحه الله فليسـامحهم، فإن الجـزاء مـن جنـس العمـل»(٣).

وقـد عفـا الرسـول ﷺ عـن كثـير ممـن أسـاؤوا لـه، ولم يحاسـبهم على عملهـم فيـه، ومـن ذلـك مـا فعلـه مـع مشركي قريـش يـوم الفتـح عندمـا عفـا عنهـم، كـما عفـا عَمَّـن تخلَّفـوا عـن غـزوة تبـوك مـن المنافقـين، فالعفـو مـن خلقـه ﷺ وتخلَّـق بـه أصحابـه رضي الله عنهم. فهـذا علي رضي الله عنه عندمـا أرسـله الرسـول ﷺ بسرية إلى اليمـن عندمـا لقي جمعـاً دعاهـم إلى الإسـلام إلا أنهـم أبـوا ورمـوا أصحابـه فحمـل عليهـم فانهزمـوا وتفرقـوا وتركـوا لـواءهـم قائـماً، فكـف عـن طلبهـم ودعاهـم إلى الإسـلام مـرة أخـرى

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: عفا، ١٥/٧٢.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٨٩٦.

فأسلموا وبايعوه على الإسلام، فعندما قدر علي ﷺ على من رموا أصحابه عفا عنهم ولم يطلبهم بل أكمل دعوته لهم للإسلام، وفيها بيان للعفو والصفح مما تسبب في إسلامهم. وفي قصة عروة بن مسعود ﷺ عندما دعا قومه فأصابوه فعفا عمن أصابه ليصلح بين قومه، في هذه القصة مثال للعفو في دعوة الصحابة ﷺ وأرضاهم.

٤. البر وصلة الرحم في دعوة الصحابة ﷺ:

دعا الصحابة ﷺ إلى البر وصلة الرحم في مواقف عدة، ووصلوا أرحامهم مع أن الطرف الآخر قد قطعها؛ وذلك لعلمهم ﷺ بفضل صلة الرحم والقيام بها حتى مع من هم على غير الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[1].

ومن فضل صلة الرحم قوله ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**»[2]، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[3]، ومن هذا استمر الصحابة في صلة رحمهم وفي دعوتهم والاتصال بهم، والدعوة إلى صلة الرحم بينهم. فهذا مصعب بن عمير يزور أمه بعد عودته من المدينة،

(١) سورة لقمان، الآيتان: ١٤- ١٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها، رقم ٦٥١٩، ص١١٢١.

(٣) المرجع السابق، رقم ٦٥٢٠، ص١١٢١.

وهي مَن عاداه وعذبه، فيقول لها: يا أمَّه، إني لك ناصح وعليك شفيق فاشهدي أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. وهذا طليب بن عمير ﷺ يحرص على إسلام أمه أروى بنت عبدالمطلب ويدعوها ويرغِّبها حتى أسلمت. كما أن في دعوتهم ﷺ أهلهم أيضاً تذكيراً بصلة الرحم، وأن الرسول ﷺ اتصف بها، فعندما لحقت أم حكيم بزوجها عكرمة لتؤمِّنه وتدعوه كان مما قالت له: «يا ابن عم، جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس»، فذكرت الوصل في رسول الله ﷺ لتبين أن نبي هذا الدين هو نبي صلة الرحم. وعندما دعا عمرو بن مرة الجهني ﷺ قومه كان فيما قال: «إني رسول رسول الله إليكم أدعوكم إلى الإسلام وآمركم بحقن الدماء وصلة الأرحام». وكم من المواقف التي وصل الصحابة فيها رحمهم دعوة للإسلام، ودعوا إليها ﷺ.

٥. دعوة الصحابة ﷺ إلى المروءة:

«يقول الليث: المروءة: كمال الرجولة، وقيل للأحنف: ما المروءة؟ قال: العفة والحرفة»[(١)]، ويقول الفيومي: «إن المروءة هي آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات»[(٢)]، وبما أن المروءة هي ما ذكرنا تعريفه آنفاً فإن الصحابة ﷺ اتصفوا بها وتواصوا عليها وذلك اتباعاً للرسول ﷺ في الحث على كثير من أمور المروءة ومكارم الأخلاق، قال ﷺ: «**إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويبغض سفاسفها**»[(٣)].

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري، كتاب الراء، أبواب الثلاثي المعتل، باب الراء والميم، ١٥/٢٨٦-٢٨٧.
(٢) المصباح المنير، الفيومي، كتاب الميم، ص٢٩٤.
(٣) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب الأيمان، رقم ١٥١، ١/١٤٦. حديث صحيح (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ١٣٧٨، ٣/٣٦٦).

وقد جعل الصحابة ﷺ للمروءة ومعالي الأخلاق نصيباً في دعوتهم، ففي دعوة عمرو بن مرة الجهني لقومه التي ذكرنا بعضها في الفقرة السابقة، دعوة إلى المروءة وتجنب سفاسف الأمور، فيقول لقومه: «يا معشر جهينة، إن الله جعلكم خيار من أنتم منه، وبغَّض إليكم في جاهليتكم ما حبَّب إلى غيركم من العرب؛ لأنهم كانوا يجمعون بين الأختين، ويخلف الرجل على امرأة أبيه، والتراث في الشهر الحرام، فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي بن غالب تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة»، فقد بين أنهم من خيار العرب بسبب المروءات التي يتحلون بها وهي ما يدعو الإسلام إليها.

وفي دعوة العلاء بن الحضرمي ﷺ للمنذر بن ساوى أيضاً دعوة إلى المروءة ومعالي الأخلاق، ومن ذلك قوله عن الرسول ﷺ: «هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدِّقه، ولمن لا يخون أن لا تأمنه، ولمن لا يخلف أن لا تثق به؟» فعدَّد العلاء ﷺ أمور المروءة من الصدق والأمانة والثقة وأنها من صفات الرسول ﷺ وما جاء به من عند ربه، فحري بكل من لديه مروءة أن يصدق ما جاء به رسول الله ﷺ.

الفَصلُ الرّابعُ

خصائص منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب وأوجه الاستفادة منها

وفيه مبحثان:

- **المَبحثُ الأَوّلُ**

خصائص منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب

- **المَبحثُ الثّاني**

أوجه الاستفادة من منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب في العصر الحاضر

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

خصائص منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب

لمنهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين الكثير من الخصائص التي تميز منهجهم عن غيره، وجعلته في مقام الصدارة بالنسبة للمناهج الدعوية الأخرى سواء السابقة للدين الإسلامي أو اللاحقة، إسلامية أو غيرها.

وقد ساعد منهج الصحابة رضي الله عنهم عوامل عدة ليختص بخصائص تميزه عن غيره، ومن هذه العوامل الظروف والمكان اللذان عاشوا فيهما والبيئة المحيطة بهم وبأقوامهم، ووضع المسلمين في ذلك الوقت، بالإضافة إلى الزمان الذي وجدوا فيه، الذي هو مبعث النبي ﷺ، وهو أقوى الخصائص، وبالإضافة إلى ذلك خصائصهم الفردية والنفسية.

ومع ذلك كله كان لمنهج الصحابة ميزة مستمدة من تميزهم وخصائص نابعة من صحبتهم لرسول الله ﷺ؛ لذلك سوف نتطرق إلى الخصائص التي يتصف بها منهج الصحابة دون غيرهم، وذلك كالآتي:

الخاصية الأولى: تلقي العلم مباشرة من الرسول ﷺ والرجوع إليه عند الاختلاف:

لقد كان منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين مستنداً على تلقي العلم من الرسول ﷺ مباشرة، والسماع منه؛ فكانوا يجالسونه ولا يفارقونه، ويأخذون منه، ويحفظون، ويتخلقون بأخلاقه، ويقتدون بتصرفاته وأفعاله، فلا يفوتهم من علمه شيء، وذلك لحرصهم على ذلك؛ فهم الوحيدون في هذه الأمة الذين تلقوا العلم منه ﷺ مباشرة؛ لأنه لم يلقَه ولن يلقاه من المسلمين جميعاً منذ بداية البعثة إلى يوم القيامة إلا الصحابة رضي الله عنهم، فهم تلامذته ﷺ الذين تخرجوا من مدرسته، وتحت يديه، فهذه خصيصة لم تحصل إلا لهم، بنوا عليها منهجهم في كل أمر، ومن ذلك أمر الدعوة، بالإضافة إلى أنهم كانوا يسألون الرسول ﷺ في كل أمر استشكل عليهم، ولم يكن هناك أحد غيره يسألونه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في مواضع عديدة في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[1]، وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[2]، و ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[3]، و ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾[4]، و ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[5]، وغيرها من الآيات، وفي كل سؤال من هذه الأسئلة يأمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يجيبهم، وذلك بقوله: بعد كل سؤال:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ١.

﴿قُلْ﴾، وفي ذلك تعليم لهم وإجابة لهم من الله فيما سألوه، وهذه الخاصية من الخصائص التي لا يمكن لأي منهج دعوي أن يشارك منهج دعوة الصحابة فيها حتى مَن هم بعدهم مباشرة.

الخاصية الثانية: أن المنهج صادر من خير الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام:

مما اختص به منهج الصحابة رضي الله عنهم أنه ارتبط بهم، ونبع منهم؛ فكان له من المميزات ما كان لهم رضي الله عنهم من فضل وخيرية؛ فكان منهجهم نابعاً من قوله ﷺ: «**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»[١]، ويقول النووي في شرح الحديث في قوله: «**أتى أمتي ما يوعدون**» معناه ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه[٢]. وهذا معناه أن منهجهم رضي الله عنهم اختص بالأمان من ذلك كله، وذلك بفضلهم عمن سواهم، ففضلهم انعكس على فضل منهجهم، وخيريتهم جعلت منهجهم خير المناهج، وذلك أنهم من قرن رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، رقم ٦٤٦٦، ص١١٠٩.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، المجلد الثاني، الجزء السادس عشر، رقم ٥١، ص٦٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، رقم ٣٦٥٠، ص٦١٢.

فجميع ما ينسب إلى الصحابة من فضل هو منسوب لمنهجهم، وقد تبين ذلك في خروج البدع والخلافات المذهبية بعد ذهاب الصحابة جميعهم، فقد كان وجودهم ركيزة ثابتة تحمي الأمة من الانحراف إلى أن ذهبوا فأتى الأمة ما توعد، كما أخبر الرسول ﷺ.

الخاصية الثالثة: العقيدة الصافية النقية لدى أصحاب المنهج:

مما لا شك فيه أن العقيدة السليمة الصافية تنعكس على تصرفات معتقديها وأعمالهم، وطريقة حياتهم وعبادتهم، وهذه الخاصية تنعكس على منهج صحابة رسول الله ﷺ؛ لأن عقيدتهم أصح العقائد وأسلمها وأنقاها، لم يخلطوا بين الإسلام وغيره لسلامة قلوبهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب أصحابه فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ»[1].

الخاصية الرابعة: منهج الصحابة رضي الله عنهم معتمد على السماحة وعدم التكلف:

إن أكثر ما يعيق مسيرة الدعوة التكلف فيها وفي إجراءاتها وعلومها ونظرياتها؛ مما يزيد الحمل والعبء على الداعي ويبعده عن السماحة التي بدورها قد تكون موصلة للدعوة أفضل من غيرها، وهذه السماحة هي ما تميز

---

(١) المسند، الإمام أحمد، مسند عبدالله بن مسعود، رقم ٣٦٠٠، ١٨/٢.

به منهج الصحابة رضي الله عنهم واختص به، فقد كان الواحد منهم يدعو قومه وأهله بعدة كلمات، كما فعل سعد بن معاذ رضي الله عنه، ويستجيبون له، ولم يكن لهم رضي الله عنهم نظريات يتبعونها أو وسائل وأساليب يتقيدون بها إلا ما يقيدهم من الدين، فسهَّلوه فدخل فيه الناس مقتنعين مهتدين.

فكان منهجهم سهلاً من غير تكلف أو تعقيد، ويشتمل على الوضوح والاختصار بعيداً عن الأفكار الفلسفية الصعبة الفهم والتصديق، وبعيداً عن الألفاظ المنمقة المتكلفة التي قد تصيب المدعو بالملل، فسهولتهم نبعت من فطرتهم وبيئتهم وصدق ضمائرهم؛ لأنه لا يوجد لديهم ما يخفونه أو يخافون منه، وذلك نابع من سماحة الدين الإسلامي وسماحة تعاليمه ومعتقداته، فلا تحتاج إلى تعقيد أو تكلف.

الخاصية الخامسة: منهج الصحابة رضي الله عنهم في الدعوة نابع من إيمان وعقيدة وليس عملاً وظيفياً:

إن دعوة الصحابة للمشركين والإصرار عليها والحرص على نشرها والجهاد من أجلها، وبذل الغالي والنفيس لتبليغها إنما هو نابع من أمر استقر في أنفسهم ووقر فيها، وتملَّك أرواحهم منذ أول لحظة دخلوا فيها الإسلام، ألا وهو الإيمان الخالص بالله، وبأن هذا الدين يجب أن يعمَّ العالم، ولم يتَّكلوا على أن يكون منهم من هو مختص بهذه الوظيفة ليؤدي واجب الوظيفة، بل سارعوا إلى التبليغ والدعوة. وهناك مواقف كثيرة أثبتت ذلك ودلت عليه،

ومنها على سبيل المثال ما حصل من الحارث بن ضرار الخزاعي عندما أسلم فكان أول طلب طلبه من رسول الله ﷺ هو أن يعود إلى قومه يدعوهم[1]، وما قام به الفوج الأول من الأنصار في دعوة من استطاعوا مع أنه لم يكن للرسول ﷺ عليهم سلطة في الدنيا، كما أنه لم يكن هناك لهم منها فائدة دنيوية يتقاضونها مقابل عملهم ذلك، إنما كما أسلفنا إيمان راسخ جعلهم يرون ما لا يمكن رؤيته من نعيم الجنة الذي أُعِدَّ لهم فصدقوا الله فصدق منهجهم، وبلغ الآفاق، وكانت له ميزة وخاصية عن غيره من المناهج.

الخاصية السادسة: هو أول منهج للدعوة في تاريخ الإسلام بعد الرسول ﷺ:

بحكم كون الصحابة ﷺ هم النواة الأولى للإسلام، وهم البناء الذي قامت عليه أمة الإسلام، فكانوا السابقين الأولين، ولم يسبقهم أحد من العالمين، فإن ذلك جعل منهجهم منهجاً فريداً في عصره، فهو متبوع لا تابع؛ لأنه لا يوجد منهج سابق يستمد الصحابة منهجهم منه، ولم يكن امتداداً لأقوام قبلهم، إنما كانوا هم الأوائل، فاستمد مَن بعدهم مناهجهم من منهج الصحابة، وساروا على أثرهم، فكان منهجهم دليلاً لما بعده، وقائداً لما تبعه، ومضيئاً لطريق المناهج السليمة اللاحقة التي سارت على طريق الحق، فقد جعل الرسول ﷺ أصحابه هم السنة بعده، وذلك في قوله ﷺ: «**فعليكم**

(١) انظر: المسند، الإمام أحمد، أول مسند الكوفيين، حديث الحارث بن ضرار الخزاعي، رقم ١٨٦٥، ٢٩٩/٦. حديث صحيح (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد السابع، القسم الأول، رقم ٣٠٨٨، ص ٢٣٠).

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها»(1)، ففي ذلك بيان الترتيب بأن الصحابة هم أول من كان بعد الرسول ﷺ، وهذه الخاصية تجعل هذا المنهج نقيًّاً من أي شوائب أو ترسبات سابقة قد تؤثر عليه، أو تتحكم في اتجاهه، ولنا في الأديان الأخرى عبرة، كتأثر اليهودية بالفراعنة، وتأثر النصارى باليهود، وتأثر السيخ بالهندوس والمسلمين، وغيرها من الأديان الوضعية، والمذاهب الضالة التي اقتبست من كل دين سابق لها منهجاً في عبادتها، فنقاء منهج دعوة الصحابة من نقاء حَمَلَة ذلك المنهج.

الخاصية السابعة: الوضوح في الدعوة وعدم التورية:

الوضوح هو من سمات ومميزات الدين الإسلامي بشكل عام، ومن هذا كان منهج الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا صريحين واضحين في دعوتهم للمشركين، ولم يواروا أو يجاملوا على حساب الدين والدعوة، وذلك ما أكسبهم ثقة المدعوين؛ لأن إخفاء بعض الأمور وعدم إيضاحها يفقد الداعي مصداقيته مما ينعكس على الدعوة ويفقدها مصداقيتها.

وقد كان الصحابة يعرضون الإسلام وأحكامه بوضوح إرضاءً لله تعالى لعلمهم أنه سبحانه هو من يعطي القبول من عدمه، ولم يكونوا يخفون شيئاً من الدين أو يحرِّفونه من أجل كسب أو إرضاء المدعوين، وقد قال الرسول ﷺ: «**من التمس**

(1) جامع الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، رقم ٢٦٧٦، ص٦٠٧. حديث صحيح (الألباني، صحيح الجامع، رقم ٢٥٤٩، ١/٤٩٩).

رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى الناس عنه، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»[1]. وذلك كان ديدن صحابة رسول الله ﷺ بالتماس رضا الله بالوضوح والصراحة، ولو كان ذلك لا يوجد له قبول لدى المشركين، إلا أن الله سبحانه رضي عنهم وأرضى المدعوين -ممن فتح الله على قلوبهم- عنهم بقبول الدعوة؛ فكان للصراحة والوضوح دور كبير في نشر الدعوة، بخلاف ما عليه كثير من الأديان والمذاهب الضالة، بأن يكون هناك أمور لا تظهر ولا تعرض على العامة بل هي خاصة بأشخاص معينين، وكأن الدين فيه خاص وعام.

الخاصية الثامنة: قرب العهد بالشرك ومعرفتهم بالتعامل مع المشركين:

إن جُلَّ الصحابة عدا من ولد في الإسلام هم في الأصل مشركون أو كتابيون، فخروجهم من دينهم القديم ودخولهم في الإسلام جعل لديهم خبرة في طريقة التعامل مع المشركين ومعرفة طريقة تفكيرهم، فيما يهمهم من الدعوة والخلل في دينهم ونقاط الضعف لديهم، وذلك كان له الأثر الكبير في دعوتهم، فتجدهم يحاجُّون أقوامهم بما يعرفه الطرفان، ولا يستطيعون إنكاره، فيبينون الخلل لهم وعوار مبادئهم، ويثيرون فيهم ما لم يقتنعوا به أصلاً. فنجد في خطاب عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه لقومه معرفة وخبرة، فقد قال لهم: «أدعوكم إلى الإسلام وحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله وحده، ورفض الأصنام»،

(١) صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم ٢٧٦، ١/١٧٧. حديث صحيح (الألباني، التعليقات الحسان، رقم ٢٧٦، ١/٣٢٩).

وقال أيضاً: «إن الله جعلكم خيار من أنتم منه، وبغَّض إليكم في جاهليتكم ما حبَّب إلى غيركم من العرب، فإنهم كانوا يجمعون بين الأختين والغزاة في الشهر الحرام ويخلف الرجل على امرأة أبيه».

فخاطبهم خطاب خبير، ودعاهم دعوة عارف لهم مُلِمٍّ بأمورهم، فاهم لشؤونهم، وما يدينون به، وما هذا إلا بسبب قرب عهده بالشرك، وما يحتوي عليه من ضلال، ومعرفة بالإسلام وما يشمله من خير.

الخاصية التاسعة: كون الصحابة ﷺ عرباً أقحاحاً لم تختلط ألسنتهم بثقافات غيرهم، ونزول القرآن بلسان عربي أعطى لهم ميزة في فهم القرآن وتفسيره بدون مفسرين:

أنزل الله سبحانه القرآن بلغة العرب ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1]، وتلك لغة مشركي قريش، وفي هذه الآية إعلام من الله لهم أنه أنزله كذلك لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه لأننا لا نفهمه[2]، وبذلك كان مشركو العرب هم أولى الناس بفهمه ومعرفة مقاصده، وخصوصاً أنهم لم يتأثروا بالثقافات الأخرى، ولم يدخل على لغتهم أي لغات أجنبية، وذلك لبعدهم عن جميع الشعوب الأخرى، واللغات المختلفة. ونلحظ أن العصر الأول من الإسلام لم يهتم الصحابة فيه بتفسير ألفاظ القرآن بقدر ما كانوا يهتمون بمقاصدها، ولم يبرز الاهتمام بمعنى الألفاظ إلا بعد انتشار الإسلام،

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ٨/٦٢٦.

ودخول شعوب غير عربية إليه؛ مما أدَّى إلى الحاجة لتوضيح معاني الكلمات. ومن هنا نجد أن الصحابة ﷺ بنوا منهجهم على فهم ومعرفة بألفاظ القرآن، ولم يحتاجوا أن يفسر لهم؛ فقد كان الرسول ﷺ منهم ويتكلم بلسانهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1]. فهذا جعل المنهج خالياً من الشوائب والمفاهيم الخاطئة.

الخاصية العاشرة: انعدام الخلاف الفقهي في عهد الصحابة ﷺ:

تميز عهد الصحابة بالاتفاق بينهم وعدم خلافهم فيما يخص مسائل الدين، وإن كان هناك خلافات فقهية يسيرة إلا أنها جميعها مستندة إلى أدلة عن الرسول ﷺ، وبذلك كان للمنهج حماية من الانحراف والزيغ.

ومما يلحظ أن الخلافات الفقهية الكبيرة لم تحدث إلا بعد ذهاب الصحابة ﷺ، مثل الأفكار المختلفة لم تدخل على الأمة إلا بعد عصر الصحابة؛ مما نتج عنه كثير من الفرق الضالة والتي حُسبت على الإسلام، ومن هذا نكاد نقول إن الصحابة ﷺ كانوا جميعهم على منهج دعوة واحد تقريباً، وذلك لعدم وجود الخلاف بل وجود الاتفاق بينهم، ومن أدلة ذلك رسل خالد بن الوليد إلى رستم ودعوتهم لهم، وكأنهم رجل واحد لم يختلفوا في شيء من أمرهم.

فالوفاق الفكري والفقهي لدى الصحابة أدَّى إلى وفاق في منهجهم للدعوة؛

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

مما يعطي ذلك المنهج قوة ومتانة، وذلك ما كان لهم.

وبعد استعراضنا لخصائص منهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين نستطيع أن نلخص ذلك في عشر نقاط مختصرة في كلمات محددة، وبذلك تكون خصائص منهج الصحابة بشكل عام تتميز بالآتي:

- أخذ العلم من المصدر.
- فضل الداعي ومكانته.
- سماحة الداعي والدعوة.
- إيمان الداعي بنتائج الدعوة.
- وضوح الداعي في دعوته.
- إلمام الداعي بحال المدعو.
- فهم الداعي لما يدعو له.
- اتخاذ الداعي منهجه حسب الواقع.
- الحصانة ضد التأثر السلبي بالمناهج الأخرى.
- البعد عن الخلاف بين الدعاة.

وبهذا نكون حاولنا حصر خصائص منهج الصحابة ليسهل علينا فهمها وتطبيقها والاستفادة من منهج الصحابة في الدعوة، وذلك في المبحث الآتي.

المَبْحَثُ الثَّاني

أوجه الاستفادة من منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب في العصر الحاضر

إن سيرة الصحابة رضي الله عنهم بمجملها مفيدة لكل مسلم، ويستفاد منها في جميع المجالات، ومن هذه المجالات مجال الدعوة؛ فمنهجهم يعد منهجاً أساسياً يجب على الدعاة معرفته والاستفادة منه، والاقتداء به، والاستفادة من منهجهم باب واسع لا يمكن الإلمام به من جميع الجوانب، وسأقوم ببيان ذلك من خلال المطالب الآتية.

المطلب الأول: الاستفادة من منهج الصحابة رضي الله عنهم في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بموضوع الدعوة

كما أسلفنا أن موضوعات الدعوة هي المادة التي يبني عليها المتكلِّم (الداعي) كلامه، وهي تنقسم إلى عقيدة وشريعة وأخلاق، فإن منهج الصحابة رضي الله عنهم في هذا المجال مليء بالفوائد التي تستمد من موضوعات هذا المنهج، ومن هذه الفوائد ما يأتي:

الفائدة الأولى: أن الدعوة إلى التوحيد هي أول ما يدعى إليه:

بما أن الصحابة ﷺ هم أول من دعا إلى الله بعد رسول الله ﷺ فإن أول موضوع دعوا إليه هو توحيد الله ونبذ الشرك، وقد كان همهم الأكبر، فدعوة بلا توحيد هي دعوة معيبة قد تؤدِّي إلى الشرك، وفي الدعوة إلى توحيد الله فائدة عظيمة لقبول المشركين الإسلام؛ لأن الصحابة لم يدعوا إلى أنفسهم أو إلى بشر مثلهم، إنما كانت دعوتهم إلى الخالق وحده، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1].

فينبغي عدم تقديم أي موضوع على موضوع التوحيد؛ لأنه هو الأساس في هذا الدين.

الفائدة الثانية: أن من الأهمية التدرج في مواضيع الدعوة حسب الأولوية:

مما نستفيد من دعوة الصحابة ﷺ هو تدرُّجهم في مواضيع الدعوة، وذلك أسوة بالرسول ﷺ، فيبدأ بالأولى فالأولى، ومن ذلك وصية الرسول ﷺ إلى معاذ بن جبل ﷺ عندما بعثه إلى اليمن فقال: «**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم**»[2]، وقد تقيَّد الصحابة ﷺ بذلك التدرُّج، وكان أول ما يدعون إليه هو شهادة أن لا

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم ١٣٩٥، ص٢٢٤.

إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومن ثَمَّ الدعوة إلى ما بعدها من صلاة وزكاة وصيام وغيرها من المواضيع التي يدعى إليها.

الفائدة الثالثة: أن الإسلام نظام كامل مترابط لا يمكن تجزئته ولا يحق لأحد التنازل عن بعضه:

أساسيات الإسلام كيان كامل مترابط حسب نظام واضح، يوجب الأخذ به كاملاً، وعدم التجزئة والاستقطاع منه حسب الحاجة أو الأهواء أو الظروف، أيّاً كانت؛ فلم يتنازل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الزكاة عندما ارتدت العرب بعد وفاة الرسول ﷺ، ومنعوا الزكاة، وذلك عندما بعثوا وفوداً إلى أبي بكر رضي الله عنه من كل قبيلة ونزلوا على وجوه الناس على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فقال رضي الله عنه: «لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه»[1]، فلم يفرق رضي الله عنه بين الصلاة والزكاة إنما هو دين واحد، فمن وجبت عليه الصلاة وجبت عليه الزكاة. والدعوة إلى الله تبين ذلك لكل من تدعوهم، فلا يدعون إلى العقيدة ويتركون الشريعة، ولا إلى الشريعة ويتركون الأخلاق؛ فكل المواضيع مترابطة متصلة تكمل بعضها بعضاً، فلا يكتمل الاعتقاد بدون عمل وعبادة، ولا تقبل العبادة إذا ساءت الأخلاق، كما في حديث أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن فلانة ذكر من كثرة صلاتها غير أنها تؤذي بلسانها، قال ﷺ: «**هي في النار**»، قال: يا رسول الله، إن فلانة ذكر من قلة صلاتها وصيامها وأنها تصدقت بأثوار أقط[2] غير أنها لا تؤذي جيرانها، قال:

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/٢٥٤.

(٢) الأثوار جمع ثور، وهي قطعة الأقط، والأقط هو لبن جامد مستحجر.

«**هي في الجنة**»[1]. وفي هذا بيان أن العبادة لم تنفع صاحبها مع سوء الخلق.

الفائدة الرابعة: أن أبلغ ما يدعى به إلى موضوعات الدعوة هو كلام الله (القرآن الكريم):

لقد اتضح لنا في كثير من مواقف دعوة الصحابة مدى فاعلية قراءة القرآن على المشركين وتأثرهم به، كيف لا وهو كلام الله ﷻ الذي أنزله على رسوله ﷺ، وقد قرأه ﷺ على المشركين فأثَّر فيهم؛ فمنهم من أسلم، ومنهم من استكبر، وهو موقن بما سمعه من القرآن، كما فعل فرعون وقومه مع موسى في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[2].

وقد قرأ الصحابة القرآن على المشركين كما فعل مصعب مع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، وما قرأه عمر بن الخطاب من الصحيفة عند أخته فاطمة رضي الله عنها، وما تضمنه كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه للمرتدين من آيات من القرآن الكريم لتوضيح الدين لهم، ولتدعوهم للعودة إلى الإسلام، فكان لذلك كله تأثير قوي بليغ أوصل رسالة الإسلام إلى الناس بكلمات قليلة، لو بقي الدعاة دهراً لما بلغوا مبلغها في القلوب، فعلى الدعاة أن يتخذوا من قراءة القرآن دعوة لهم وبلاغاً إلى المدعوين.

(١) صحيح ابن حبان، المجلد الخامس، الجزء السابع، باب الغيبة، ذكر الأخبار عما يجب على المرء من ترك الوقيعة في المسلمين وإن كان تشميره في الطاعات كثيراً، رقم ٥٧٧٣، ص٣٧٧. حديث صحيح (الألباني، التعليقات الحسان، رقم ٥٧٣٤، ٨/٢٥١).

(٢) سورة النمل، الآية: ١٤.

الفائدة الخامسة: أن موضوعات الدعوة يجب أن تكون مستقاة من مصادرها الأساسية:

لكل موضوع مصدر يستخرج منه، ويبحث عنه فيه، ومصادر مواضيع الدعوة في منهج الصحابة ﷺ هي "الكتاب والسنة"، وهما المصدران الأساسيان لكل أمور الدين، والاستعانة بغير هذه المصادر في موضوعات الدعوة يؤدي إلى الانحراف والخروج عن جادة الصواب، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾[1]، وقال ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**»[2]، إذن الاستقاء من هذين المصدرين هو عصمة من الضلال لمن رجع إليهما وجعل دعوته من منبعهما، وقد كان الصحابة ﷺ يقرؤون القرآن ويسألون الرسول ﷺ في جميع أمورهم، وأمور دعوتهم، ولم يتعدوا على موضوعات الدعوة من عند أنفسهم، وهذه فائدة عظيمة لكل الدعاة بأن يكون لهم في الموضوعات التي يتطرقون إليها مصدر واحد، لا يختلفون عليه ولا يخرجون عنه لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) موطأ الإمام مالك، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، رقم ٣٣٣٨، ١٣٢٣/٥. حديث حسن (الألباني، المشكاة، رقم ١٨٦، ٦٦/١).

الفائدة السادسة: أن منهج الصحابة ﷺ فيه بيان أحكام وتكاليف الدين الإسلامي:

اعتمد الصحابة ﷺ في منهجهم إيضاح أحكام الإسلام في المعاملات وتكاليفه في العبادات، ولم يجعلوها دعوة للدخول في الإسلام بدون واجبات والتزامات عملية، كما هو حال بعض الدعوات الضالة التي الغرض منها هو دخول الفرد فيها شكلياً، وذلك كافٍ في عقيدتهم أن يكون منتمياً لتلك الديانات. أما الإسلام فمع الاعتقاد عمل وعبادة وتعامل، وجميع ذلك مرتبط ارتباطاً وثيقاً، وقد حرص الصحابة ﷺ على إيضاح ذلك لكل من يُدعَى إلى الإسلام، فلم يخلُ موضوع من مواضيع الدعوة من بيان الحلال والحرام، وإيضاح العبادات حسب ما فرض في وقتها. ففي دعوة مصعب بن عمير لأسيد بن الحضير عندما أراد أن يدخل الإسلام قال له: تغسَّل فتطهَّر وتطهِّر ثيابك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي، فبين له وجود الطهارة والصلاة مع التوحيد، ولم يكتف بشهادة التوحيد، وفي ذلك بيان بأنه لا يجوز دعوة المشرك إلى الإسلام وتركه دون تعليمه بما يجب عليه، وما يجب له، بخلاف بعض التوجهات الدعوية التي تدعو الناس إلى الحق دون تحصينهم وحمايتهم وبيان أحكام الإسلام والحلال والحرام، وكأنهم بذلك يطبقون طريقة المنصِّرين في دعوة الشعوب بأن يدخلوا في النصرانية، ولو لم يتبعوا شرائعها وأحكامها، وكأنه دين شكلي سطحي يترك الروح فارغة من الداخل.

الفائدة السابعة: أن منهج الصحابة ﷺ فيه بيان تنظيم حياة المؤمن اليومية والأسرية حسب النظام الإسلامي:

إن الدين الإسلامي دين نظام وتنظيم لشؤون حياة المسلم في جميع مجالات الحياة اليومية من علاقات اجتماعية كالعلاقات العائلية والزواج والطلاق والعلاقات بالآخرين، ومن تنظيم الوقت من خمس صلوات في اليوم وصيام في شهر رمضان وحج في شهر معلوم، وكل ذلك بوقت وكيفية ومكان معين؛ مما يجعل حياة المؤمن حياة منظمة ومرتبة تعكس تنظيم الإسلام ذاته، وقد كان موضوع العلاقات الأسرية والاجتماعية حاضراً لدى الصحابة في منهجهم، وذلك كدعوة الوالدين وبيان حقوقهما، وإن كانا مشركين، وكذلك الزوجة، كعلاقة سعد بن أبي وقاص بأمه، وعلاقة مصعب بن عمير بأمه، وربط علاقة الطفيل بوالده وزوجته بالإسلام، والوليد بن الوليد وأخيه خالد بن الوليد وغيرهم؛ لأن الإسلام ليس دين قطيعة أو بغضاء، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾[1].

ومن الفوائد من منهج الصحابة الاهتمام بتنظيم العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة، وبيان ما يجب فعله مع الوالدين والزوجة والأبناء؛ لأن في ذلك راحةً للداعي؛ بحيث لا يكون في حرج من كيفية التعامل معهم والتصرف تجاههم.

(١) سورة لقمان، الآيتان: ١٤- ١٥.

الفائدة الثامنة: أن منهج الصحابة ﭫ في الدعوة يوضح أن الدعوة إلى الشرائع الإسلامية هو تكملة الدعوة للعقيدة الإسلامية:

لم يكن هناك دعوة إلى العقيدة إلا ورافقها دعوة إلى الشرائع والأحكام، فلا تنفصل هذه عن تلك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[1].

إذن الإسلام دين متكامل ويكمل بعضه بعضاً، فاتباع الشرائع وتطبيقها هو تأكيد للعقيدة السليمة الراسخة لدى الفرد، وإن إيضاح ذلك واجب كل داعية يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لأن هذا ترابط التزام وتلازم لا يصح أن يفرق بينهما، وقد حرص الصحابة ﭫ على ذلك، فدعوا إلى الشرائع مع العقيدة، وأكَّدوا على ذلك. فهذا عمرو بن مرة الجهني ﭬ يقول لقومه: «آمركم بعبادة الله وحده ورفض الأصنام وحج البيت وصيام شهر رمضان شهر من اثني عشر شهراً، من أجاب فله الجنة ومن عصى فله النار».

فقد قرن الدعوة إلى عبادة الله وحده ورفض الأصنام، بالدعوة إلى الحج والصيام، وهي شريعة من الشرائع التي بُني عليها الإسلام. وهذا يفيد أنه على الداعية أن يربط العقيدة التي يدعو إليها بالشرائع الإسلامية في دعوته وعدم التفريق بينها وأنها مكملة لبعضها، فلا عقيدة بدون شريعة، ولا شريعة بدون عقيدة، فكل منهما بدون الآخر باطل.

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

الفائدة التاسعة: بيان أن الأخلاق مستمدة من العقيدة ومتداخلة مع الشريعة:

اختلاف الأخلاق ومعاييرها بين الشعوب بالديانات المختلفة يجعلها أمراً يصعب الاتفاق عليه، وبما أنها من الموضوعات الرئيسة في الدعوة فإن الصحابة رضي الله عنهم أوضحوا من خلال قراءة منهجهم في الدعوة أن الأخلاق مستمدة من العقيدة الإسلامية، وتأخذ منها أساسياتها وتعاليمها، وهي أيضاً متداخلة مع الشريعة الإسلامية ومنسجمة معها، فكل خلق ينبع من عقيدة، وكل شريعة يواكبها خلق، فقد فسدت أخلاق المشركين عندما نسبوها إلى آلهتهم، كالزنى بالمحارم عند الفرس، والعري عند العرب في الحج، وكذب دهاقين المجوس على أقوامهم باسم ربهم، وكذب سدنة الأصنام على العرب باسم آلهتهم.

إلا أن الأخلاق الإسلامية والتي يدعو إليها كل مسلم هي مستمدة من عقيدة إسلامية بشريعة إلهية سماوية نزل بها الوحي من عند الله على رسوله ﷺ وبلَّغ بها قومه، وقام أصحابه بدورهم بإبلاغها للناس، فأنكروا الأخلاق السيئة، وأمروا بالأخلاق الحسنة. فقد ذكر العلاء بن الحضرمي ذلك للمنذر بن ساوى عندما قال له: «إن هذه المجوسية دين شر ليس فيه تكرُّم العرب ولا علم أهل الكتاب...، فهل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدِّقه، ولمن لا يخون أن لا تأتمنه، ولمن لا يخلف أن لا تثق به، فإن كان هذا هكذا فهو هذا النبي الأمي».

فمن الفوائد من منهج الصحابة أنهم استمدوا الأخلاق من العقيدة، وقرنوها بالشريعة، وذلك ما يجب على الداعية معرفته وتطبيقه.

الفائدة العاشرة: أن معرفة عقيدة المشركين وفهمها يدعم مواضيع الدعوة:

كما أسلفنا أن الصحابة ﷺ كانوا حديثي عهد بأمور الشرك، فإن ذلك كان جانب قوة وتميُّز في دعوتهم؛ لأنهم كانوا يعلمون بماذا يدعون لعلمهم بمن يدعون، فمعرفة مواضيع دين المشركين تؤدي إلى تحديد مواضيع دعوتهم، فمثلاً مشركو العرب كانوا يؤمنون بأن الله سبحانه هو الخالق المدبِّر إلا أنهم يشركون معه أوثانهم في العبادة والتضرع، فهنا محاولة إثبات ما هو مثبت لديهم وهو ربوبية الله سبحانه لا داعي له، بل المفروض نفي ما هو مثبت لديهم، وهو ألوهية إله مع الله سبحانه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[1]، قال قتادة: «فالخلق كلهم يقرون الله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك»[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[3]، فلذلك قد يكون موضوع الربوبية محسوماً لديهم، فالاعتماد عليه لتأكيد موضوع وحدانية الألوهية أمر مهم لدى الدعاة، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة عقائد المشركين والاطلاع عليها.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

(٢) جامع البيان، الطبري، ٩/٥٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

المطلب الثاني: الاستفادة من منهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالداعي

بما أن الصحابة ﷺ أنفسهم هم الدعاة إلى الله، فإن الفوائد المستقاة من منهجهم في دعوة المشركين كثيرة ومتعددة؛ لذلك سنحاول أن نذكر هنا الفوائد المباشرة من منهج الصحابة، وذلك بشيء من التفصيل الذي يؤدِّي إلى الإلمام بالمعنى وإيصال المعلومة دون نقص فيها.

ومن فوائد منهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين فيما يتعلق بالداعي ما يأتي:

الفائدة الأولى: أن كل مسلم هو داعٍ إلى الله سواء كُلِّف من وليِّ أمر المسلمين أم لم يكلَّف:

إن القيام بالدعوة هو مسؤولية كل مسلم دون استثناء، وذلك حسب القدرة، وقد نص القرآن الكريم على ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[1]، يقول الكلبي في هذه الآية: «حق على كل من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة»[2]، وبذلك يكون على جميع المسلمين الدعوة إلى اتباع الرسول ﷺ حيث لم يستثنَ من اتباعه أحد، وهذا تكليف إليه للجميع، وفي قول الرسول ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»[3] أيضاً تكليف من الرسول ﷺ بذلك حيث جعل التبليغ حتى في

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) التفسير القيم، ابن القيم، ص٣١٨- ٣١٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٤٦١، ص٥٨٢.

آية واحدة، يقول الدكتور فضل إلهي: «فمن من المسلمين رجلاً كان أو أنثى، عالماً كان أم غير عالم، تاجراً كان أم عاملاً، من منهم لا يعرف أمراً واحداً من أمور الدين؟ ففي هذا الحديث حمَّل النبي ﷺ كل مسلم مسؤولية تبليغ ما عرفه من أمور الدين»[1].

وقد قام الصحابة ﷺ بهذه المهمة، فمنهم من أمره الرسول ﷺ بذلك وكلَّفه به، كمصعب بن عمير وعلي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وغيرهم ممن أرسلهم ﷺ، ومنهم من لم يأمره بل أخذ أمر الدعوة على عاتقه كواجب من واجبات المسلم تجاه دينه، ولم ينتظر الأمر بذلك كأبي بكر وسعد بن معاذ وقصة الأعرابي الذي عرض على الرسول ﷺ الذهاب إلى قومه ودعوتهم، وذلك أن ابن عمر ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال رسول الله: «**إلى أين؟**» قال: إلى أهلي، قال: «**هل لك من خير؟**» قال: وما هو؟ قال ﷺ: «**تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله**»، قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال ﷺ: «**هذه السمرة**»، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخدُّ الأرض خدَّاً حتى كانت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى نبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن يتبعوني آتيك بهم، وإلا رجعت إليك فكنت معك[2].

(١) ركائز الدعوة إلى الله، فضل إلهي، ص١٧.

(٢) صحيح ابن حبان، المجلد السادس، الجزء الثامن، كتاب التاريخ، باب المعجزات، رقم ٦٥١٤، ص١١٧. حديث صحيح (الألباني، التعليقات الحسان، رقم ٦٤٧١، ٩/٢٣٢).

لم ينتظر هذا الأعرابي الأمر بالدعوة، ولم ينهه النبي ﷺ عن ذلك، ففي ذلك بيان بأن الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته ومقدرته، وقد وضع الدكتور فضل إلهي بعض التنبيهات لعامة المسلمين عند الدعوة وخصوصاً غير المتخصصين في ذلك وهي كالآتي[1]:

أ) **التنبيه الأول:** قيام عامة الناس بالدعوة الخاصة دون غيرها، وهي ما يوجَّه الخطاب فيها إلى شخص واحد أو إلى فئة قليلة من الناس، وليست اجتماعاً بالمعنى المفهوم.

ب) **التنبيه الثاني:** ضرورة حصر عامة الناس دعوتهم في نطاق الأمور الواضحة.

ج) **التنبيه الثالث:** ضرورة بقاء الداعي في دائرة علمه؛ فلا يقول شيئاً إلا هو عالم به.

الفائدة الثانية: أن كل شخص لديه جوانب قوة في حياته يجب عليه توظيفها في مجال الدعوة إلى الله.

المقصود بجوانب القوة لدى الأشخاص هي الجوانب التي لها القدرة على التأثير في المدعوين للحصول على استجابتهم، وتغيير دينهم إلى الدين الإسلامي، ولكل شخص جانب أو أكثر من هذه الجوانب سواء علمه أم لم يعلمه، إلا أن البحث في النفس قد يظهر للداعية أموراً من نفسه يستطيع أن يستخدمها في الدعوة، ويكون لها الأثر الكبير عند المدعو، ولا يختص بالجوانب هذه أشخاص

---

(١) انظر: ركائز الدعوة إلى الله، فضل إلهي، ص٤٧-٥٠.

دون آخرين، فكل إنسان لديه ما يتميز به عن غيره، حتى ولو احتقرنا ذلك الشخص، فليس كل ما ظهر منه يعبِّر عن كل ما عنده من إمكانات.

وقد بين الرسول ﷺ عدم دقة الحكم بالظاهر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**»[1]، وهذا بيان قوة ذلك الشخص المسكين الضعيف؛ لأن القوة لا تكون إلا بالله.

فهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه رجل ضعيف الجسم، وليس له عشيرة يمنعونه، يقرأ القرآن عند المقام في الضحى على مسامع قريش، ولم يثنه ضعف جسمه، وعدم وجود عشيرته من الدعوة، فهو قوي بعزيمته ونفسه، وقد علم ذلك من نفسه فاستثمره في إسماع المشركين القرآن، فكان أول رجل جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ.

وقد يكون الجانب القوي في شخصية الداعي هو أضعف ما فيه، كما حصل من عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقبول دعوة أخته فاطمة رضي الله عنها، وذلك عندما لطمها وأدماها، فأوجد ذلك لديها قوة مواجهة لأخيها، وإعلان إسلامها أمامه، ورفضها إعطاءه الصحيفة لأنه مشرك، مما أخضعه لسماع قولها، واتباع أمرها، ودخوله في الإسلام بسببها. وأيضاً أم سليم عندما جعلت أبا طلحة رضي الله عنهما يسلم، وذلك أنها علمت أن لديها موقف قوة وهو حاجة أبي طلحة للزواج منها، فقرنت زواجها بإسلامه، فأسلم لذلك رضي الله عنهما.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين، رقم ٦٦٨٢، ص١١٤٤.

إذن نجد أن من خلال هذه الجوانب التي توجد لدى البشر يستطيع الداعية التقرب بها إلى المدعوين واستخدامها في دعوتهم إلى الإسلام، ويكون نتاجها في صالح الدعوة، ومن هنا فعلى كل داعية البحث عن جوانب القوة والاستطاعة التي لديه، كما فعل الصحابة ﷺ، وتطويرها وتسخيرها، وهذه القوة قد تصنع العجائب.

الفائدة الثالثة: أن البيئة المحيطة بالداعية أياً كان وضعها قد تكون عامل تكوين وتأسيس للداعية:

من الطبيعي أن يوجد البشر داخل بيئة محيطة بهم، ولا يمكن العيش للأشخاص منفردين دون احتكاك بالعالم والناس المحيطين بهم، ولو على مستوى ضيق في أسوأ الاحتمالات، وهذه سنة الله في خلقه التي جبلهم عليها.

والبيئة المحيطة بالداعية تكون واحدة من بيئتين، وهي البيئة الفاسدة، أو البيئة الصالحة، وهذه البيئات قد تكون هي السبب في نشأة الداعية وخروجه للدعوة.

فكلما انتشر الفساد في أقوام أرسل الله لهم رسلاً منهم ليهدوهم ويدعوهم، فكان فساد البيئة سبباً في صلاحها، ففساد البيئة ليس على كل حال هو فساد جميع من فيها، بل قد يكون سبباً في خروج مصلحين في هذه البيئة، وهذا ما حصل من خروج حركات الإصلاح دائماً في بيئات شرك وفساد، وكان الفساد هو الدافع والباعث لهؤلاء الدعاة المصلحين، إذن البيئة الفاسدة ليست عذراً لعدم وجود الدعاة، بل هي من تصنع الدعاة المخلصين أهل العزيمة والإصرار على نشر الدين، وقد كانت البيئة المحيطة بالصحابة ﷺ في

بداية الأمر بيئة شرك وكفر وأوثان وأنصاب وأزلام، ونشؤوا ﷺ فيها، إلا أن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا حملة لواء الدعوة مع رسول الله ﷺ وبعده، بل إن الوضع جعلهم يتبنون الإصلاح ويتحملون أعباء ومشاق الدعوة، هذا فيما يخص البيئة الفاسدة. أما البيئة الصالحة فهي بيئة تنشئ دعاة وتربيهم، وهو ما كان من بيئة المدينة المنورة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها، واجتماعهم حوله في مسجده، وسماع حديثه ﷺ، وتناقله بينهم، وخصوصاً فيما له علاقة بفضل الدعوة، فقد أنشأ ذلك دعاة يرجون ما عند الله مقابل الفوز بهداية الناس، فمنهج الصحابة ﷺ دليل على أن البيئة المحيطة أياً كان وضعها هي سبب في صناعة ونشأة الدعاة.

الفائدة الرابعة: أنه على الداعية تزويد نفسه بما يحتاج من علم قبل أن يدعو:

إن طلب العلم أساس من أساسيات الدين الإسلامي بشكل عام، وقد فضَّل الله أهل العلم على غيرهم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [(٢)]، وقال ﷺ: «**ما من رجل يسلك طريقاً يطلب فيه علماً إلا سهَّل الله له به طريق الجنة**»[(٣)]، وإذا كان هذا فضل العلم لعامة الناس، فكيف لمن يدعو به؛ لذلك وجب على الداعية التعلم والتزود

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) سنن أبي داود، أول كتاب العلم، باب فضل العلم، رقم ٣٦٤٣، ص٥٢٣. حديث صحيح (الألباني، صحيح الجامع، رقم ٥٧١٥، ٢/٩٩٦).

بالعلم من مصادره الأساسية الموثوقة؛ لأن ما يدعو إليه هو منسوب لرب العالمين، فلا يحتمل الخطأ، وقد طلب الأنبياء عليهم السلام العلم من قبل؛ فهذا نبي الله موسى عليه السلام ذهب إلى العبد الصالح وطلب العلم منه، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على تلقي العلم من رسول الله ﷺ ليدعوا به، فلازموه في سفره وإقامته، وفي سلمه وحربه، ولم يفارقوه لا في مكة ولا في المدينة، بل كانوا يتناقلون ما يفوتهم بين بعضهم، فتزودوا من علمه ﷺ وارتووا من نبع فهمه، وحرصوا على ذلك ومن ثم دعوا إلى الله سبحانه، فكانوا قدوة لجميع الدعاة.

لذا كان على الداعية تزويد نفسه بالعلم الذي يحتاجه في دعوته، فعليه أن يتعلم ما يدعو إليه وأن يتعلم حال المدعو وكيفية دعوته، بالإضافة إلى أنه عليه أن يعلم أنما علمه ذلك ما كان إلا لينفع به الناس؛ لأن مهمته نقل العلم وتعليمه، "فالعلم قبل القول والعمل"، كما ذكر البخاري في صحيحه، والعلم هو سلاح الداعية، ونجاح دعوته مرهون بقدر علمه، ونسبة إصابته من خطئه مرتبط برصيده من العلم، فكم من داعية ترك المدعوين في حيرة واضطراب بسبب قلة علمه وعدم تزوده بما يحتاجه وتصدره للدعوة بغير علم فَضلّ وأضلّ.

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٦٥-٦٦.

فكان منهج الصحابة في الدعوة منهج علم وتعلُّم، ولم يكن منهج جهل وتخلُّف، فقد حصَّنوا أنفسهم بما تعلَّموه عن رسول الله ﷺ من علم، وقاموا بالدعوة ولديهم ما يتسلَّحون به، ويردُّون به عن دين الله؛ فكان حرياً بمن اتبعهم أن يتبع منهجهم ﷺ.

الفائدة الخامسة: المثابرة على الدعوة والصبر عليها وعدم استعجال النتائج:

إن المثابرة والإصرار من سمات الشخص الناجح الذي يسعى لأن يصل إلى هدفه، وهذه السمة من الأولى أن تتوفر في الداعية؛ لأن عمله من أشرف الأعمال وأفضلها، وهدفه من أسمى الأهداف وأرقاها، وهو دليل على الإخلاص من قبل الدعاة، ولأن طريق الدعوة محفوف بالعقبات والعوائق فإنه مطلوب من الداعية عدم الاستسلام، ولنا في ذلك قدوة ألا وهم الأنبياء عليهم السلام، فهم سادة الدعوة وأئمتها، فقد دعا نوح عليه السلام قومه تسعمائة وخمسين عاماً، ولم يؤمن معه إلا قليل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2]. فلم يكن قلة من استجاب له سبباً في تخليه عن الدعوة وتركه لها، بل استمر كل هذه المدة يدعو مع ما يلقى من صد واستهزاء وتعذيب له ولمن معه، ولم يستسلم. وقد ثابر الرسول ﷺ على الدعوة ولم يتوان ولم يتهاون حتى نشر الله الإسلام على يديه ﷺ، ويدي أصحابه ﷺ، الذين ساروا على سيرته وهديه؛ فقد ثابر الطفيل بن عمرو الدوسي على دعوة قومه دوس، وقد تأخروا في الإسلام إلا أن

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٠.

ذلك لم يثنه عن دعوته وبقائه بينهم، ومثابرة مصعب بن عمير على دعوة أمه، وهي ترده وتؤذيه، وقد أوذي الصحابة ﷺ في أنفسهم وفي أهليهم وأموالهم، إلا أن ذلك لم يثنهم عن الدعوة. والابتلاء على الحق موجود منذ أن خلق الله آدم، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[1]، فهذه سنة الله في خلقه ليمحّص الحق، يقول الشيخ السعدي: «سنته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل، ونحو ذلك من الفتن»[2].

فلم يكن الصدُّ عن سبيل الله ومقاومة الدعوة عند الصحابة إلا سبباً في الإصرار والمثابرة والعزيمة على أن يبلِّغوا دين الله.

كما أن الاستعجال على النتائج لم يكن من المنهج الصحيح، فقد قال الرسول ﷺ: **«كان الرجل فيمن قبلكم يُحفَر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشقُّ باثنتين وما يصدُّه ذلك عن دينه، ويُمشَّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصدُّه ذلك عن دينه، والله ليُتِمَّن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»**[3].

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٧٣٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم ٣٦١٢، ص٦٠٦.

وقد استمر الصحابة على هذا النهج ولم يكونوا يستعجلون النتائج؛ لأنها قد تتأخر أو قد تأتي بعد وفاة الداعي أحياناً، وبهذا كان منهج الصحابة منهج مثابرة وإصرار، وعدم استعجال للنتائج، وذلك ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة، وأن يجعلوه منهجاً لهم.

الفائدة السادسة: إزالة الصعوبات بتعرُّف الداعي على طبيعة المدعوين من جميع النواحي:

إن التعرف على طبيعة شخص ما يؤدي إلى التعرف على كيفية التعامل معه، وذلك بمعرفة خصائص وطبائع ذلك الشخص، وذلك ما كان رسول الله ﷺ يدركه في التعامل مع المشركين، وصحابته ﷺ يشاهدون ويتعلمون منه، ففي بداية دعوته ﷺ كان يعرض نفسه على القبائل، وكان يأخذ معه أبا بكر الصديق ﷺ ليعرِّفه بالقبائل؛ لأنه كان نسَّابة يعرف أنساب العرب ومنازلهم وأيامهم(١). كما أنه ﷺ في الحديبية عندما أتى رجل من كنانة(٢) أرسلته قريش للرسول قال ﷺ: **«هذا فلان وهو من قوم يعظِّمون البدن فابعثوها له»**، فبعثت له واستقبله الناس يُلبُّون فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت(٣). فمعرفة الرسول للقوم جعلته يعرف كيف يتعامل معهم.

---

(١) انظر: جامع الأصول في سيرة الرسول، ابن كثير، ص٢٥٠.

(٢) الرجل هو الحليس بن علقمة، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وهو سيد الأحابيش. (انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٢٦٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم ٢٧٣١، ص٤٤٧.

وكانت معرفة أصحابه ﷺ لمن يدعونهم سبباً في إسلام كثير منهم، فهذا أسعد بن زرارة يعرِّف مصعب بن عمير بمكانة أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ، وأن إسلامهما سوف يكون له أثر في إسلام قومهما، وقد كان ذلك.

كما أن معرفة الصحابة لدين المشركين، وطريقة عبادتهم، وماهية آلهتهم كان لها الأثر الكبير في طريقة إقناعهم، وعرض الإسلام عليهم؛ لأنهم خبروا الشرك وأهله، فطريقة معاذ بن جبل ومعاذ بن عمرو بن الجموح في التعامل مع صنم عمرو بن الجموح فيه بيان لعدم قدرة هذا الإله الدفاع عن نفسه، وكذلك ابن رواحة وأبو الدرداء وتعامل سلمان الفارسي مع الفرس، ودعوتهم بلغتهم، وبيان وضعه في الإسلام، وما قام به العباس بن عبدالمطلب مع أبي سفيان، ومعرفته أنه خائف من المسلمين جعله يغتنم ذلك في دعوته إلى الإسلام، والمواقف والشواهد كثيرة.

فمن هذا نجد أن معرفة الداعي لطبيعة المدعو والإلمام بها فيها من الفوائد من إزالة الحواجز وإبعاد الوحشة والتقرُّب إليه، وموافقته فيما يميل إليه من المباحات بما يكون سبباً في التأثير عليه، وإقناعه للدخول في الإسلام.

الفائدة السابعة: أن اختلاط الداعي بالمدعوين مهمٌّ للقيام بالدعوة:

إن من الفوائد في منهج دعوة الصحابة للمشركين بيان فائدة اختلاط الداعي بمن يدعو ومعايشتهم؛ لأن من البديهي أن الداعية هو من يبحث عن المدعو، وليس العكس؛ لذا ينبغي عليه غشيان أماكن المشركين بغرض الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولأن الإنسان بطبعه اجتماعي، ولا يستطيع العيش منفرداً ومعزولاً عن بقية البشر، فإن هذه الطبيعة تجبره على الاختلاط بجنسه، وهذا الاختلاط يوجد نوعاً من التفاهم والتوافق بين مجموعة من الأفراد لِيكونوا مجتمعاً متفقاً في نواحٍ عدة، ومن هذه النواحي الدين، فغالباً ما يكون دين هذه المجتمعات واحداً؛ لذا وجب على الداعية أن يدخل إلى هذه المجتمعات ويخالطها؛ لينشر الإسلام بينها، فالمخالطة هي المقدمة للدعوة في تلك المجتمعات، والبداية لهدايتهم. وقد خالط الأنبياء أقوامهم من المشركين، وبينوا لنا مدى فاعلية المخالطة مع الصبر على الأذى، قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»[1].

وقد خالط الصحابة المشركين وحاوروهم وصبروا على أذاهم، كل ذلك في سبيل الدعوة إلى الإسلام، والدفاع عنه أيضاً؛ لذلك وجب على الداعية أن يخالط المشركين ليدعوهم بشرط أن يكون بدافع الدعوة والأمر بالمعروف، وألا يتأثَّر بهم، وأن يصبر على أذاهم، وأن يأمن الفتنة منهم، وأن يكون اختلاطه بهم إيجابياً فعَّالاً، يبين فيه محاسن الإسلام ويدعو إليه، ويتخلَّق بخلق الإسلام، فما انتشر الإسلام في كثير من أصقاع الأرض إلا بأخلاق أهله عندما اختلطوا بأهل تلك البلاد وعاملوهم، فوجدوا فيهم ما جذبهم إلى الإسلام. ومخالطة الداعية للمشركين وإظهار شعائره لديهم فيها بيان ثقة الداعي فيما يدعو إليه، فقد كان الصحابة يظهرون شعائرهم أمام

---

(١) سنن ابن ماجه، أبواب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم ٤٠٣٢، ص٥٨٢. حديث صحيح (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ٩٣٩، ٢/ ٦١٤).

المشركين، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه من الصلاة في بيته بمكة أمام المشركين، وعمرة القضيَّة عندما أظهر الرسول ﷺ والصحابة شعائر الإسلام أمام قريش، وأبو أمامة عندما دعا قومه للإسلام واجتنب أكل الطعام الحرام معهم وهو جائع، كل ذلك يبين فائدة مخالطة الداعي للمشركين فيما يحقق الخير له وللمدعوين، على أن يأمن الفتنة والتهاون في دينه.

الفائدة الثامنة: أن على الداعية استثمار المناسبات والفرص في الدعوة إلى الله:

«الفرصة هي وقت أو ظرف مناسب للقيام بعمل ما»[(١)]، وتفويت هذه الفرصة لا يعيدها نفسها بل تذهب بدون رجعة إلى أن يأتي الله بفرصة غيرها. ولهذا نجد أن الصحابة رضي الله عنهم قد فهموا معنى "الفرصة" وحاولوا الاستعداد لها للاستفادة منها واغتنامها، حتى لا تفوتهم ويفوتهم خير كثير، وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ؛ فلم تسنح له فرصة إلا استثمرها، بل يبحث عنها لكي يستثمرها في الدعوة إلى الله، ومن ذلك استثماره لمكانة مكة عند العرب وزيارتهم لها سواء للحج أو للتجارة أو لأي أمر كان، فما سمع بأحد دخل مكة إلا ذهب إليه ودعاه إلى الإسلام، كما اغتنم تجمعهم في أسواق العرب، وأيضاً اغتنم المواقف كما حصل مع رسول هرقل وهو في تبوك، فدعاه الرسول للإسلام ولم يفوِّت فرصة مجيئه إليه بمناقشة كتاب هرقل فقط[(٢)].

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ٣/١٦٩٢.

(٢) انظر: جامع الأصول في سيرة الرسول، ابن كثير، ص٨٠٦.

فمن هنا يجب على الداعية أن يغتنم كل فرصة تسنح له، وأن يستعد لها بما يستعد له الدعاة من تجهيز أنفسهم بالعلم والجهد والوقت، بل يجب عليه أن يبحث عن هذه الفرص ويبحث عن مكانها وزمانها وجميع أحوالها، فقد دعا يوسف عليه السلام وهو في السجن، وقد دعا الغلام من أصحاب الأخدود وهو مصلوب على جذع ليقتل(١).

وذلك بيان أن سوء حال المدعو لا يمنع من الدعوة، ولا يحول دونها، فكان بلال بن رباح رضي الله عنه يُعذَّب وهو يقول: "أحد أحد"، ويوصلها لأسماع المشركين، فإذا كان هذا الحال في مواقف الشدة، فكيف الحال والفرص في الرخاء والاطمئنان.

ففي دعوة الصحابة ومنهجهم توظيف واستثمار لكل طارئ وفرصة تسنح، وضربوا بذلك القدوة لكل من يقوم بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله بأن الداعية يجب أن يكون كيِّساً فطناً، لما يخدم الدعوة ويدافع عن الإسلام.

(١) انظر قصة الغلام في: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، رقم ٧٥١١، ص١٢٩٧.

المطلب الثالث: الاستفادة من منهج الصحابة ﷺ
في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالمدعو

الفائدة الأولى: بيان أن للمدعوين حقوقاً يجب أداؤها:

لقد اهتم الصحابة ﷺ بالمدعوين؛ مما جعلهم يوجدون حقوقاً لهم، ويقومون بأدائها، وكل ذلك من العدل والإنصاف من أصحاب هذا المنهج الذي نبع من خير البشر بعد الأنبياء، فكان في سيرة الصحابة ﷺ إيضاح لحقوق من قاموا بدعوتهم من خلال تصرفاتهم وأقوالهم، فقد أدَّوا حقَّ التبليغ عليهم تجاه كل من كان من حقه أن يُبلَّغ، فلم يستثنوا أحداً أياً كان، في أي حال من الأحوال، فقد دعوا في الرخاء والشدة، وأوضحوا حرصهم على أداء هذا الحق، والاجتهاد فيه دون كلل أو ملل، وذلك اقتداءً برسول الله ﷺ، فقد أدَّى الأمانة، وشهد له الناس في الدنيا قبل الآخرة، وقد كان من هدي الصحابة في دعوتهم حرصهم على بيان حقوق المدعوين لهم وأدائها، لبيان العدل والإنصاف، ولكي لا يكون عليهم حجة يوم القيامة، وقد تعاملوا مع المدعوين كمرضى يحتاجون إلى علاج من الشرك، فوجب على الطبيب علاجه وإزالة عوارضه، وذلك حق كل مريض.

إن أداء الحقوق للمدعو قد يكون سبباً في كسبه وتأدية ما عليه من واجبات في الدعوة، وأهمها الاستجابة لما دُعِي له؛ لأن في ذلك إيضاحاً للاحترام والتقدير للمدعو أياً كان حاله أو مقاله.

وقد بيّن الصحابة تلك الواجبات وأدَّوها في كثير من الأحوال، كدعوة أبي عامر الأشعري ﷺ للإخوة العشرة في يوم أوطاس وأداء حقِّهم من تبليغ الدعوة.

ففي دعوة الصحابة إيضاح للدعاة أن المدعوين لهم حقوق على من يدعوهم يجب معرفتها والإلمام بها، خدمة للدعوة وأداءً لرسالتها.

الفائدة الثانية: بيان أن على المدعوين واجبات يجب بيانها لهم:

كما كان في منهج الصحابة بيان لحقوق المدعوين، ووجوب إعطائهم هذه الحقوق، فإن هناك واجبات عليهم يجب بيانها لهم؛ حتى تكتمل حلقة الحقوق والواجبات.

وقد بيَّن الصحابة ﷺ أن واجبات المدعوين من المشركين تختلف عن واجبات المدعوين من غير المشركين، وهذه الواجبات تعتمد على مبدأ الاحترام والبحث عن الحق لدى المدعو، وهذه المبادئ تنطبق على جميع شؤون الحياة السليمة لدى البشر، سواء كانت في مجال دعوتهم أم غيرها من شؤون الحياة، فمن الواجب على البشر الاستماع لبعضهم، وهو من الآداب التي يحث عليها الإسلام، فجميع الحوارات التي دارت بين الأنبياء ومخالفيهم من الأقوام فيها استماع لبعضهم، مع أن بعض الكلام كان فيه غلظة وشدة، إلا أن ذلك لم يمنع الأنبياء من الاستماع لهم، مما أجبر الطرف الآخر على الاستماع للأنبياء، بغضِّ النظر عن الاستجابة من عدمها، وذلك كاستماع النمرود لإبراهيم عليه السلام، وفرعون لموسى عليه السلام،

وكاستماع المشركين للرسول ﷺ، كما أن سماع الحق ومعرفته من رجاحة العقل، ومن الواجب الأدبيّ اتباعه، وعدم الإعراض عنه، كما كان من العلاء بن الحضرمي عندما دعا المنذر بن ساوى وأخبره عن الرسول ﷺ بقوله: «والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به، أو ليته زاد في عفوه، أو نقص من عقابه»، إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر[1]. كما أن من الواجبات على كل شخص السؤال عن كل ما يجهل وعدم الاقتناع بالجهل، ومن ذلك السؤال عن الإسلام، فكم من مشرك سأل عن الحق واستبانه، وكان سؤاله سبباً في إسلامه، مثل الطفيل بن عمرو الدوسي حيث لم يقنع بما يُقال له بل ذهب بنفسه إلى الرسول ﷺ وسأله وعرف الحق، فالحقُّ أحقُّ أن يتبع.

فما يستفاد من منهج الصحابة رضي الله عنهم بيان أن على المدعوين واجبات مقابل ما لهم من حقوق، وأنها تنطبق على كل مدعو من البشر.

الفائدة الثالثة: بيان اختلاف طرق التعامل مع المدعوين باختلاف أحوالهم:

إن اختلاف الناس واختلاف أحوالهم يحكم طرق التعامل معهم، وطريق دعوتهم، فالناس والشعوب والأديان والأحوال والأوضاع تختلف وتتمايز عن بعضها، وما يصلح لهؤلاء قد لا يصلح لأولئك، فكل له ميزانه الخاص الذي يزن به الأمور، وله نهجه الخاص الذي يتعامل به مع الحياة؛ لذلك كان

(١) انظر: الروض الأنف، السهيلي، ٧/٥٢٠.

الصحابة ﷺ يدركون هذا الأمر ويتعاملون مع المدعوين على أساسه، فلكل باب مفتاح يختلف عن غيره، ولكل مقام مقال.

فالتعامل مع الكبير غير الصغير، والرجل غير المرأة، والغني غير الفقير، والملأ غير العامة، والأقارب غير الأباعد. وكأن الصحابة يسيرون على ما وجدوه في القرآن، وسنة الرسول ﷺ، فقد اختلفت طرق الدعوة في القرآن مع المدعوين من اللطف واللين، كدعوة موسى عليه السلام فرعون، والرحمة والشفقة، كدعوة إبراهيم عليه السلام لوالده، والتخويف كما في دعوة هود عليه السلام لقومه، ودعوة نوح أيضاً. وتنوعت طرق تعامل الرسول ﷺ مع المدعوين من تلطُّف كما هو مع عمه أبي طالب، ومناظرة كما حصل مع وفد نجران، وصبر كما كان مع مشركي قريش، وقتال كما كان في بدر وأحد وحنين وغيرها، فالدعوة واحدة إلا أن المدعو اختلف، واختلفت أحواله وأوضاعه، مما تطلَّب اختلاف نوع التعامل معه، فكان ذلك منهج الصحابة ﷺ على مدى دعوتهم منذ دخول أولهم الإسلام إلى وفاة آخرهم، مما أعطى مثالاً وفائدةً لكل من جاء بعدهم ليتخذ من منهجهم قاعدة في التعامل مع المدعوين حسب أحوالهم وأصنافهم.

الفائدة الرابعة: أن هداية المدعوين قد لا تحصل في كل حال:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[2]، الهداية

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٧.

على الله في جميع الأحوال، وإنما على الدعاة البلاغ والدعوة، وألَّا ينتظروا القبول من المدعو، بحيث لا يدعون إلا من كان لديه قابلية الاستجابة، فإيمان الصحابة بأن الهادي هو الله، وأنما هم مبلغون عن الله سبحانه ورسوله ﷺ جعلهم يدعون كل من استطاعوا دعوته، دون انتظار منهم الهداية، وذلك أنه لو كانت الدعوة مرتبطة بالهداية لما دُعي كل البشرية إلى الدخول في الإسلام، ولكان أحد أمرين، إما أن تضعف الدعوة أو تتوقف، وهذا أمر خطير، أو أن يستجيب جميع الخلق، ويدخلوا في الإسلام، وهذا محال في سنة الله في خلقه.

إن الدعوة أمر يجمع بين الاجتهاد في دعوة المشركين، والاقتناع بعدم إمكانية دخولهم جميعاً إلى الإسلام. ومن ذلك عندما قدم الطفيل بن عمر الدوسي وأصحابه إلى رسول الله ﷺ بعد أن دعا قومه ولم يستجيبوا فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً قد كفرت وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، قال ﷺ: «**اللهم اهد دوساً وأت بهم**»[(١)]، وهذا دليل على أن الهداية ليست نتيجة حتمية لكل دعوة؛ لذلك لا ترتبط دعوة المدعو بهدايته بل بالأمل والرجاء فيها دون الإيقان بها.

الفائدة الخامسة: أن المدعو جاهل بالحق ويحتاج من يوضحه له:

إن المدعوين في الغالب هم ممن يجهل الحق لأنه لو يعلم الحق لاتبعه، إلا من استكبر، فهذا الجاهل يحتاج من ينتشله من ظلام الجهل إلى نور الحق ووضوحه؛

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيئ، رقم ٦٤٥٠، ص١١٠٧.

لذلك يجب التعامل مع المدعو على هذا الأساس، فمن المدعوين من يجهل ما هو عليه من ضلال، ويعتقد أنه على حق، ومنهم من يعلم أنه على ضلال إلا أنه يجهل أين الحق، فالأول يحتاج من يبيّن له خطأ معتقده، وما حسَّن له الشيطان من سوء ومنكر، والثاني يحتاج من يبيّن له صواب الإسلام، وأنه الدين الصحيح الذي يبحث عنه، والاثنان جاهلان بالحق، فمنهم من غُيِّب عن الحق، ومنهم من غاب عنه الحق، فكم من المشركين من كان يعبد الأصنام إلا أنه لم يقتنع بها، وتركها وذهب يبحث عن الحق، مثل أبي ذر ﷺ، فقد صلى قبل أن يلقى رسول الله ﷺ أو يسمع به، ولكنه نفر من دين الشرك وجهل دين الحق إلى أن لقي رسول الله ﷺ فعرّفه ما كان يجهل. وأيضاً ممن كان متشدداً في عبادته ويجهل أنه كان على خطأ أبو الدرداء ﷺ وكان آخر داره إسلاماً، وكان له صنم وهو متعلِّق به، فلم يترك عبادة ذلك الصنم حتى حطَّمه عبدالله بن رواحة وأثبت له ما كان جاهلاً من صنمه فأسلم.

فالجاهل يحتاج من يبيّن له أمرين، الأول: بيان خطأ معتقده، والثاني: بيان المعتقد الصحيح، بدلاً عن الأول؛ لأن المدعو كالمريض يحتاج التشخيص والعلاج معاً.

الفائدة السادسة: أن الملأ قد يكونون عامل إعاقة للدعوة، وقد يكونون عامل دعم ومساعدة:

لأن الملأ هم الرؤساء وأشراف القوم ووجهاؤهم، فإن وجودهم مع أي جانب هو دعم لهذا الجانب مقابل الجانب الآخر، ومن منهج الصحابة ﷺ وجدنا

أن الملأ لهم الأثر الكبير في الدعوة سواء في محاربتها أو في مساندتها؛ لذلك كان الحرص عليهم لدعوتهم هو حرصاً على الدعوة، ودعماً لها، بدخولهم إلى الإسلام، كما أن عدم الحرص هو تهاون في الدعوة وإقواء لشوكة أعدائها.

وهذا ليس في أمر الدعوة فقط، بل في أغلب أمور الحياة، فمتى ما وجد الملأ، وجد الناس، وكثر مؤيدوهم وأنصارهم، ومتى ما غابوا غاب الأنصار، وضعف التأييد؛ لذلك حرص الصحابة على كسب هذه الفئة من الناس إلى جانبهم؛ لأن في ذلك كسباً للدعوة ونصرة لها، وقد بيَّن الرسول ﷺ أن الملأ فيهم عز للإسلام، وذلك في حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم أعزَّ الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب**»[1].

فمما نستفيد من منهج الصحابة تجاه هؤلاء القوم هو كسبهم وزيادة نصرة الإسلام بهم، أو تحييدهم وجعلهم غير معادين للإسلام وللدعوة، حتى يكون هناك مجال لدعوة غيرهم دون أي إعاقة.

الفائدة السابعة: أن استجابة العامة أسرع من الملأ مع كثرة عددهم:

إن أكثر من استجاب للدعوة في أول قيامها والدخول فيها هم العامة، فكانوا هم المستضعفين والفقراء، وقد كان لجهود الصحابة رضي الله عنهم دور كبير في ذلك، فقد علموا أن هؤلاء أقرب للاستجابة من الملأ وأسرع بالتأثر؛ لقلة وجود

---

(١) جامع الترمذي، أبواب المناقب، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم ٣٦٨٣، ص٨٣٨. حديث حسن صحيح غريب (الألباني، المشكاة، رقم ٦٠٤٥، ٣/١٧٠٤).

الموانع والمؤثرات التي تمنعهم من دخول الإسلام، مما جعل الصحابة ﭬ يركزون على هذه الفئة من الناس؛ لذلك لو نظرنا إلى نسبة الذين أسلموا في أول الأمر من العامة مقارنة بالملأ لوجدنا تفاوتاً كبيراً، وذلك ما جعل المشركين يتجرؤون على تعذيبهم؛ لأنه لا يوجد لهم من يحميهم من الناس؛ لهوانهم عليهم، إلا أن هؤلاء العامة أصبحوا هم قوة الإسلام، وأصحاب نبي الله ﷺ المقربين. والصحابة هم أصحاب هذا المنهج، لذلك كانوا أعلم الناس بحال العامة، ومدى قابليتهم للإسلام، فكم من مملوك أسلم على يديهم، وكم من فقير اهتدى بدعوتهم، وكان ذلك أسهل عليهم وأسرع استجابة من فرد واحد من الملأ.

فهنا نجد أن مما نستفيده من دعوة الصحابة هو عدم إهمال دعوة المستضعفين؛ لأنهم أقرب للاستجابة وأحرى بالهداية من غيرهم؛ لأن الإسلام لا يفرق بين البشر إلا بالتقوى.

الفائدة الثامنة: أن أصحاب المعتقدات الباطلة هم أعلم الناس بخطأ معتقدهم بعد تبيينه لهم:

مما يتضح من منهج الصحابة ﭬ في الدعوة أن المدعوين من أصحاب المعتقدات الشركية الباطلة هم أكثر الناس معرفة ببطلان ما يدينون به، وقد اتضح ذلك في كثير من المواقف الدعوية، وقد استثمر الصحابة ذلك فذكّروا المشركين بها، لكي يبينوا لهم عوار آلهتهم التي يعبدون، وهم أعلم بذلك العوار من غيرهم، فعندما خطب أبو طلحة قبل إسلامه أم سليم رضي الله عنها وهي

مسلمة قالت له: ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض؟ قال: بلى، قالت: أفلا تستحي أن تعبد شجرة؟ ففي قولها: "ألست تعلم" بيان أنها تعلم أنه يعلم عيب إلهه، ورده عليها بقوله: "بلى" دليل على اقتناعه بأن إلهه ليس بشيء سوى خشبة من الأرض، فكان أسهل شيء يقنع به هو تحريك ما هو مقتنع به في قرارة نفسه، فما احتاج إلا إلى إثارته وبعثه وإيجاد بديل له وهو الإسلام.

وهذا الاقتناع الداخلي بمعرفة الحق وجحده هو قديم أزلي لدى البشر، فقد جحد ابن آدم فضل أخيه عليه، وهو مقتنع بتقبُّل الله قربانه، كما جحد قوم موسى آياته وهم مستيقنون بصدقها، قال الشاطبي رحمه الله: «قد يحصل العلم مع التكذيب؛ فإن الله قال عن قوم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، فأثبت لهم المعرفة بالنبي ﷺ ثم بين أنهم لا يؤمنون»[4]، يقول الشيخ السعدي: «ليس جحدهم مستنداً إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم ويقينهم بصحتها»[5].

(١) سورة النحل، الآية: ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٢٠.

(٤) الموافقات، الشاطبي، ١/٨٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٧٠٥.

المطلب الرابع: الاستفادة من منهج الصحابة ﷺ في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب فيما يتعلق بالوسائل والأساليب

الفائدة الأولى: الالتزام بمشروعية الوسائل والأساليب المستخدمة في الدعوة:

قال ابن القيم رحمه الله: «لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها، معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غاياتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود»[1]، وبما أن الدعوة هي عبادة مشروعة لكل مسلم، فإن كل ما أدَّى إليها يجب أن يكون مشروعاً ومباحاً؛ فلا يجوز استخدام وسائل وأساليب محرمة لهداية الناس؛ لأن ذلك فيه تناقض بين مكونات العملية الدعوية، فكيف يدعو الداعي إلى أمر هو يخالفه، وكيف يقبل المدعو أمراً ينافي ما يُدعَى به، فمن الواجب اختيار الأساليب والوسائل المباحة المشروعة، واجتناب كل أسلوب أو وسيلة محرمة ممنوعة، فكل ما يدعو إلى الله يجب أن يكون موافقاً لدين الله، وقد حرص الصحابة على ذلك في جميع أمور دعوتهم، فلم يخالفوا أمر الله ولا أمر نبيه ﷺ في شيء مما اتبعوه لإيصال دعوتهم، فكل وسائل وأساليب الصحابة التي ذكرناها في الفصل الثالث متوافقة مع مبادئ الإسلام، فلم يتخذ أحد منهم ﷺ أي أسلوب أو وسيلة محرمة، فكيف ذلك وهم خير الخلق بعد رسول الله ﷺ والأنبياء عليهم السلام.

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم، ٤/٥٥٣.

الفائدة الثانية: أن الوسائل تختلف عن الأساليب:

إن كثرة الخلط بين الوسيلة والأسلوب في كثير من المراجع جعلت القارئ قد لا يفرق بين الاثنين، إلا أن من تتبع مواصفات الأساليب وتعريفاتها، ومواصفات الوسائل وتعريفاتها يجد أن هناك اختلافاً واضحاً، إلا أنه متداخل، وذلك ما سبب الخلط بين الأسلوب والوسيلة، وأيضاً من أسباب الخلط أن الوسيلة لا يمكن أن تكون فعَّالة إن لم يكن هناك أسلوب يقوم بنقلها إلى الهدف، وإيصالها إليه، فارتباط كل منهما بالآخر، وعدم عمل أحدهما بدون الآخر جعل التمييز بينهما صعباً، ولو تأملنا قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[1]، لوجدنا فيها بياناً للوسيلة والأسلوب، مما يفرق بين الاثنين، فقد قال موسى عليه السلام: إن التي بيده هي العصا، وهي وسيلة لكي يستخدمها بأسلوب الاتكاء عليها، والضرب بها على الشجر، وأيضاً هناك أساليب أخرى لاستخدامها.

ومن تأمل منهج الصحابة رضي الله عنهم يجد أنهم استخدموا كثيراً من الوسائل بأساليب مختلفة لإيصال دعوتهم، وقد تبين لنا من دراسة منهجهم الاختلاف والترابط بين الوسيلة والأسلوب.

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٧- ١٨.

الفائدة الثالثة: أن العملية الدعوية لا يمكن أن تخلو من الوسائل والأساليب:

إن العملية الدعوية بجميع مكوناتها لا يمكن أن تخلو من الوسائل والأساليب التي تعد من المكونات الرئيسة، فإذا كانت هناك أركان للدعوة، وهي موضوع الدعوة والداعي والمدعو فإنه لا يمكن أن يتم الربط بين هذه الأركان من دون وجود وسائل وأساليب تقوم بعملية الربط والاتصال، ففي عصرنا الحاضر مثلاً بدون الوسائل والأساليب لا يمكن للداعي معرفة موضوع الدعوة الذي سيدعو إليه، فلا يمكن أن يتحصَّل على العلم إلا بالوسائل التعليمية، وأساليب المعلمين فيها، وأيضاً بدون هذه الوسائل والأساليب لا يمكن للداعي أن يوصل الدعوة إلى المدعو بالوسائل الدعوية كالوسائل المرئية والمقروءة والمسموعة وطريق عرضها.

فبدون ذلك سوف يكون حال الدعوة أن هناك موضوع دعوة مجهولاً، وداعية لم يَدْعُ، ومدعواً لم يُدْعَ.

إذن نستطيع القول إن الوسائل والأساليب هي الرابط بين مكونات العملية الدعوية وأركانها، وبدونها تكون العملية الدعوية مجردة من مقومات النجاح.

الفائدة الرابعة: أن الوسيلة والأسلوب لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر:

كما ذكرنا فإن الوسائل والأساليب تختلف عن بعضها، ولكل منها تعريفه الخاص، كذلك لا يمكن فصل كل منهما عن الآخر، فهما متلازمان تلازماً عملياً، أي لا يمكن تفعيل الوسيلة بدون أسلوب، ولا يمكن تطبيق أسلوب

بدون وسيلة، فهذا الترابط يبين أن الفصل بينهما يعني إلغاء لوجودهما الفعال العملي في أي أمر وبالأخص في أمور الدعوة.

وقد ربط الصحابة ﷺ الوسيلة بالأسلوب بطريقة عملية مع أنهم لم يأخذوها عن تعلم، إنما هي فطرة طبيعية لدى البشر جميعاً، وإن لم يقصدوا ذلك؛ لأن الحياة بمجملها تحتوي على وسائل وأساليب كثيرة لكي تسير بها أمو الحياة الطبيعية، فالدابة وسيلة نقل ولركوبها واستخدامها أسلوب، والطريق وسيلة وللسير فيه أسلوب، والبئر وسيلة ولأخذ الماء منه أسلوب... إلخ. فلا يمكن الاستفادة من الوسيلة إن لم نستخدم الأسلوب المناسب معها للحصول على المنفعة المرجوة من هذه الوسيلة؛ لأنه بلا منفعة من الوسيلة فإنه لا قيمة لها، فقيمة كل شيء مرهون بمنفعته ومردوده على من يملكه أو يستخدمه.

الفائدة الخامسة: أن الوسائل والأساليب متغيرة وليست ثابتة:

إن الوسائل والأساليب ليست من الأمور الثابتة التي لا تتغير، إنما هي متغيرة بتغير أمور كثيرة، فمثلاً في حال تغير الزمان فإن الوسائل والأساليب تواكب ذلك الزمان، فوسائل الدعوة في بداية العهد الإسلامي تختلف عما هو الآن، وذلك بسبب الاختلاف التقني والمعلوماتي، كما أن تغير الأحوال أيضاً غيَّر من وسائل وأساليب الدعوة، فقد كانت الدعوة في مكة تختلف عن الدعوة في المدينة، كما أن الدعوة في الحرب تختلف عن الدعوة في السلم، فلكل وسيلته وأسلوبه.

ومما له الأثر على تغير الوسائل والأساليب أيضاً المدعوون وأصنافهم والبلاد واختلافها، وكذلك حال الداعي ووضعه، وكل ذلك اتضح لنا من دعوة الصحابة ﷺ، فقد كانت دعوتهم لأقوامهم تختلف عن دعوتهم لغيرهم، ودعوتهم في الضعف تختلف عن دعوتهم في القوة، ودعوتهم مع العرب تختلف عن دعوتهم مع غير العرب، والوثني غير المجوسي، فباختلاف المؤثرات تختلف الوسائل والأساليب، وذلك طبيعي بل مطلوب في الدعوة حتى تواكب المدعوين ويكون لها تأثير فيهم، فلا يعقل أن ندعو من هم في الأدغال وليس لديهم أي نوع من أنواع التقنية بوسائل التواصل الاجتماعي مثلاً، وأيضاً دعوة من هم في الدول الغربية يختلفون عمن هم في الدول الإفريقية من حيث الوسائل والأساليب... وهكذا.

الفائدة السادسة: إمكانية استخدام أكثر من وسيلة أو أسلوب للدعوة في وقت واحد:

قد تكمل الوسائل أو الأساليب بعضها في دعوة شخص واحد، وذلك يعتمد على مهارة وإمكانية الداعي، فيمكن استخدام أسلوبين أو أكثر من الأساليب العقلية في آن واحد، أو استخدام أسلوب عقلي وآخر حسي أو عاطفي، أو استخدام وسيلتين أو أكثر من الوسائل، فمثلاً وسيلة تعبيرية مع وسيلة أخلاقية أو وسيلة اجتماعية مع وسيلة كلامية.

فمثلاً في دعوة سعد بن معاذ ﷺ لقومه هناك وسيلة اجتماعية وهي المكانة

التي يتبوؤها بين قومه، والوسيلة الكلامية وهي الخطبة التي ألقاها على قومه لكي يدعوهم إلى الإسلام، وكل من هاتين الوسيلتين كان لها أسلوبها الخاص الذي سُخِّر لإيصال هاتين الوسيلتين، فكانت الوسيلة الكلامية مكملة للوسيلة الاجتماعية، مما أدَّى إلى إسلام قوم سعد رضي الله عنه أجمعين.

كما أن للداعي دوراً في معرفة ما يتناسب من الوسائل والأساليب مع بعضه، حتى لا تفسد وسيلةٌ الأخرى، ولا أسلوبٌ الآخر، بالإضافة إلى أنه قد تستخدم وسيلة في بداية مرحلة الدعوة، ومن ثم تستخدم وسيلة أخرى تكمل ما أُنجز بالوسيلة السابقة، وكل وسيلة لها أساليبها.

الفائدة السابعة: أن إمكانيات الداعي والمدعو هي ما يحدد الوسائل والأساليب:

إن الوسائل والأساليب هي تشمل الإمكانات المادية والشخصية؛ لذلك فالإمكانيات المتوافرة لدى الداعي هي ما يحدد نوع الوسائل التي يستطيع أن يستخدمها في دعوته، فلا يستطيع أن يستخدم لغة قوم لا يتقنها لدعوتهم، ولا يستخدم أو يعفو عن أشخاص لا يملك حق العفو عنهم، كما أنه من لا يتقن الكلام لا يخطب، ومن لا يتقن الحوار لا يتحاور؛ لذلك فالداعي هو أعلم الناس بما يستطيع أن يستخدم من الوسائل والأساليب في الدعوة، وذلك بناءً على الإمكانات المتوافرة لديه، سواء في نفسه أو في محيطه. كما أن الإمكانات الموجودة لدى المدعو توضِّح الوسيلة والأسلوب المناسب له، فلا يُدعَى مَن لا يتقن العربية بإعطائه كتاباً بالعربية، ولا يعقل أن يخطب الداعية

لدى مجموعة من الصم بدون مترجم لهم، وأيضاً فإن دعوة العلماء لها وسائل وأساليب تختلف عن دعوة الفلاحين؛ لذلك فإن معرفة حال المدعو وإمكاناته هي ما يحدد الوسيلة والأسلوب المناسبين والفعالين في حالة ذلك المدعو والتي قد تختلف من مدعو لآخر.

الفائدة الثامنة: أن هناك من الوسائل والأساليب ما يكون غير مقصود:

إن من الطبيعي أن استخدام الوسائل والأساليب من قبل الداعي هو أمر مقصود لإبلاغ الدعوة، إلا أن هناك وسائل وأساليب قد لا تكون مقصودة لدعوة الناس، وتؤدِّي ما تؤديه الوسائل والأساليب المقصودة، ومن ذلك إظهار بعض العبادات لدى المسلمين مما يجعل المشركين يفكرون في هذا الدين، ويبحثون عنه، مما يكون سبباً في إسلامهم، فكم سمعنا عن إسلام أشخاص بسبب رؤيتهم الصلاة في المسجد الحرام من خلال التلفاز، فتأثروا بذلك وأسلموا.

ومن الوسائل والأساليب غير المقصودة التعاملات الإسلامية مع الناس، وما فيها من فضائل، وقد انتشر الإسلام في كثير من بقاع الأرض بسبب حسن التعامل والصدق والأمانة من التجار المسلمين، الذين جابوا تلك البقاع، فتأثَّر بهم الناس ودخلوا في الإسلام، وكان قصد هؤلاء التجار التجارة وليس الدعوة، إلا أن إظهار أخلاق الإسلام ومعاملته وشعائره أمام الناس كان وسيلة وأسلوباً قوياً تأثَّر به أهل تلك البلاد، وفي هذا بيان أن كل ما جاء به الإسلام من شعائر وعبادات وتعاملات هي بذاتها وسائل وأساليب للدعوة وإن لم يقصد بها الدعوة.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

١. القرآن الكريم.

٢. ٢٠٠ سؤال في العقيدة، حافظ أحمد آل حكمي، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات، البجادية، (د، ت).

٣. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٤. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، تحقيق: أحمد عناية وأحمد زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣٤هـ.

٥. الآداب الشرعية، ابن مفلح، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٦. الإدارة في عصر الرسول ﷺ، أحمد عجاج كرمي، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٧. أدب الحوار، سعد بن ناصر الشثري، كنوز إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٨. أدب الدنيا والدين، الماوردي، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٩. أدب الكاتب، ابن قتيبة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

١٠. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح بن فوزان الفوزان، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤١١هـ.

١١. أساس البلاغة، الزمخشري، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٢٦هـ.

١٢. أسباب نزول القرآن، الواحدي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٣. الاستيعاب، ابن عبدالبر، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٤. أسد الغابة، ابن الأثير، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ.

١٥. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبد الرحيم محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٦. أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، فواز بن هليل السحيمي، دار ابن القيم، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.

١٧. الإسلام والأديان، مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٨. الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية عشرة، ٢٠٠٣م.

١٩. الإصابة، ابن حجر، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ.

٢٠. أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، حمود الرحيلي، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢١. الأصول الثلاثة وأدلتها، محمد بن عبدالوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة العاشرة، ١٤٢٠هـ.

٢٢. أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبدالله بن حميد، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٣. أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤٢٦هـ.

٢٤. أطلس الأديان، سامي المغلوث، العبيكان للنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.

٢٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، دار ابن الجوزي، الأحساء، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٦. إغاثة اللهفان، ابن القيم، تحقيق: طه عبدالرؤوف، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٧. إمتاع الأسماع، المقريزي، تحقيق: محمد التميمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٨. الأموال، ابن زنجويه، تحقيق: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٢٩. أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٣٠. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ.
٣١. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٣٢. تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: عبدالصبور شاهين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣٣. تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣٤. تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.
٣٥. تتمة أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، أتمه: عطية محمد سالم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ.
٣٦. التحرير والتنوير، ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د، ت).
٣٧. التعريفات، الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٠م.
٣٨. التعليقات الحسان، الألباني، دار باوزير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٩. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٤٠. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: مصطفى السيد وآخرين، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٤١. التفسير القيم، ابن القيم، جمعه محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).

٤٢. التفسير الكبير، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م.

٤٣. التفسير المنير، وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة العاشرة، ١٤٣٠هـ.

٤٤. تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٤٥. تلخيص الخطابة، ابن رشد، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، (د، ت).

٤٦. تهذيب الأخلاق، الجاحظ، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٧. تهذيب الأسماء واللغات، النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).

٤٨. تهذيب اللغة، الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٤٩. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: عبد الحميد حمدان، القاهرة، ١٤١٠هـ.

٥٠. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله آل الشيخ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٥١. تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤٢٦هـ.

٥٢. تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن معلا اللويحق، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٥٣. جامع الأصول في سيرة الرسول، ابن كثير، مكتبة الصحابة الإسلامية، مدينة ٦ أكتوبر، ١٤٣٠هـ.

٥٤. جامع البيان، الطبري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣١هـ.

٥٥. جامع الترمذي، الترمذي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالحميد هندي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ.

٥٧. جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٥٨. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرين، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٥٩. الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، سعيد بن علي ثابت، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، (د، ت).

٦٠. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم الهاشمي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٤هـ.

٦١. حراسة التوحيد، عبدالعزيز ابن باز، دار ابن الأثير، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٦٢. الحسبة، فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، الطبعة العاشرة، ١٤٢٦هـ.

٦٣. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٦٤. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ.

٦٥. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٦٦. الدر النضيد، الشوكاني، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٦٧. دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، محمود حسن زيني، نادي مكة الأدبي الثقافي، مكة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

٦٨. دعوة النبي للأعراب، حمود جابر الحارثي، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٦٩. الدعوة إلى الله الواقع والأمل، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٧٠. الدعوة والإصلاح، محمد بشير حداد، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٧١. دلائل النبوة، البيهقي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨هـ.

٧٢. الردة، الواقدي، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٧٣. الرسائل الشخصية، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: صالح الفوزان، محمد العيلقي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، (د، ت).

٧٤. ركائز الدعوة إلى الله، فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٧٥. الروض الأنف، السهيلي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ.

٧٦. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البُستي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).

٧٧. رياض الصالحين، النووي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٩هـ.

٧٨. زاد الداعية إلى الله، محمد بن صالح العثيمين، الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ١٤٢٩هـ.

٧٩. سبل الهدى والرشاد، الصالحي، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

٨٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤٢٢هـ.

٨١. سلسلة الأحاديث الضعيفة، الألباني، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٨٢. سنن أبي داود، أبو داود، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٨٣. سنن الدارمي، الدارمي، تحقيق: حسين سليم الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٨٤. السنن الصغرى، النسائي، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٨٥. السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٨٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م.

٨٧. السير والمغازي، محمد بن إسحاق، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٨٨. السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٨٩. السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، تحقيق: سيد عبدالماجد الغدري، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٥هـ.

٩٠. السيرة النبوية، محمد بن إسحاق، تحقيق: أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٩١. شرح الأصول الثلاثة، محمد بن صالح العثيمين، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠١م.

٩٢. شرح السنة، البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٩٣. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ.

٩٤. شرح ديوان طرفة بن العبد، الأعلم الشنتمري، تحقيق: رحاب خضر عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٩٥. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٥هـ.

٩٦. شرح صحيح مسلم، النووي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ.

٩٧. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ.

٩٨. الصحاح، الجوهري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ.

٩٩. صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٠٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٠١. صحيح الجامع، الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

١٠٢. صحيح سنن أبي داود، الألباني، مؤسسة غراس للنشر، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٠٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٠٤. الصلاة، عبدالله بن محمد الطيار، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة العاشرة، ١٤٢٥هـ.

١٠٥. ضعيف الجامع الصغير، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

١٠٦. الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار بيروت، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٠٧. العقيدة الصحيحة وما يضادها، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ١٤٢٠هـ.

١٠٨. العين، الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م.

١٠٩. غريب القرآن، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١١٠. فتح الباري، ابن حجر، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٨هـ.

١١١. فتح القدير، الشوكاني، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٣٠هـ.
١١٢. فتح المجيد، عبدالرحمن بن حسن، تحقيق: أشرف عبدالمقصود، مطبعة المدني، القاهرة، (د، ت).
١١٣. فتوح مصر والمغرب، ابن عبدالحكم، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٥هـ.
١١٤. فقه الدعوة، بسام العموش، دار النفائس، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
١١٥. فن التحرير العربي، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، الطبعة الخامسة، ١٤٢٢هـ.
١١٦. فن الخطابة والإلقاء، أنطوان وحيد نعيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١١م.
١١٧. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية، تحقيق: ربيع مدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١١٨. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ.
١١٩. قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
١٢٠. القول السديد شرح كتاب التوحيد، السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
١٢١. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٢٢. الكبائر، الذهبي، تحقيق: محي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، (د، ت).

١٢٣. الكفاية، الخطيب البغدادي، تعليق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٢٤. الكليات، الكفوي، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٢٥. كيفية دعوة الوثنيين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٢٦. اللباب في شرح الكتاب، عبدالغني الغنيمي، المكتبة العلمية، بيروت، (د، ت).

١٢٧. لسان العرب، ابن منظور، دار الفكر - دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٢٨. لمعة الاعتقاد، ابن قدامة المقدسي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

١٢٩. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، ١٤٢٤هـ.

١٣٠. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ.

١٣١. المجموع، النووي، تحقيق: محمد نجيب الطيفي، مكتبة الإرشاد، جدة، (د، ت).

١٣٢. مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة، محمد بن عبدالوهاب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

١٣٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٣٤. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: مصطفى السقا وزملائه، نشره معهد المخطوطات، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

١٣٥. مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٢١هـ.

١٣٦. مدارج السالكين، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (د، ت).

١٣٧. المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٣٨. المرأة الداعية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٣٩. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٤٠. المسند، الإمام أحمد، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري وآخرين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٤١. المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٣١هـ.
١٤٢. المصطلحات الدعوية، عبدالله المحلي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
١٤٣. المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، دار التاج، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
١٤٤. معجم الأفكار والأعلام، هتشنسون، ترجمة: خليل راشد الجيوسي، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
١٤٥. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
١٤٦. المعجم التربوي وعلم النفس، نايف القيسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
١٤٧. المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
١٤٨. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
١٤٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
١٥٠. معجم المصطلحات الحديثة، سمير سعيد حجازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٥١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ.

١٥٢. معجم علم الاجتماع، عدنان أبو مصلح، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

١٥٣. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٥٤. معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، الناشر: السيد معظم حسين، دكا، (د، ت).

١٥٥. المغازي، الواقدي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٥٦. مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٥٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (د، ت).

١٥٨. المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة، (د، ت).

١٥٩. مقومات الداعية الناجح، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.

١٦٠. الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ.

١٦١. المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠١٠م.

١٦٢. منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: محمود رشاد سالم، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٤هـ.

١٦٣. منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

١٦٤. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود أحمد الرحيلي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٦٥. منهجية علم الدعوة، محمد قاسم الشوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

١٦٦. موارد الظمآن لدروس الزمان، عبدالعزيز محمد السلمان، الطبعة العشرون، ١٤١٣هـ.

١٦٧. الموافقات، الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٦٨. موسوعة الأديان الميسرة، عدد من المؤلفين، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ.

١٦٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ.

١٧٠. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٧١. موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٧٢. مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جمع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المركز الإسلامي للطباعة والنشر، الهرم، (د، ت).

١٧٣. نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضيل العلوي، تحقيق: نهى عارف الحسن، مجمع اللغة العربية بدمشق، (د، ت).

١٧٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، بيت الأفكار الدولية، عمان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.

١٧٥. هداية المرشدين، علي محفوظ، دار الاعتصام، (د، ت).

١٧٦. وجاء دور المجوس، عبدالله الغريب، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ.

١٧٧. وسائل الدعوة، عبدالرحيم محمد المغذوي، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

ثانياً: الرسائل الجامعية والمجلات:

١. أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، أبو المجد سيد نوفل، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ٥٢، شهر شوال، ذو القعدة، ذو الحجة، ١٤٠٢هـ.

٢. دعوة الملأ إلى الإسلام في الكتاب والسنة، عبدالله بن محمد المجلي، رسالة دكتوراه، قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٨هـ.

٣. صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التفسير، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ١٤٣٢هـ.

٤. منهج القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود بن أحمد فرج الرحيلي، رسالة دكتوراه، قسم الدعوة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.

فهرس الموضوعات